الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
نيابة مديرية الجامعة للتكوين العالي في الطور الثالث، التأهيل الجامعي، البحث العلمي
و التكوين العالي فيما بعد التدرج
Vice-rectorat de la formation de troisième cycle, l'habilitation universitaire,
la recherche scientifique et la formation supérieure de post-graduation

جامعة وهران
Université d'Oran 1
أحمد بن بلة

جامعة وهران – أحمد بن بلة1

كلية الآداب والفنون

قسم اللّغة والأدب العربي

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في مشروع:

بلاغة القرآن - دراسة في الأساليب-

بعنوان:

أساليب خطاب النفي في القرآن الكريم

دراسة لأبنية التراكيب القرآنية

إعداد الطالبة: *إشراف الدكتور:*

ميسومي نور الهدى **عبد القادر بوعزة**

أعضاء لجنة المناقشة

ملياني محمد	**أستاذ**	**جامعة وهران**	**رئيسا**
بوعزة عبد القادر	**أستاذ**	**جامعة وهران**	**مشرفاً ومقرِّراً**
مختاري خالد	**أستاذ**	**جامعة وهران**	**مناقشاً**
باي عز الدين	**أستاذ**	**جامعة وهران**	**مناقشا**

السنة الجامعية: 1435 – 1436 هـ/ 2014 – 2015 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل من اتخذ القرآن العظيم

دستوراً ومنهجاً في حياته

أهدي هذا العمل المتواضع

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهدي به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، والصلاة والسلام على رسول الله الكريم، وعلى آل بيته الأطهار، وعلى صحابته الأخيار .

تتميّز البلاغة العربية والتي تمثل عصب الفكر العربي الأصيل بالقدرة الفائقة على مباينة اللسان المألوف، وهذه المباينة هي نتيجة تلك الصلة الوثيقة بإعجاز القرآن العظيم، فللقرآن تمام الفضل فيما بلغه علماء العربية من تقدّم وتميّز لا يضاهيه تقدّم، وكيف لا وهو مورد عذب لكل راغب دائم الظمأ، فقد نزل بوصفه أعظم ما بلغ البلغاء من مراتب البلاغة والفصاحة، ولأن طبيعة الأساليب البلاغية هي ذات طبيعة دلالية، فقد بَرْهَنَتْ أقلامُ المفسرين وعلماء البيان أنّ الإعجاز البلاغي في الآيات القرآنية له من المزايا والفوائد والنكت ما تَقَطَّعَ بالسبل أمام أي فضل أو شرف لغير هذه الفخامة، وقد راهن البلغاء وهم في أوجّ ازدهارهم البلاغي على مجاراته بما لهم من الذخيرة اللغوية الحية، فما كان لهم إلا أن جَرُّوا أذيال الهزيمة. ولأن تقويض واقعية الإعجاز هو ما أفَاضَ قرائح المفسرين وجَرَفَ آمال المعارضين الأكفاء، فقد رأينا أنَّ النَفْيَ في القرآن بوصفه شكلا تعبيريا يَتَدخَّل في الجملة لغايات توجيهية وتأكيدية، لا يتوقف عند حدود المساحة المحسوبة التي خَطَهَا له السابقون، أي تلك الفكرة المتعلّقة بِدَحْضِ وتَغْيِيرِ الفكرة المخالفة من الإثبات إلى النفي، وإن كانت وظيفته الأساسية تقضي بذلك، إلا أنّ في القرآن الكريم ما يُسْفِرُ عن فتح مجالات أوسع لهذه الرؤية، وهذا ما أدلى به أكثر متمعِّن ومتدبِّر لآيات الذكر الحكيم عبد القاهر الجرجاني، وحقا لا مغالاة في هذا الوصف وقد جاد بما غاب عن كثير من دارسي كتاب الله عز وجل، يقول لمن يُقَصِّر في تدبّر القرآن الكريم والغوص في آياته: «فانظرْ أيَّ رجلٍ تكونُ إذا أنت

زهدْتَ في أن تعرفَ حُجَّة الله تعالى، وآثرتَ فيه الجهلَ على العِلمِ، وعدمَ الاسْتبانةِ على وُجودِها، وكان التّقليدُ فيها أحبَّ إليك، والتعويلُ على علمِ غيرِك آثرَ لديك »[1].

وهذا لا يعني بأيّة حال وجوب الإعراض عن كلِّ قولٍ أو خبرٍ في هذا العلم مهما شرُف ذلك القول أو الرأي, إنّما ملاحظات العلماء وآثارهم بمثابة المعالم والأنوار تُخاضُ على هديها سُبُلُ معرفة حجَّة الله. فبعث آرائهم وآثارهم من أوكدِ ما يجب العملُ به في حقل القرآن ولغة القرآن .

ولذا فقد نال القرآن الكريم المنزلة الكبرى في الدراسات اللغوية العربية منذ بدايتها وحتى عصرنا هذا, فانبرى العلماء المخلصون في كلِّ العصور للكشف عن وجوه إعجاز القرآن العظيم, وأسرار أسلوبه التي كانت ولا تزال تضيء وتتلألأ , وستظلُّ كذلك دون أن تتأثَّر برياح المذاهب والتيارات والنظريات المستحدثة في حقول المعرفة الإنسانية، بل على عكس ذلك فهذه النظريات والتيارات الفكرية كلّها استحالت معايير استدلالية على قوة البلاغة القرآنية. ويكفي هنا أنْ نستحضر ما يزخر به علم اللّغة الحديث من نظريات لغويّة حتى نُوقِن بأنّها لا تتعارض في واحدة منها مع حرف من حروف القرآن، ومع ما تتمتّع به مناهج علم اللّغة من دقّة وموضوعية صالحة لمعالجة أيّ نصّ كان, واستنتاج القوانين المقنعة لأيّ إنسان, فهي لا تغمز أيَّة مادة لغويّة ممّا حوى القرآن المجيد, ممّا يعني فيه إعجازًا لغويا يؤكّده التطبيق.

في هذا المضمار الذي قدمت له يندرج اختياري موضوع هذه المذكرة وهو: أساليب خطاب النفي في القرآن الكريم –دراسة لأبنية التراكيب القرآنية–.

فدواعي اختيار هذا الموضوع مردُّها ابتغاء خدمة اللّغة العربية والقرآن العظيم من خلال محاولة الاقتراب من معاني الأوضاع التركيبية للأساليب القرآنية المنطوية على علم المعاني كما فهمه علماء اللّغة من أمثال الخليل، سيبويه , المبرد, ابن جني، عبد القاهر الجرجاني, ابن الأثير , السكاكي ... وغيرهم. ومن خلال ما استجدّ من نظريات على صعيد البحث اللّغوي في العصر الحديث.

1– دلائل الإعجاز ، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، تح: محمود محمد شاكر, ص:10/1 ، الطبعة الثالثة 1413هـ – 1992م ، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة..

وفي ظنيّ, فإنني بهذا العمل قد أعيد بعض الاعتبار لجهود هؤلاء العلماء في حقل البلاغة العربية من خلال التعريف بفن من فنون علم المعاني وهو في باب علوم البلاغة.

ومع تتبّع الأساليب واستقصاء أشكال نظمها وقياس الأشباه والنظائر منها ومماثلتها بكلام العرب الأقحاح, والاستعانة بآراء العلماء من المفسرين والدلاليين يمكن إيجادُ الضوابط العامة لأساليب خطاب النفي المنضوية تحت علم المعاني في القرآن الكريم، واستنتاج فوائده على مستوى أبنية التراكيب القرآنية، وهو الأهمّ والغرضُ الأشرفُ.

هناك أسرارٌ يتضمّنها الخطاب القرآني لأسلوب النفي، فهل من سبيل إلى استشفافها من خلال الدرس البلاغي الكلاسيكي وحدهُ ؟ أمْ أنَّ هناك مستجدات ومنجزات اُستُحدِثَتْ على مستوى علم الأسلوبية، وعلم اللسانيات، وعلوم تحليل الخطاب ، و من خلال مناهج التفكيك و البنيوية وما إلى ذلك ؟.

ولأنَّ الخطاب القرآني هو في هويّته خطاب تعبيري يُوظّفُ الكلمة ويُفاعِلُها برؤية هادفة، فسنُحاوِلُ التعويلَ على مكتسبات العلوم النّصية وفقه الخطاب المعياري (النحو والصرف والبلاغة) والنظرية التركيبية (التوليد) ، من أجل أن نقرأ أساليب خطاب النفي في القرآن على أكثر من مستوى .

وقد حصرت البحث في مقدِّمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة: فالمدخل تناولت فيه التعريف بالتراكيب ، وكيفية تعاطي النحاة والبلاغيين والمفسرين مع التراكيب، ثمَّ كيف تناولوا أسلوب النفي، وما قيمة النفي في ظل الدراسات اللغوية الحديثة.

أما الفصل الأوّل فهو فصل نظري يعالج حقيقة النفي وأقسامه وأدواته، وما هي الفروق بين الألفاظ المتعلّقة به مثل الجحد والسلب والعدم والنهي، وما أثره في الخطاب بجانب الإثبات.

وفي الفصل الثاني درست تعبيرية النفي ببعض الأساليب البلاغية في القرآن الكريم كالاستفهام والاستثناء الذّي يتفرّع عنه أسلوبا القصر والحصر. ثمَّ أوضحتُ ظاهرة تكرار النفي في القرآن الكريم.

أما الفصل الثالث فيبحث في دور النفي في أوضاع أبنية التراكيب القرآنية، ابتداء بدوره في الجملة الاسمية والجملة الفعلية في القرآن الكريم، ودوره في سياق الشرط والقسم.

وتوّجْتُ الخاتمة بما توصّلت إليه من نتائج تلهمنا بها المقاربه والاحتكاك بالمصادر والمراجع، والمدونات بشتى مستوياتها، لاسيما التفسيرية واللغوية، والدراسات الّتي نحت منحىً بلاغيا ونحويا، دون أن نغفل كتب الأصوليين كالآمدي والشاطبي وغيرهما، ممّن قرؤوا خطاب النفي في القرآن الكريم.

ولا يفوتني أن أنوِّهَ ببعض الدراسات الّتي كانت بمثابة المفتاح الذي به استطعت الخوض في موضوع كهذا لما تكتنفه من صعوبات وقيود، فدراسة أساليب النفي ليس بالأمر الهيّن، فتلك الدراسات ساعدتني في تحديد خطّة البحث وبالأخصّ رسالة (النفي في نقائض جرير والفرزدق للباحثة هند بنت عبد الرزّاق هَوِيل المطيري)، وكتاب (الجملة المنفية في شعر المتنبي) للدكتور زين كامل الخويسكي.

ويبقى أن نقول: ما كان من صواب في هذا البحث فهو بتوفيق الله عزّ وجلّ، وما كان من خطأ فهو من نفسي والشيطان، وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نردِّد قول الله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف: 109].

ميسومي نور الهدى

مدخل

تمهيد:

توجد بين تراكيب الجمل القرآنية فروق كثيرة وفي العديد من المواضع وهذا راجع لاختلاف المعاني بحسب المقاصد والأبعاد البلاغية، لهذا اعتنى اللغويون في مسارهم العلمي نحويا كان أو بلاغيا بالجملة بوصفها أكبر وحدة لغوية في النص يمكن الوقوف عندها، كما تظم مجموعة من التراكيب يمكن دراستها وفق العلاقات التي تربطها ببعضها، وبعيدا عن تلك الاختلافات في تعريف الجملة من قبل العلماء سنركز في بحثنا على أهمية هذه التراكيب المكونة للجملة والدلالات الناجمة عنها، وقد قسم النحاة الجملة العربية إلى قسمين بحسب المسند و المسند إليه، فالجملة الاسمية يكون المسند إليه فيها اسما لا فعلا، أو «هي التي صدرها اسم كزيد قائم، وهيهات العقيق، و قائم الزيدان»[1].

أما الجملة الفعلية فيكون المسند فيها فعلا فهي «التي صدرها فعل،كقام زيد، وضرب اللص، وكان زيد قائما ويقوم زيد وقم»[2].

ومألوف عن الجملة العربية ذات التراكيب المختلفة للأساليب النحوية والبلاغية بناؤها القائم على أساس الإسناد سواء كانت جملة فعلية أو جملة اسمية يقول الزمخشري (ت538هـ) :«والكلام هو المركب من كلمتين أسندت أحدهما إلى الأخرى ، وهذا لا يتأتى إلا في اسمين أو في فعل واسم»[3]، ويقول السيوطي (ت911 هـ): «الكلام لا يتأتى إلا من اسمين أو اسم وفعل، فلا يتأتى من فعلين ولا حرفين، ولا اسم ولا حرف، ولا من كلمة واحدة، لأن الفائدة إنما تحصل بالإسناد، وهو لا بد له من طرفين مسند ومسند إليه»[4] والكلام يقصد به الجملة.

فهذه التصورات توضح أن ركني الإسناد (المسند والمسند إليه) هما أساس بناء الجملة، والنسبة بين المسند والمسند إليه تعود لتراكيب الجملة يقول فندريس (ت 1380هـ):«وقصارى

1- ابن هشام الأنصاري عبد الله بن يوسف جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، الطبعة الأولى: 1423هـ/ 2002م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، التراث العربي- الكويت، 13/5.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- أبو القاسم الزمخشري، المفصل في علم اللغة، تعليق محمود عز الدين السعدي، الطبعة الأولى، دار إحياء علوم الدين – بيروت، ص10.

4- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح عبد الحميد هنداوي، الطبعة 1410 هـ/1990م، المكتبة التوفيقية – مصر، 52/1.

القول أن ترتيب الكلمات في الجملة الاسمية المشتملة على فعل الكون تبين على الترتيب أهمية المسند إليه أو المسند وقيمتي فعل الكون: كونه مجرد رباط أو فعلا معبرا عن الوجود. المجموعات الرئيسية في الجملة الفعلية هو المسند إليه والفعل والمفاعيل مباشرة أو غير مباشرة وكل مجموعة منها تشتمل على كلمة واحدة أو على عدة كلمات حسبما يكون المسند إليه مثلا مصحوبا بصفات أو بمخصصات أخرى وحسبما يكون مقيدا بظروف عديدة أو غير عديدة»[1]، فبناء الجملة يعتمد التركيب الذي تساق به مع الأقسام التركيبية لها من أسماء وأفعال وحروف.

والتركيب يتم بضمّ كلمة إلى أخرى، لا على طريقة سرد الأعداد فهو مثل قول: قلم قرطاس وكتاب باب، فهذا الربط والإلحاق يولّد التركيب[2].

ومعناه في اللغة «ركّبه تركيبا: وضع بعضه على بعضه فتركّبَ وتراكب، والرَّكيبُ:المركَّبُ في الشيء كالفصِّ، ومن يركب مع آخر»[3].

أما اصطلاحا فهو:«من العلل اللفظيَّة التي تمنع الاسم من الصَّرف إذا اقترنت بالعَلَمية»[4]، وينقسم التركيب إلى أربعة أقسام:

– التركيب الإسنادي حيث يشتمل نسبة بين الألفاظ تحصل بها الإفادة، – التركيب الإضافي كالقول:كتاب الله، – التركيب الوصفي نحو: الإنسان الكامل، – التركيب المزجي: ويكون عدديا كالقول خمسة عشر، وغير عددي مثل بعلبك[5]، وللبنية التركيبية معنى التركيب الإسنادي الذي نوه

1– جوزيف فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، 1950م – مكتبة الأنجلو المصرية، 189/1.

2– ينظر: علي أبو المكارم، الجملة الفعلية ، الطبعة الأولى 1428هـ/2007م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع– القاهرة، ص19.

3– الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الثامنة– 1426هـ/ 2005م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، 1/ 91.

4– فلاح حسن كاطع، التكوينات النحوية للمجاز المرسل ، الطبعة الأولى– 2008م، دار الكتب العلمية–بيروت، ص17، عن كتاب الخليل، معجم مصطلحات النحو العربي، جورج متري عبد المسيح وهاني جورج قابري، الطبعة الأولى: 1410هـ/1990م، مكتبة لبنان– بيروت، ص: 144.

5– علي أبو المكارم، الجملة الفعلية، ص 19، 20.

به النحاة القدماء، فالتركيب الإسنادي يرتبط بعلاقة المسند بالمسند إليه، فيتم معنى هذا التركيب بتركيب عناصره واستيفائها، لأن اكتمالها ينتج معنى تاما ونقصانها ينتج معنى ناقصا[1].

وقد اهتم البلاغيون بأحوال التراكيب في علم المعاني يقول السكاكي (ت 626هـ) في تعريف علم المعاني وعلاقته بالتراكيب :«هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عند الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»[2].

من هذا التعريف يتبيّن أنّ علم المعاني يهتم بالمعنى الذي يصدر عن التراكيب التي تساق بحسب ما تقتضيه الخواص النحوية، و التي من شأنها إخراج خطاب حسن بمقتضى الحال؛ فالبنية التركيبية للجملة هي الأساس في فهم المعنى، لأن التركيب النحوي السليم يسهم في إخراج المقاصد والغايات البلاغية.

وهذا ما لخصه الجرجاني (ت 471 هـ) في فكرة النظم قائلا:«ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه و أصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها»[3].

ودراسة البنية الخاصة بالتراكيب متعلق بأحد مجالات علم اللغة، فتغيير أبنية الألفاظ للدلالة على المعاني المختلفة، والبحث في القواعد المتصلة بالصيغ واشتقاق الكلمات وتصريفها عرف بعلم الصرف[4]، «وقد ذكر ابن الحاجب أن التصريف علم بأصول تُعرف بها أحوال أبنية

1- ينظر: الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحق جماعة من العلماء، الطبعة الأولى 1403هـ- 1983م، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ص210/1.

2- السكاكي، مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور، الطبعة الثانية،1407هـ-1987م دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،161/1.

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحق محمود محمد شاكر أبو فهر، الطبعة الثالثة: 1413هـ-1992م، مطبعة المدني بالقاهرة-دار المدني بجدة، 81/1.

4- ينظر: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة: 1417هـ/1997م، 10/1.

الكلمات التي ليست بإعراب، وذكر ابن عصفور أنه كان ينبغي أن يقدم علم التصريف على غيره من علوم العربية إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب»[1].

ومن خلال ذلك يتبيّن أن علم الصرف يهتم بالبنية الصرفية الشكلية للصيغ ويهتم بهيئتها من الجانب اللفظي والمعنوي دون أن يولي أهمية لعلاقتها بباقي العناصر داخل التركيب، بخلاف البنية النحوية التي تهتم بالناحية النحوية للتراكيب وعلاقة الأبنية ببعضها في الجمل.

فالبنية النحوية (التركيب النحوي) للجمل تقوم على أُسُسْ تهتم بانتماء الكلمة إلى القائمة النحوية، فمعنى هذه الكلمة متعلق بموقع ترتيبها في الجمل وبعلاقتها مع باقي البنى المكونة للجملة، فلا يكون لأي مفردة معنى خاص بل يتشكل المعنى بالترابط بين مفردات القوائم النحوية للجملة، إذ البنية النحوية تعمل على ربط العلاقة بين مكونات التركيب اللغوي[2].

و باعتبار المسند والمسند إليه ركنا الكلام وعمدته، كان ما عداهما عند النحاة فضلة وقيدا ولا يقصد النحاة بالفضلة ما كان عديم الفائدة، فهي لا يستغنى عنها من حيث المعنى، لأن المعنى قد يبنى عليها نحو قوله تعالى:﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء:37]، فلا يُستَغنى عن قوله مرحا، لذا الحذف(وجوبا أو جوزا) لا يكون في العمدة ولا في الفضلة إلا بالقرائن، فمعنى الفضلة هو إمكانية تأليف الكلام دونها، والخروج على طريقة التأليف المعهودة هذه ردها النحاة إلى التأويل كالتعجب نحو (ما أعذب الماء) فإنهم أولوه بشيء جعل الماء عذبا[3].

وهذا يدل على أن النحاة أَوْلَوا اهتماما كبيرا بالإسناد حتى صار ما دونه فضلة، وإن كانوا يقصدون بها ما زاد على ركني البناء اللغوي في الجملة مع اعتبار دورها في المعنى، فإن عمدة الكلام عندهم هي الإسناد، فتأويل أحد الركنين وتقديره بالحذف حتى لو كانت الجملة مفهومة المعنى والمبنى يعني أن هذا الخروج على إطار العلاقة الإسنادية لم يتقبله النحاة، فالجملة لا تقوم بوظيفتها دون أن تقوم على أساس نحوي من هذا الطراز في نظرهم.

1- عبد القاهر الجرجاني، هامش المفتاح في الصرف، تحق علي توفيق الحمد،كلية الآداب - جامعة اليرموك، إربد (عمان) مؤسسة الرسالة - بيروت، 27/1.

2- ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، الطبعة الثانية1997م- دار الفكر العربي – القاهرة، ص174.

3- ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، الطبعة الأولى1420هـ-2000م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - عمان، 14/1.

وإن كانت أنماط التراكيب اللغوية القائمة على أساس الإسناد في تأليف الجملة العربية هي الأصل كما أشار النحاة، فإن بعض التعبيرات تخرج عن هذا النمط، فالخليل وسيبويه اعتبرا أن (ألا) التي تفيد التمني لا خبر لها نحو قولهم :(ألا ماء بارد) أما الأخفش والكوفيون فقد ذهبوا أن لا خبر لنحو قولنا (الإنسان وعمله)، فتأليف الجملة من اسم وحرف و من اسم ومعطوف يشكل تركيبا غير إسنادي، وهذا صحيح مع أنه يخالف نمط التركيب العام الذي يقول به النحاة[1].

ما يعني أن الجملة العربية تنطوي تحت إطارين، إطار التركيب الإسنادي وإطار التركيب غير الإسنادي فالجمل الإسنادية يذكر فيها ركنا الإسناد أما الجمل غير الإسنادية فهي التي تستغني عن هذين الركنين، مع الحفاظ على أدائها اللغوي ومعناها الدلالي كالتعجب والنداء والمدح والذم وغيرها[2].

كيفية تناول النحاة والبلاغيين والمفسرين للتراكيب:

انعكس الواقع الوظيفي للجملة وطبيعتها الدلالية على اهتمام الدراسات اللغوية، ما جذب اهتمامها قديما وحديثا للوقوف على العناصر التركيبية لها، لأن تأثير تموقع هذه العناصر في الجملة ناجم عن الأسلوب الذي يقتضيه سياق القول، وذاك ما تنبه إليه النحاة فانشغلوا بدراسة التراكيب النحوية المكونة للجملة الاسمية كالمبتدأ و الخبر والجملة الفعلية التي تقوم على أساس الفعل والفاعل.

ومعروف أن النحو يهتم بأواخر الكلم فـ «هو تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الدالة عليها لفظا وتقديرا»[3]، لذا لم يكن التركيب الثابت الذي لا تطرأ عليه تغييرات، ولا يحتاجها كونه بليغ بتركيبه هو ما شغل النحاة، بل تجاوزوه بالوقوف عند المخالفات النحوية، سواء تعلّقت بأواخر الكلم أو بمكوناته التركيبية. وهذا ما وضحه ابن جني (ت392 ه) بقوله:«النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية و الجمع، والتحقير والتكسير، والإضافة، والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة

1- ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو،15/1.

2- ينظر: عاطف فضل، مقدمة في اللسانيات ، الطبعة الأولى 1426هـ-2005 م، دار الرازي، عمان – الأردن ، ص132، عن دراسات نقدية في النحو العربي، عبد الرحمن أيوب، القسم الثاني، ص129.

3- أبو العرفان محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان، الطبعة الأولى1417هـ-1997م، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 72/1.

من لم ينطق بها، وإن لم يكن منهم وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها»[1]، فالبنية الإعرابية الصرفية و التركيبية من أسس النحو التي أشار إليها ابن جني. ولما كان للمعنى المقصود من التركيب النحوي أهمية في تحليل السياق فإن النحاة المتقدمين أَولَوهُ أهمية قال ابن فارس (ت395هـ): «فالمعنى هو القصد والمراد، يقال عنيت بالكلام كذا أي قصدت وعمدت»[2].وهذا يدل على أن المعنى الذي يحمله الكلام يفضي إلى الغاية التي يبتغيها صاحبه.

ويُعَولُ سيبويه (ت180هـ) على الربط بين التركيب النحوي للألفاظ والدلالات المعنوية لها لتحديد حسن استقامة كل منهما فذلك يسهم في بلوغ المعنى النحوي الدلالي للتركيب[3].

ونجد ابن جني من النحاة الذين أولوا عناية بتأثير المعنى على التركيب بل واعتبار الفائدة الحاصلة من المعنى هي أساس الجملة يقول في الجملة :«كل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه»[4].

فتحليل البنية التركيبية والنظر في المعاني الدلالية للجمل كان السبيل للكشف عن تلك التغييرات الحاصلة بين عناصرها في منظور النحاة، لذا أولوا عناية بدراسة التراكيب بغية الوصول إلى أدائها الأسلوبي وإيجاد تفسير لتلك التغيرات، لكن انتهاج الكثير منهم النظرة المعيارية والقاعدية في الدراسات النحوية صرف اللب الجوهري لهذه التصورات لديهم.

الأمر الذي جعل دراسة النحو تحليلية لا تركيبية، لأن النحاة ركزوا على دراسة المباني و الأجزاء المكونة للجملة فغاب عنهم الجانب الآخر من دراسة النحو وهو الجانب الذي يربط بين المعاني التركيبية و المباني التي تدل عليها كمعنى الإسناد باعتباره وظيفة، ثم علاقة، ثم تقسيمه إلى خبري وإنشائي، وتقسيم الخبري إلى مثبت ومنفي ومؤكد، وتقسيم الإنشائي إلى طلبي وغير طلبي، ما يتعلق بانتقاء الأداء اللغوي الخاص بكل إسناد من حيث الأداة والرتبة والصيغة والعلاقة وحسب المقتضيات السياقية[5]. وانعكاس هذا الأسلوب الناتج عن آفة التعقيد والمنطق أضاع وضوح النحو

1- ابن جني، الخصائص، الطبعة الرابعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 35/1.

2- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، الطبعة الأولى 1418هـ-1997م، الناشر محمد علي بيضون، 144/1.

3- ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة ، الطبعة الأولى 1983م، مطبعة جامعة القاهرة، ص61.

4- ابن جني، الخصائص:18/1.

5-ينظر: تمام حسان عمر، اللغة العربية معناها ومبناها، الطبعة الخامسة 1427هـ - 2006م، عالم الكتب، 16/1.

في الأساليب التي ظن أصحابها أنها قادرة على تحقيق الإفهام وأنها الغاية المقصودة، وهذا واضح في كتب النحاة كشرح ابن الناظم أو الأشموني أو حاشية الخضري والصبان[1].

أما عن الجانب البلاغي فقد وفق رواده في الوصول إلى كشف اللبس عن تلك الخروقات التي تحدث في تركيب الجمل، وهذا يعني أن البلاغيين قد تفوقوا في رسم طريق جديد يتجلى في رفع قيمة الأداء اللغوي وتخريجاته، فالجمع بين التركيب النحوي و المعنى البلاغي يعد نقطة التقاء بين علم النحو وعلم البلاغة، و بما أن البلاغيين هم من أسهم في تسليط الضوء على هذه الزاوية خصت دراسة التراكيب بعلوم البلاغة لتكون أساسا لعلم المعاني.

«فتناول البلاغيون أنواع التراكيب من إثبات إلى نفي إلى استفهام وهلم جرا ...على طريقة النظر في التركيب نفسه من جهة أسلوب وصفه وطرق التعبير به، وما فيه من إيجاز وإطناب ومساواة، وما فيه من فصل و وصل وقصر وتقديم وتأخير... وهي دراسة معان وظيفة في صميمها»[2].

وهذه الدراسة للتراكيب ومعانيها الوظيفية التي انتهجها البلاغيون هي في الواقع ناتج متفوق لجهود عبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم التي جاد بها لتكون المنهاج الذي يُتبَع في دراسة المفردات داخل الجمل، والوقوف على العلاقات التي تربط بين هذه المفردات.

فالجرجاني جعل أهمية اللفظ تكمن في المعنى الذي يُؤدِيه من خلال التركيب الذي يُسَاق به، وهكذا كانت فكرة النظم تجمع بين اللفظ والمعنى لأن اللفظ لا يختص بالمعنى إلا عند التركيب، والجرجاني جمع واستوعب بصفة بارعة هذه العلاقة القائمة بين اللفظ و المعنى فاللفظ لا يفهم منفردا بعيدا عن باقي المفردات يقول:«ليس كلامنا في ما يفهم من لفظتين مفرد تين نحو قصد وجلس، ولكن في ما يفهم من مجموع كلام آخر»[3].

وقد عُدَّ منهج القدماء في التحليل البلاغي مُنصبًا على العلاقة القائمة بين عناصر التراكيب، فهذه العلاقة الخاصة بين المفردات هي انعكاس للأحوال النفسية وبالتالي المعاني المبتغاة[4].

1-ينظر: علي مزهر اليساري، الفكر الأصولي عند العرب أصوله ومناهجه ، تحق عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى 2003م/1423هـ، الدراسات العربية للموسوعات، ص299.

2- تمام حسان عمر، اللغة العربية معناها ومبناها:18/1.

3- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز:261/1.

4- ينظر: محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، الطبعة الرابعة -1429هـ/2008م، مكتبة وهبة عابدين-القاهرة، ص37.

و لهذا نجد المفسرين خير من فهم نظرية النظم وعمل بها ونلمس ذلك في تعاملهم مع الجمل والنصوص القرآنية، من خلال جمعهم الجانب النحوي والبلاغي للتركيب القرآني.

فلا يمكننا أن نغفل حقيقة أن قيام علم النحو راجع لعناية المسلمين بالقرآن الكريم بداية من محاولة أبي الأسود الدؤلي (ت69هـ). وعليه كانت عناية المفسرين بهذا الجانب من علوم اللغة في تفاسيرهم لكتاب الله عز وجل بأسلوب جلي، فالقرآن هو المنارة التي انبثقت منها علوم اللغة العربية في الأصل ما دفع النحاة والبلاغيين في الكد في تحديد معالمه النحوية والبلاغية انطلاقا من البحث في تراكيب جمله ودلالاته «فأول علاقة ربطت القرآن الكريم بالنحو هي أنه السبب القوي والعامل الدافع إلى وضع هذا العلم وإنشائه»[1]. ويمكن اعتبار الجهود الأولية لابن عباس رضي الله عنه (ت 68 هـ) حين حاول ضبط التراكيب اللغوية القرآنية، وقياس هذه التراكيب بألفاظها ومعانيها بما أُثِر عن العرب شعرا ونثرا، بدايات التفسير الذي يربط اللفظ بالمعنى[2].

فالأخفش (ت215هـ) يستدل في تفسيره لقوله تعالى من سورة مريم :﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾ [مريم: 44] بقوله: «والعصي:العاصي كما تقول عليم وعالم وعريف وعارف قال الشاعر:

أَو كُلَمَا وَرَدَت عُكَاظُ قَبِيلَةٌ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُم يَتَوَسمُ»[3].

إذ قاس لفظ "عصيا" من قول الله عز وجل بما عُرِف عن العرب محاولة منه تقريب المعنى وتحديده عن طريق الألفاظ المشتركة بين القرآن الكريم وكلام العرب .

ونجد القرطبي (ت671هـ) من المفسرين الذين تلقفوا ماهية العلاقة بين التركيب النحوي والمعنى الدلالي الذي ينساق عنه، على نحو متقدم في الربط بينهما. ففي قوله تعالى من سورة إبراهيم :﴿ الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾[إبراهيم:1-2]، عدَّ قوله تعالى "إلى صراط العزيز الحميد"

1- محمد نجيب اللبدي، أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، الطبعة الأولى 1398هـ-1978م، دار الكتب الثقافية-الكويت، ص3.

2-ينظر: محمد زغلول سلام، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن 4 هـ، الطبعة الثانية/1961م، دار المعارف-مصر، ص32-33.

3- الأخفش الأوسط، معاني القرآن، تحق هدى محمود قراعة، الطبعة الأولى1411هـ-1990، مكتبة الخانجي-القاهرة، 438/2.

كالقول خرجت إلى زيد العاقل الفاضل من غير واو فهما شيء واحد، والعزيز الحميد نعت قدم على المنعوت، فالآية"الله الذي له ما في السموات و الأرض" إذا قُرأت (الله) بالرفع كقراءة نافع وابن عامر كان "الله" مبتدأ و"الذي" خبره، وقيل "الذي" صفة والخبر مضمر، أما اعتبار التقديم حاصلا على البدل من (الحميد) يرجع إلى اعتبار اسم الله صار كالعلم فلا يُوصَف وإنما الوصف يكون من حيث المعنى، فمعناه أنه المنفرد بقدرة الإيجاد[1]. فالقرطبي من هذا التفسير يوضح أن التركيب النحوي للمفردات يؤثر على المعنى الذي تؤديه داخل السياق، إذ التقديم لاسم (الله) باعتبار(الحميد بدلا) هو كون اسم (الله) اسم علم فلا يوصف اسم العلم بمثله من أسماء العلم وإنما يوصف بالمعنى فاسم (الله) وهو الواحد موصوف معنىً بالحميد (المنفرد بقدرة الإيجاد).

وقد اعتمد المفسرون الأوائل على القرائن اللغوية والسياقية في تحديد معاني الألفاظ المشتركة، ومن ذلك لفظة (الخير) حيث خصص السياق القرآني دلالاتها العامة (المال) بدلالة أخص من حيث أن المال أحد مصاريف الخير[2].

ووضح الرازي (606هـ) هذا الاعتماد على القرائن بشكل جلي من خلال إبرازه لمعنى الخير في قوله تعالى:﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[البقرة:180]. فمعنى الخير لا خلاف أنه المال، كما في قوله:﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ ﴾[البقرة: 272]، وقوله :﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٞ ﴾ [العاديات:8]، والمعقول أن الخير ما يُنتَفَعُ به والمال كذلك فيكون خيرا في هذه الآية، لأن اسم المال قد يقع على كل ما يَتمَولُه الإنسان من قليل أو كثير، والآية تدل أن ترك المال هي وصية من أحكام المواريث لمن تحضره الموت سواء كان قليلا أو كثيرا لأن كل أحد يُحتضر إلا وله ما يتركه وإن كان قليلا، ونادرا ما يحتضر المرء عريانًا أو دون كسرة خبز[3]. فقد حدد الرازي معنى الخير في قوله:(إن ترك خيرا) مستشهدا بقوله تعالى:(وما تنفقوا من خير) و(إنه لحب الخير) من خلال القرائن اللغوية

1- ينظر: شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية 1384 هـ/1964م، دار الكتب المصرية-القاهرة، 9/339،338.

2- ينظر: هناء محمود إسماعيل، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، تقديم كريم حسين ناصح الخالدي، الطبعة الأولى 2012م، دار الكتب العلمية- لبنان، ص259.

3- ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، الطبعة الثالثة 1420 هـ، دار إحياء التراث العربي-بيروت، 5/231.

ترك، تنفقوا، حب الخير، وهي دالة على المال أي أن السياق الحاصل بالانتفاع هو الذي حدد معنى الخير، لأن ترك الميت يكون لما يُورَث وهو المال، والإنفاق يقع بالمال أيضا، وأكثر ما يحب الإنسان المال .

فالخير يدل في هذه الآيات على المال سواء كان مالا كثيرا أو قليلا، وهذه الألفاظ الدارجة في سياق الإنفاق وحب التملك والتوريث هي التي أعطت مدلولات للتركيب النحوي.

وقد عُدَّت دراسة التراكيب النحوية للسياق القرآني منهجا متمما لمناهج المفسرين في التفسير، سواء منها ما غلب عليها الطابع البلاغي أو الطابع الفلسفي أو الطابع اللغوي، فالتراكيب النحوية هي السبيل للوصول إلى المعاني البلاغية[1].

واتضاح الاتجاه المعنوي للنحو الذي يعتمد النص القرآني مصدرا أوليا له حيث يتعدى فيه دراسة التراكيب دراسة شكلية ويتعدى فيه مجرد الوقوف على العلامات الإعرابية لأواخر الكلم إلى الاهتمام بقواعد بناء الكلام وربطه و الاهتمام بعوارض تأليف الجمل كالتقديم و التأخير، والحذف والذكر، والفصل و الوصل . وهو ما يتجلى لدى أبي عبيدة معمر بن المثنى في كتابه مجاز القرآن والجرجاني في دلائل الإعجاز، خدم البلاغة بشكل كبير[2].

فهذا الربط بين التركيب النحوي للمفردات و استخلاص المعاني من خلاله، يوضح تفنن المفسرين في مزاوجتهم لدراسة التراكيب بين المعاني والألفاظ وانتقالهم من مستوى دراسة التركيب منفردا إلى دراسته وفهم معناه من خلال باقي التراكيب تجسيدًا لفكرة النظم التي جاد بها الجرجاني، وذلك راجع إلى الأسلوب القرآني المعجز وفيضه الذي لا يتوقف عند حد المفردة أو الجملة أو النص.

لكن اتسام الدراسات اللغوية القديمة بالنظرة المعيارية، على الرغم من الجهود العظيمة في مجال ضبط النحو وتقعيده، وفي المجال البلاغي الذي زاوج بين النحو التركيبي والمعنى الذي ينساق عنه، فإن التطور الحاصل في النظريات اللغوية الحديثة أظهر دعوات مطالبة بتجاوز حدود تلك الدراسات القديمة مع عدم التنكر للموروث القديم الذي أعان في فهم القضايا الحديثة[3].

1- ينظر: إبراهيم عبد الله رفيدة، النحو وكتب التفسير، الطبعة الثالثة 1399 هـ/1990م، الدار الجماهرية- ليبيا، 563/1.

2- ينظر: إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، تقديم محمد حماسة عبد اللطيف، 2013م – القاهرة مكتبة الآداب، 16/11.

3-ينظر: فلاح حسن كاطع، التكوينات النحوية، ص24.

ومع هذه النظريات اللغوية الحديثة انساقت الدراسات الحديثة نحو دراسة التراكيب على مستوى النص . والنص في اللغة هو:«رفعُك الشيء، ونَصَ الحديث نصا :رفعه، وكل ما أظهر فقد نص»[1].

أما اصطلاحا : «ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي، ويغتم بغمي كان نصا في بيان محبته»[2].

وفي الدراسات اللسانية يعتبر النص عبارة عن :«سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة، وتشكل وحدة تواصلية»[3]، حيث احتلت النصية (TEXTUALITE) مكانا مرموقا في الدراسات اللسانية، فهي تسعى إلى تحديد وسائل بناء النص، وآليات انسجام الخطاب واتساقه، وتحقيق التماسك النصي بين وحدات الأبنية اللغوية[4].

وهذه الدعوة الجديدة للانتقال من حدود البنية التركيبية للجملة إلى البنية النصية لاقت رواجا لدى المدارس النقدية الحديثة، ففي القرن العشرين ظهر العالم السويسري دي سوسير (ت 1913 م) الذي يعد مؤسس علم اللغة الحديث، ونظر للغة على أنها كيان مستقل لا يمكن تجزئة عناصره، كما ظهر رائد النظرية التوليدية التحويلية نعوم تشومسكي، وتعد نظريته من أعمق و أوسع النظريات الحديثة، التي أقامها على أساس دراسة البنى و التراكيب اللغوية[5].

والمنهج التحويلي لدى تشومسكي يقوم على فرضيتي البنية العميقة والبنية السطحية للغة، والعلاقة القائمة بين باطن وظاهر التركيب وبهذا تكون الجملة مشتقة من تركيب آخر[6].

1- ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الثالثة 1414هـ، دار صادر-بيروت، 97/7.

2- الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات:1 /241.

3- النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، ص111، عن القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان : أوزوالد ديكرو، وجان ماري شايغر ، ترجمة منذر عياشي، ص533، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية -2007م.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص17، عن لسانيات النص، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي-المغرب، الطبعة2006 م، ص 11-16.

5- ينظر: عاطف فضل، مقدمة في اللسانيات، ص62،63 و79.

6 - ينظر: زكريا ميشيل، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، الطبعة الأولى1982م، مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ص78.

و«البنية العميقة تحتوي على جملة من الجمل، وعلى أعداد متعددة منها، بينما تكون البنية السطحية هي التجسيد الحسي لتلك الجمل التي تظل في مجال الإمكان»[1].

فجملة: الله الذي لا يُرَى خلق العالم المرئي.لها جمل أصولية تسمى نواة لكل منها معنىً خاص. وهذه الجمل هي: الله لا يُرى، العالم المرئي، خلق الله العالم. فمجموع هذه الجمل يمثل البنية العميقة.وعندما تمثل بوحدات متتابعة تشكل البنية السطحية[2]. ويتم إنجاز البنية السطحية بواسطة عناصر التحويل كما عرضها تشومسكي وهي:-الترتيب،-الزيادة،-الحذف،- التبعية،- الإحلال[3].

كما أن شارل بالي مؤسس علم الأسلوبية في المدرسة الفرنسية قرر أن في دراسة التراكيب اللغوية من غير المنطقي القبول بفكرة أن لكل تركيب في حالته اللغوية الخاصة دلالة أساسية ثابتة يحافظ عليها في كل استعمالاته، بل لابد من الرجوع إلى منشأ هذه العلامة وفق التركيب الكامل[4]. واعتمد ريفاتير أحد منظري الأسلوبية البنيوية على نموذج اللسانيات البنيوية في دراسته دراسته للتراكيب اللغوية للنص، وريفاتير انطلق من امتدادها من الجملة إلى النص أي من نص المؤلف إلى نص القارئ، حيث يدعو إلى الاهتمام لاستجابة القارئ للنص، الذي بوسعه أن يشكل دلالات جديدة من خلاله[5]. لذا أصبح النص من منظور اللسانيات عبارة عن بنية شاملة، لا يتحقق المعنى المبتغى من النص إلا بتحليل شامل لمركباته، وتتجلى وظيفته من خلال علاقته بالنظام اللغوي وبمؤلفه ومتلقيه[6].

وعلى الرغم من هذا التطور الذي انتهى إليه اللسانيون، إلا أن هذه الرؤى النصية هي في الواقع مسبوقة بنظرات متناثرة من قبل العلماء العرب حيث لا يمكن إنكار الدور الهام الذي قام به البلاغيون والمفسرون في خلق أفكار وتصورات في غاية التقدم تربط تراكيب النص وفق نظرة شاملة، وخاصة فيما يتعلق بالكشف عن أسرار النص القرآني، فكان لهذه التصورات تأثير واضح

1- عيد رجاء، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، الإسكندرية: منشأة المعارف 1993م، ص57.

2- عاطف فضل، مقدمة في اللسانيات: ص 82.

3- ينظر: خليل عمايرة، في نحو اللغة العربية و تراكيبها، الطبعة الأولى1404هـ-1984م، عالم المعرفة-جدة، ص66،67.

4- ينظر: عياد شكري، اتجاهات البحث الأسلوبي، الطبعة الأولى1958م، ترجمة وإضافة الرياض-دار العلوم، ص39.

5- ينظر: حسن غزالة، الأسلوبية والتأويل والتعليم،كتاب الرياض مؤسسة اليمامة الصحفية -1998م، ص50.

6- ينظر: حسين خمري، نظرية النص ، الطبعة الأولى1428هـ/2007م، الدار العربية للعلوم ناشرون- الجزائر.

في محاصرة النظرة العربية القديمة للنص فقد « أثبتت الدراسات اللسانية المعاصرة أن العلماء العرب قدموا نظرية نحوية نصية متكاملة في كتب الإعجاز القرآني، وكتب البلاغة و النقد الأدبي وعلوم التفسير وعلوم القرآن»[1].

وعلى رأس هؤلاء العلماء عبد القاهر الجرجاني، فهو أول من اعتمد التحليل البنيوي للنص، لإثبات الإعجاز القرآني، فقد بدأ في تحليله لبنية النص، بالمفردة، والجملة ومكوناتها وأنظمة الربط بينها، كما تنبه لظاهرة البنية السطحية، والبنية العميقة وهو بذلك فتح السبيل أمام الدراسات اللغوية التي سلكت هذه الرؤية في مسارها لتبلغ مرحلة النضج في القرنين السادس والسابع الهجريين، فالزمخشري في تفسيره الكشاف كان ينظر إلى الأمر نظرة شمولية تعنى بدقة التراكيب ومعناها، وهذه الطريقة في تحليل النص القرآني ظلت منهجا يتبعه المفسرون[2].

يقول الجرجاني في عرضه للمعنى الذي ينجلي من الجملة: أن تقول:«المعنى ومعنى المعنى. تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ ، والذي تصل إليه بغير واسطة. وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى،ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر»[3].

حيث اصطلح الجرجاني بظاهر اللفظ على(الدلالة الظاهرة): ونعني بالدلالة الظاهرة المعنى الذي يعطيه ظاهر اللفظ مثل سافر محمد ونام خالد ونحو قوله تعالى:﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة:275][4]، وهذا ما اصطُلِح عليه في الدراسات الحديثة بالبنية السطحية.

أما معنى المعنى (الدلالة الباطنة): فهي الدلالة التي تُؤدَى عن طريق المجاز والكنايات والملاحن والإشارات، وما إلى ذلك، كقوله (رمتني بسهم ريشه الكحل) أي بنظرة من عين مكحولة وقوله (بعيدة مهوى القرط) أي طويلة العنق[5]، وهذا ما اصطُلِح عليه بالبنية العميقة.

1- هناء محمود إسماعيل، النحو القرآني في ظل لسانيات النص: ص181.

2-ينظر: المرجع نفسه، ص53-54.

3- عبد القاهر الجرجاني، دلال إعجاز، 263/1.

4- فاضل السامرائي، معاني النحو، ص 19.

5- المرجع نفسه: ص19.

النفي عند النحاة والبلاغيين والمفسرين:

يعد مبحث النفي من المباحث التي نالت اهتمام وعناية الدراسات اللغوية القديمة والحديثة، حيث اعتمد العلماء في دراسة النفي على علاقته بالإثبات إذ «نجد نزعة في جل النظريات النحوية والبلاغية قديما وحديثا إلى حمل النفي على الإثبات فمن الأصول التي يمكن افتراض أنها أصول كلية اعتبار الإثبات أصلا فرعه النفي»[1]. وهذا يعني أن الدراسات اللغوية اعتبرت النفي فرعا من الكلام الذي أصله مثبت، فالإثبات هو الأصل في الجملة.

وهذا التصور راجع إلى كون الإثبات لا يحتاج دليلا من اللفظ ليدل عليه فهو كغيره من الأساليب التي تدخل على الكلام [2].

ولم يهتم النحاة في كتبهم ومصنفاتهم به وأنماطه المختلفة، وإنما جاءت أدواته مبثوثة ومتفرقة ضمن موضوعات النحو المتشعبة[3]، وكانت رتبة هذه الأدوات في الجمل من الأولويات التي ركزوا عليها فاحتلت فكرة الصدارة (تصدر النفي للجملة بالحرف) مقصد النفي عند النّحاة، فالصدر بالحرف يدل على أمرين أحدهما تغيير معنى الكلام، وذلك يقتضي اعتبار الإثبات أصلا وبقية أنواع الكلام بما فيها النفي فروعا لأن تغير معنى الكلام يعقب الانتقال به من الإثبات إلى غيره من المعاني، أما الأمر الثاني فهو التأثير في مضمون الكلام وذلك يتعلق بالبنية الإعرابية الدلالية[4].

وهذا يعني أن النّحاة اعتبروا أن أي جملة لا يتصدرها حرف النفي وإن وجد في الجملة هي جملة مثبتة، وبالرغم من تفطنهم إلى فكرة أن صدارة النفي لها أهمية في التأثير على مضمون الكلام، أي على التراكيب النحوية وعلاقتها بالمعنى ظل اهتمامهم منصبا على أدواته ووظائفها.

وقد تناول النحاة أدوات النفي وفق ما يلي:

1- (لا، ما، إن، لات) حيث درست في باب المرفوعات مرة باعتبار اسمها يعمل عمل (ليس)، وفي باب المنصوبات مرة أخرى باعتبار خبرها.

2- (ليس) وضعت مع (كان) لأنها تعمل عملها، على الرغم من أن (كان) للمضي وتفيد الإثبات أما (ليس) للحال في غالب استعمالها وتفيد النفي.

1- شكري المبخوت، إنشاء النفي، مركز النشر الجامعي- تونس2006م، ص 49 .

2- ينظر المرجع نفسه : ص49.

3- زين كامل الخويسكي، الجملة الفعلية المنفية في شعر المتنبي، ص03.

4 - ينظر: إنشاء النفي، ص:101.

3- (لم، لـمّا) درستا كأداتي جزم للفعل.

4- (لن) في نصب الفعل[1].

يقول إبراهيم مصطفى في نقد المنهج الذي سار عليه النحاة في دراسة أدوات النفي:« ولو أنهم جمعت في باب وقرنت أساليبها و ووزن بينها وبين ما ينفي الحال وما ينفي الاستقبال وما ينفي الماضي وما يكون نفياً لمفرد، وما يكون نفياً لجملة، وما يخص الاسم وما يخص الفعل وما يتكرر لأحطنا بأحكام النفي وفقهنا أساليبها ولظهر لنا من خصائص العربية ودقتها في الأداء شيء كثير أغفله النحاة وكان علينا أن نتتبعه ونبينه»[2].

ولعل هذا يدل على أن النّحاة أغفلوا البحث في أساليب النفي والسياق المترتب عنه، كما أغفلوا البحث في أبنية المفردات وتراكيب الجمل المنفية، بل اهتموا بأدواته وأحكامها.

أمّا البلاغيون باعتبارهم الفئة اللغوية التي بحثت في العلاقات الناجمة عن ارتباط التركيب النحوي بالمعنى الدلالي في علم المعاني، ومن خلال الباب الواسع الذي فتحته نظرية النظم لتكون مسرحا أدى فيه البلاغيون قدرهم على التحليل البلاغي للتراكيب ودلائلها، فإنهم في مبحث النفي تفوقوا تارة أخرى على غيرهم من النّحاة، لأنّ دراساتهم للنفي وفق تراكيبه وجمله كان السبيل للوصول إلى مقاصده البلاغية.

ولم يتجاوز البلاغيون فكرة الصدارة التي اعتمدها النّحاة في دراسة النفي وإنّما زادوا عليها أن ربطوها بالأداء الخطابي للتراكيب، فالفخر الرازي اعتبر لتصدر النفي للجملة دورا وظيفيا ينعكس على السياق إذ يقول: «النفي إذا أدخلته على الفعل فقلت: ما ضربت زيداً كنت قد نفيت فعلاً لم يثبت له مفعول، لأنّك نفيت عن نفسك ضربا واقعاً بزيد، وذلك لا يقتضي كونه مضروب بل ربّما لا يكون مضروباً أصلاً وإذا أدخلته على الاسم كقولك: ما أنا ضربتُ زيداً، لم تقله إلا وزيد مضروب، وكان القصد أن تنفي أن تكون أنت الضارب»[3].

وهذا يدل على أن المقدم الذي يلي أداة النفي مباشرة هو الذي يتركز عليه النفي. وبما أنّ هذا التقديم حاصل بين عناصر الجملة فقد حضيَّ مبحث التقديم والتأخير بين التراكيب في الجملة

1- ينظر: أحمد البقري، أساليب النفي في القرآن ، ص 13.

2- إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص5.

3- فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز، تحق نصر الله حاجي مفتي أوغلى ، الطبعة الأولى1424هـ-2004م، دار صادر-بيروت، ص186.

باهتمام البلاغيين، فالتقديم والتأخير من المباحث التي قرنها عبد القاهر الجرجاني بفكرة النظم إذ يشيد به في قوله:« هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويقضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقفه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطّف عندك أن قدم وحوِّل اللفظ من مكان إلى مكان»[1].

وقد نظر عبد القاهر الجرجاني في مواقع التراكيب وما تصنعه من تغيير يؤدي إلى إبراز الدلالات البلاغية الناجمة من خلال ذلك. فتقديم متعلقات الفعل عليه، بغية توجيه النفي نحوها راجع إلى تعلق النفي بها كتقديم المفعول به على فعله للتأكيد على نفيه بالخصوص «فإذا قلت: ما ضربتُ زيداً، فقدّمت الفعل كان المنفي أنّك قد نفيت أن يكون قد وقع ضرب منك على زيد ولم تعرض في أمر غيره لنفي أو إثبات وتركته مبهما محتملا، وإذا قلت ما زيد ضربت: فقدمت المفعول كان المعنى على أن ضربا وقع منك على إنسان وظن أن ذلك الإنسان زيد فنفيت أن يكون إيَّاه»[2].

أما التقديم والتأخير الحاصل في تقديم الجار والمجرور على الفعل فله معنىً دلالي مختلف ففي القول « ما أمرتك بهذا : كان المعنى على نفي أن تكون قد أمرته بذلك ولم يجب أن تكون قد أمرته بشيء آخر، وإذا قلت: ما بهذا أمرتك كنت قد أمرته بشيء آخر»[3]. وهذا يعني أن تقديم الفعل على باقي المعمولات بعد أداة النفي أو تقديم المعمولات عليه مباشرة بعد أداة النفي، يفيد اختصاص النفي بهذا المقدم.

وفي مسألة نفي العموم ذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أن تقديم أدوات العموم على النفي راجع إلى كون موقع هذه الأدوات هو الصدارة يقول:« واعلم أنك إذا أدخلت كلا في حيز النفي، وذلك بأن تقدم النفي عليه لفظاً أو تقديراً، فالمعنى على نفي الشمول دون نفي الفعل والوصف نفسه. وإذا أخرجت كلا من حيز النفي، ولم تدخله فيه لفظاً ولا تقديراً كان المعنى على أنّك تتبعت الجملة فنفيت الفعل والوصف عنها واحداً واحداً »[4].

وهو ما وافقه عليه القزويني (ت 739هـ) فهو يرى أن تصدر أدوات العموم متعلق بوظيفتها، ومثل ذلك قولنا: (مثلك لا يبخل)، (غيرك لا يجود)، فلمَّا كانت الكناية أبلغ من التصريح في

1- دلائل الإعجاز: 106/1.

2- دلائل الإعجاز: 126/1.

3- المصدر نفسه:127/1.

4- المصدر نفسه:284/1.

إبلاغ المعاني، كان تقديم أدوات العموم أعون في تقريب وخدمة المعنى المبتغى منها[1]. ورأي الجرجاني في نفي العموم الذي ذهب إلى أن مقتضاه خصوص الإثبات، في نحو القول: (لم يأت كل القوم) بأن أتاك بعضهم[2]. خالفه فيه الفخر الرازي ، حيث يقول: «وليس الأمر كذلك، إلا عند من يقول بدليل الخطاب، بل الحق أن نفي العموم كما لا يقتضي عموم النفي، لا يقتضي خصوص الإثبات»[3].

وقال السبكي (ت763هـ):« التقديم دليل على العموم نحو: كل إنسان لم يقم فإنه يفيد نفي الحكم عن كل واحد بخلاف لم يقم كل إنسان فإنه يفيد نفي الحكم عن جملة الأفراد، أي عن مجموعها لا عن كل فرد، أي لا ينفيها عن كل فرد إنما ينفي المجموع، وهو يصدق بنفي فرد واحد»[4]. كما ذهب سعد الدين التفتازاني (916هـ) إلى مخالفة الجرجاني، فنفي العموم عنده لا يستلزم ذكر البعض، ويرى في ذلك أن هذا الحكم أكثري لا كلي، إذ لا يتعلق الفعل ببعض، واستدل بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: 23][5].

بهذه الطريقة عالج البلاغيون مبحث النفي، بالبحث والانشغال في دلالات الجمل المنفية متكئين في ذلك على مبحث التقديم والتأخير الحاصل في الجملة المنفية والمعاني الناجمة من خلال ذلك. أمّا المفسرون وبمنهجهم الذي يجمع بين النحو والبلاغة في دراسة وتفسير النصوص القرآنية فقد استطاعوا أن يقفوا على الكثير من النكت في مبحث النفي.

فالزمخشري في كشافه أشار إلى أن النفي قد يأتي في صورة الإثبات وهو حينئذ يدل على أبلغ الجحود والإنكار، حيث يرى في قوله تعالى: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولٗا ﴾ [الفرقان:41]، أن بعث الله للرسول صلى الله عليه وسلم في معرض التسليم والإقرار وهم على غاية الجحود

1- ينظر: جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق:محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثالثة دار الجيل- بيروت، 73/2.

2- ينظر: دلائل الإعجاز، 280/1.

3- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ص192.

4- السبكي، عروس الأفراح، تحق خليل إبراهيم خليل، الطبعة الأولى1422هـ- 2001م، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 355/1.

5- ينظر: التفتازاني، مختصر المعاني، مع الحاشية لشيخ الهند محمود حسن، الطبعة الأولى1431هـ/2010م، مكتبة البشرى،كراتشي-باكستان، ص210.

والإنكار سخرية واستهزاء ولولا ذلك لقالوا:(أهذا الذي ادعى أنه مبعوث من عند الله)[1]، كما تفطن الزمخشري إلى أن الفعل قد يقدم بعد النفي دون أن يفيد ذلك الاختصاص، وإنّما يراد نفيه في كل الأحوال يقول في قوله تعالى:﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:197]، والمراد بالنفي وجوب انتفاءها وأنها حقيقة بألا تكون[2].

وقد تجاوز الزمخشري الوقوف عند العلاقة القائمة بين أدوات النفي وما تحدثه في التركيب، إلى الدلالة العامة الحاصلة من السياق. ففسر النفي في قوله تعالى:﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء:19]، بأن ما نُفي هو الاستحسار وهو المبالغة في الحسور، في حين أن المبتغى نفي أدنى حسرة تلحق بهم لا أبلغها، فالقول بالإستحسار يدل على وجوب غاية الحسور، فتلك العبادات الباهظة قد تصيبهم بأسباب الحسور كالضعف والتعب[3].

وهذا يبين أن الزمخشري يحلل الأساليب المنفية باختلاف صورها، بتحليلات ذات دلالات جديدة متعلقة بالسياق المذكور، وهذا راجع إلى المنهج التفسيري الذي يعمل على النظر في معاني النص القرآني ككل، وتبقى طبيعة النصوص القرآنية هي العامل الذي أسهم في هذا الإبداع الفكري. ونعتمد في دراستنا للنفي على أهم ما قاله المفسرون وعلى رأسهم الزمخشري باعتباره المرجع الأساس لكل المفسرين الذين جاءوا بعده فهو إمام البلاغة والنحو، لذا سنكتفي بذكره دون بقية المفسرين في هذا المدخل وسنتناول بقية المفسرين في فصول هذا البحث.

النفي في الدراسات اللغوية الحديثة:

مع ظهور الدرس اللغوي الحديث الذي ثار على تقادم الدراسات اللغوية التقليدية، كان لمبحث النفي فرصة تحليلات جديدة، يعتمد فيها على دعوات اللسانيات النصية بضرورة تجاوز حدود الجملة. فالدراسات الحديثة اتخذت من المعنى أساسا لها في دراستها، ولهذا استقل بوصفه أسلوبا فهناك من عرفه : بأنه أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار

1- ينظر: الزمخشري، الكشاف، الطبعة الثالثة1407هـ، دار الكتاب العربي- بيروت، 281/3.

2- ينظر: الكشاف، 243/1.

3- ينظر: الكشاف، 3 /108.

يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، وعُرِف أيضا بأنه باب من أبواب المعنى يهدف به المتكلم إخراج الحكم في تركيب لغوي مثبت إلى ضده[1].

و المباحث التي تقع بين النحو والبلاغة كعلم المعاني عادة ما تربط بالتداولية اللغوية[2]، ولهذا كان لعلماء اللسانيات التداولية اهتمام كبير بالنفي، فنجد منهم من درسه من خلال الربط بينه وبين الخبر والإثبات، ما يُوحِي أن خصائص عمل النفي هي خصائص عمل الخبر عامة والإثبات خاصة، فسورل (صاحب نظرية العمل1972م) الذي جعل قواعدا لتحديد الأعمال اللغوية، لم يذكر النفي في الجدول الذي وضعه لتوضيح شروط أهم الأعمال اللاقولية، فلم يعتبره بذلك عملا لغويا قائما بذاته[3].

في حين نجد موشلار أحد أعلام اللسانيات التداولية، اقترح وجود عمل لغوي يسمى النفي سنة 1996م، واعتبر ذلك راجعا إلى كون أعمال النفي لا توافق أعمال الإثبات، ومن ثمة لا يمكن أن تكون شروط تحقق عمل النفي عكس شروط تحقق عمل الإثبات، فهو ميز بين عمل النفي وعمل الإثبات[4]. إن هذه التصورات للنفي باعتباره أسلوبا أو عملا لغويا أم لا راجع لحمله على المعنى، وهذه النظرة الحديثة راجعة كما أشرنا قبل هذا إلى اعتقاد المحدثين ضرورة تجنب اعتماد النحو في دراسة النصوص وبالأحرى تجنب معيارية النحو ، وفي مطلق الأحوال ظلت دراسة النفي قائمة على علاقته بالإثبات.

وباعتبار النظرية التوليدية التحويلية من أهم النظريات اللغوية الحديثة، فطبيعي أن يسعى اللغويون إلى تطبيق قواعدها على الجملة، وعلى الجملة العربية خاصة تباينت آراء الباحثين العرب في تطبيق قواعد هذه النظرية إذ «منهم من اتبع خطى تشومسكي المعتمد على تمثيل القواعد بما يسمى المشجر. ومنهم من حاول أن يحلل الجملة تحليلا يقوم على مخطط تقليدي فيه بعض التحسينات وغيرها من المحاولات التي تصل إلى تحليل الجملة وفهمها»[5].

1- ينظر: فلاح حسن كاطع، التكوينات النحوية للمجاز المرسل ، الطبعة الأولى- 2008م، دار الكتب العلمية-بيروت، ص227.

2- ينظر: شكري المبخوت، إنشاء النفي، ص27.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 153.

4 - ينظر: المرجع نفسه، ص 183.

5 - عاطف فضل، مقدمة في اللسانيات: ص 134.

ونجد خليل عمايرة من بين الباحثين العرب الذين أخذوا بالنظرية التوليدية التحويلية، فقد استعان بها في تحليل الجملة، واعتبر الجملة العربية تتحول من العمق إلى السطح بالعناصر التالية لأن عناصر التحويل في اللغة العربية تختلف عنها في باقي اللغات:

– الترتيب: وهو من أبرز عناصر التحويل وأكثرها وضوحا، لأن المتكلم يعمد إلى مورفيم حقه التأخير في ما جاء عن العرب فيقدمه، أو إلى ما حقه التقديم فيؤخره طلبا لإظهار ترتيب المعاني في النفس[1].

– الزيادة: وهو ما يضاف إلى الجملة النواة من كلمات، يعبر عنها النحاة بالفضلات أو التتمات، ويعبر عنها البلاغيون بالقيد، يضاف إلى الجملة الأصل لتحقيق زيادة في المعنى[2].

– الحذف: ويقصد بالحذف عنصرا من عناصر التحويل، نقيضا للزيادة، فكما أن الزيادة هي أية زيادة على الجملة التوليدية النواة لتحويلها إلى جملة تحويلية لغرض في المعنى، فإن الحذف يعني أي نقص في الجملة النواة التوليدية الاسمية أو الفعلية لغرض في المعنى، وتبقى الجملة تحمل معنىً يحسن السكوت عليه[3].

– الحركة الإعرابية: هي ظاهرة موجودة في العربية منذ أقدم العصور، تشير إلى معان مرتبطة بحالات: الرفع والنصب والجر، فهي موجودة في اللغة فونيمات أصلية، ينطق بها العربي ليفيد معنىً معيناً، ثم يغيرها ليفيد الفونيم الجديد معنى جديدا[4].

– التنغيم: من عناصر التحويل حيث تتغير النغمة الصوتية للتركيب بتغير الحركة الإعرابية أو باقي عناصر التركيب فالتقديم والزيادة يجعل نغمة التركيب صاعدة، والحذف والتأخير يخفف من عُلُوِّها[5]. فمبادئ التوليدية التحولية تعمل على العلاقة القائمة بين التراكيب ولذا فإن إمكانية دراسة النفي في ضوئها ووفقا لمنهجها في تحليل الجملة قد يكشف المزيد من مزايا النفي.

وفي دراستنا للنفي بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية في هذا البحث سنعتمد على هذه النظرية لتبيان قواعد التحويل في اللغة العربية من الآيات القرآنية، مستندين في ذلك إلى خطوات

---

[1] – ينظر: خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها، ص88.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص96.

[3] – ينظر:المرجع نفسه، ص134.

4– ينظر: المرجع نفسه، ص149.

5 – ينظر: المرجع نفسه، 162،161.

التحليل التي انتهجها خليل عمايرة دون التوسع في جزئيات النظرية، والبحث الذي قدمه فلاح كاطع إذ مثل لهذه النظرية في آيات الذكر الحكيم في كتابه التكوينات النحوية للمجاز المرسل.

ونشير إلى أن إدراج هذه النظرية في بحثنا لا من قبيل إثبات قابيلية هذه النظرية للتطبيق على القرآن الكريم وإنما لإثبات احتواء القرآن الكريم على كل نفيس يمكن لِلُّغَوِيٍ أن يتوصل إليه، فهو يَعلُو ولا يُعلَى عليه، وليس بالضرورة أن تكون هذه المبادئ خالصة في ذاتها لتطبق على النص المقدس، ولهذا أدرجناها في دراستنا للتراكيب في مبحث الجملة الفعلية المنفية والجملة الاسمية المنفية بتحفظ ووفق ما أقره المفسرون وعلماء العربية.

كما أن اعتمادنا عليها لأن تتبع خواص التراكيب من علم المعاني يعد أساسا للبلاغة كما سبق و أشرنا، والتوليدية التحويلية تنظر في التحويلات القائمة ضمن التراكيب وبالتالي لا تخرج عن الإطار العام للبلاغة.

الفصل الأول

الفصل الأول

النفي حقيقته وأقسامه وأدواته:

1- معنى النفي ، حقيقته والألفاظ المتعلّقة به (الجحد- السلب – العدم- النهي).

2- الفرق بين النفي والجحد - 3- الفرق بين النفي والنهي.

4- الاستفهام الإنكاري وعلاقته بالنفي.

5- معنى الإثبات والعلاقة بينه وبين النفي.

6- معاني: معاني الاستدراك والإضراب والاستثناء.

7- أقسام النفي : -أ- النفي الصريح ... ب- النفي الضمني.

8- أدوات النفي ووظائفها: أ- الأدوات الدالة أصالة على النفي.

ب- الأدوات المتضمِّنة للنفي.

1- معنى النفي ، حقيقته والألفاظ المتعلّقة به (الجحد- السلب- العدم- النهي) .

يحتل أسلوب النفي مكانة عظيمة بين الأساليب البلاغية، لكونه أسلوباً بلاغياً ضرورياً كأسلوبي الشرط والاستفهام وغيرهما من الأساليب البلاغية، إلا أنّ أكثر الدارسين من أهل البلاغة اقتصرت دراساتهم على الفنون البلاغية الأخرى دون تخصيص جانب مستفيض للنفي، مع ما له من تأثير في الدرس البلاغي، باستثناء عبد القاهر الجرجاني الّذي خصّص له حيِّزاً هاماً عنونه بـ: فصل في النفي والإثبات، وتلا هذا الفصل بفصول يشرح فيها أدوات النفي وما تعلّق به من أدوات أخرى كـ(إنّما) و (لا) العاطفة و(ما) النافية ، والزركشي الذي خصص له في كتابه "البرهان في علوم القرآن" جوانب مهمّة للحديث عنه، كما ضمَّن عناوين أخرى تتعلّق به كالاستفهام والقصر والاستثناء، وكذلك الأمر مع جلال الدين السيوطي الذي لم يُقصِّر كعادته في الحديث عن أبواب البلاغة وفنونها فأدلى بدلوه ليكتشف بعض أنواع النفي الّتي لم تكن محدّدة ضمن أنواع النفي كنفي الموضوع، حيث يرى أنَّ هذا النوع من مخترعاته[1]، وسنتحدّث عن هذا الأمر في مبحث أنواع النفي.

أما في العصر الحديث فقد ظهرت دراسات مختلفة خصّصت جانباً وافراً للنفي وأنواعه، منها: النفي ومداخله في كلام العرب لإبراهيم عبد الرزاق بسيوني وهو مخطوط بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر، والأستاذ بسيوني كباحث متخصِّص في هذا الموضوع وصاحب رسالة قيِّمة في النفي ومداخله في كلام العرب لم يعقد مقارنة ولو بسيطة بين أساليب النفي وأغراضه في القرآن الكريم، ولكن الصبغة النحوية الصرفة هي الغالبة على البحث[2]، كما أن هنا ك كتابا آخر هو أساليب النفي في العربية ، دراسة وصفية تاريخية لمصطفى النحاس[3]، وكتاب أساليب النفي في القرآن لأحمد ماهر البقري[4]، ولم تكن هذه الرسالة إلا حديثاً عن أدوات النفي واختلاف النحاة

1- جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، القاهرة: 1358هـ/1939م، ص: 141، وينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها طبعة 2007، مكتبة لبنان ، ناشرون، ص: 664.

2- ينظر: عبد الجليل عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم، الطبعة الأولى: 1401هـ/ 1981م، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان، الأردن، ص: 271.

3- طُبِعَ بمؤسسة الصباح بالكويت ، 1399هـ / 1979م .

4- طُبِعَ بدار المعارف بالقاهرة والمكتب العربي الحديث بالإسكندرية سنة 1989م،

حولها، وهو قد بذل جهداً لا بأس به في حصر المواضع التي وردت فيها كلّ أداة من أدوات النفي في القرآن الكريم[1]. وكتاب أساليب النفي والاستفهام في العربية لخليل عمايرة[2]، وكتاب أساليب النفي في اللّغة العربية، للسيّد عبد الهادي إبراهيم[3]، كما نجد بعض الدراسات البلاغية التي تناولت أساليب النفي كفن بلاغي، له تأثيره الأسلوبي في الخطاب ، ككتاب "دراسات في البلاغة العربية" لعبد العاطي غريب علاّم، الّذي خصّص قسطاً معتبراً لما ذكره عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز عن النفي والإثبات وعلاقتهما بالفنون البلاغية الأخرى كالاستفهام والاستثناء.

معنى النفي وحقيقته:

النفي باب من أبواب المعاني يقصده المتكلّم ليخرج حكماً في تركيب لغوي مثبت إلى ضدّه، ويتحقّق النفي في الكلام بدخول إحدى أدوات النفي عليه، ولهذا فهو من أقسام الخبر مقابل الإثبات والإيجاب، ويقول فخر الدين الرازي (ت606 هـ): «النفي هو الإخبار عن عدم الشيء والإثبات هو الإخبار عن وجوده»[4]، وهذا في نظر بعض الدارسين تعريف بعيد عن الصواب، حيث نجد أنّ النفي ليس قاصراً على الإخبار بعدم الشيء ، بل قد يكون الشيء منتفياً في ذاته، فلا يحتاج إلى الاقتران بالإخبار عنه بذلك لكي يكون نفياً[5].

وقد عرّفه الزركشي (ت794 هـ) بقوله: «شطر الكلام كلّه لأن الكلام إما إثبات أو نفي»[6].

1- ينظر: لغة القرآن الكريم، ص: 272.

2- طُبِعَ بدار الفكر بعمان الأردن.

3- طُبِع سنة 1941م بجامعة القاهرة، ينظر: إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللّغة العربية، الطبعة الأولى:1427هـ/ 2006م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 332/09.

4- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ، الملقب بفخر الدين الرازي، المحصول، دراسة وتحقيق: طه جابر فياض العلواني، الطبعة الثالثة: 1418 هـ /1997م ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 221/4.

5- ينظر: سالم ولد محمد أحمد، النفي والإثبات عند الأصوليين ، الطبعة الأولى: 1427هـ/ 2006م، مكتبة الرشد ناشرون- الرياض ، المملكة العربية السعودية، ص: 32.

6- أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى: 1376هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، مصر، 2/ 375.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) في مفهوم النفي: «نفيت الرّجلّ وغَيرَه نَفْياً إذا طردتَه، فهو منفيّ، قال الله تعالى: ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: 33]. ويقال: معناه: السّجْنُ. والانتفاء من الولد: أن يتبرّأ منه. والنُّفاية من الدّراهم وغيرها: المنفيّ القليل مثل البُراية والنُّحاتة. ونَفِيُّ الرّيح: ما نَفَى من التّراب في أُصُول الحِيطان ونحوِه، وكذلك نَفِيُّ الْمَطَر، ونَفِيُّ القدر»[1].

وقال أبو منصور الأزهري (ت 370هـ):«يقال نفيت الشيء أنفيه نفياً ونفاية إذا رددته»[2]. كما يفصِّل أحمد بن فارس (ت 395هـ) لفظة النفي بقوله: « (نفى) النون والفاء والحرف المعتل أصيل يدل على تعرية شيء من شيء وإبعاده منه. ونفيت الشيء أنفيه نفيا، وانتفى هو انتفاء. والنفاية: الردي ينفى. ونفي الريح: ما تنفيه من التراب حتى يصير في أصول الحيطان. ونفي المطر: ما تنفيه الريح أو ترشه. ونفي الماء: ما تطاير من الرشاء على ظهر المائح»[3].

فمعاني النفي عند من ذكرنا تتراوح بين معنى الطرد والسَّجن والردّ، وكأنّه الترك لشيء غير مقبول فلا يتواجد في الواقع، «والنفي باب من أبواب المعنى يهدف به المتكلم إخراج الحكم في تركيب لغوي مثبت إلى ضده وتحويل معنى ذهني فيه الإيجاب والقبول إلى حكم يخالفه إلى نقيضه، وذلك بصيغة تحتوي على عنصر يفيد ذلك ، أو بصرف ذهن السامع إلى ذلك الحكم عن طريق غير مباشر، من المقابلة أو ذكر الضد ، أو بتعبير يسود في مجتمع ما فيقترن بضد الإيجاب والإثبات»[4].

هذا ما ورد في معاني النفي وقد نجد ألفاظاً متعلّقة بالنفي كالسلب والجحد والعدم والنهي:

1- أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، 8/ 375.

2- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللّغة، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكاتب العربي: 1967م، القاهرة – مصر، 15/ 475.

3- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين، تح: عبد السلام محمد هارون، 1399هـ – 1979م، دار الفكر، بيروت، لبنان، 5/ 456.

4- خليل أحمد عمايرة، في التحليل اللغوي –منهج وصفي تحليلي، تقديم سلمان حسن العان، –مكتبة المنار –الطبعة الأولى : 1407هـ –1987م – الزرقاء، الأردن، ص: 154.

أ- **السلب**: السَّلْب في اللّغة مصدر سلب سلْباً «(سلب) السين واللام والباء أصل واحد، وهو أخذ الشيء بخفة واختطاف. يقال سلبته ثوبه سلبا. والسلب: المسلوب. وفي الحديث: «من قتل قتيلا فله سلبه» . والسليب: المسلوب. والسلوب من النوق: التي يسلب ولدها والجمع سلب. وأسلبت الناقة، إذا كانت تلك حالها. وأما السلب وهو لحاء الشجر فمن الباب أيضا ؛ لأنه تقشر عن الشجر، فكأنما قد سلبته»[1].

أما في الاصطلاح فهو نفي شيء عن شيء، وكأنّهم يجعلون النفي والسلب بمعنى واحد[2].

ب- العدم: لغةً: «العَدَمُ: فقدانُ الشيء وذهابه، والعُدْمُ لغة. إذا أرادوا التثقيل فتحوا العين، وإذا أرادوا التخفيف ضمُّوها. عَدِمْتُ فلاناً أَعْدَمُهُ عَدَماً، أي: فقدته أفقده فقداً وفقداناً، أي: غاب عنك بموت أو فقد لا يقدر عليه. وأَعْدَمَهُ الله مني كذا، أي: أفاتَه. ورجلٌ عديمٌ لا مالَ له، وقد عَدِمَ مالَه وفَقَدَهُ وذهَبَ عنه. والعديمُ: الفقيرُ، لأنّه فقد الغنى، وأَيِسَ منه، ويجوز جمعُه على: عُدَماء»[3]. والعدم فقدان الشيء ونقيض وجوده ، والمعدوم ما ليس بكائن ولا بثابت[4]. وكأنّهم جعلوا العدم خاصاً والنفي عاماً.

ج- الجحد: يقول الجوهري (ت393هـ): «الجُحودُ: الإنكار مع العلم. يقال: جَحَدَهُ حقّه وبحقّه، جَحْداً وجحودا والجحد أيضا. قلة الخير، وكذلك الجُحْدُ بالضم. وقال الشاعر:

لَئِنْ بَعَثَتْ أُمُّ الحُمَيدَيْنِ مائراً * لَقدْ غَنِيَتْ في غيرِ بُؤْسٍ ولا جَحْدِ

- والجَحَدْ بالتحريك مثله. يقال: نَكَداً له وجَحَداً. وجَحَدَ الرجل بالكسر جَحَداً، فهو جَحِدٌ، إذا كان ضيّقاً قليل الخير. وأجحد مثله. قال الفرزدق:

وبيضاء من أهل المدينة لم تذق * بئيسا، ولم تتبع حمولة مجحد.

- وعام جحد: قليل المطر. وجَحِدَ النبتُ: إذا قلَّ ولم يطل»[5].

1- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة : 3/ 92.

2- ينظر: ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه، تح:إحسان عباس، دار مكتبة الحياة – بيروت الطبعة الأولى 1900، ص:74.

3- الخليل بن أحمد الفراهيدي،كتاب العين، 56/2.

4- ينظر: معجم مقاييس اللّغة، 4/ 248 .

5- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة 1407 هـ /1987م، دار العلم للملايين – بيروت، لبنان، 451/2، 452.

وهناك من يفرِّق بين الجحد والإنكار حيث يقول أبو هلال العسكري (ت 395هـ): «الْفرق بَين الْإِنْكَار والجحد أَن الْجَحْد أخص من الْإِنْكَار وَذَلِكَ أَن الْجَحْد إِنْكَار الشَّيْء الظَّاهِر وَالشَّاهِد قَوْله تَعَالَى ﴿بِآيَاتنا يجحدون﴾ [الأعراف: 51] فَجعل الْجَحْد مِمَّا تدل عَلَيْهِ الْآيَات وَلَا يكون ذَلِك إِلَّا ظَاهرا وَقَالَ تَعَالَى ﴿يعْرفُونَ نعْمَة الله ثمَّ ينكرونَهَا﴾ [النحل: 83] فَجعل الْإِنْكَار للنعمة لِأَن النِّعْمَة قد تكون خافية وَيجوز أَن يُقَال الْجَحْد هُوَ إِنْكَار الشَّيْء مَعَ الْعلم بِهِ وَالشَّاهِد قَوْله﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل: 14] فَجعل الْجَحْد مَعَ الْيَقِين وَالْإِنْكَار يكون مَعَ الْعلم وَغير الْعلم»[1]. هذا هو الفرق بين الجحد والإنكار.

أما العلاقة بين الجحد والنفي فإنّ الأوّل هُوَ نَفْيُ مَا سَبَقَ ذِكْرُه[2]، ولذلك سميت اللام لام الجحود.

د- النهي:

يحمل النهي معاني كثيرة منها: الكف والسكون والابلاغ، جاء في مختار الصحاح «(النهي) ضد الأمر، و (نهاه) عن كذا ينهاه (نهيا) ، و (انتهى) عنه، و (تناهى) أي كف. و(تناهوا) عن المنكر أي نهى بعضهم بعضا. ويقال: إنه لأمور بالمعروف (نهو) عن المنكر على فعول. و(النهية) بالضم واحدة (النهى) وهي العقول لأنها تنهى عن القبيح. و (تناهى) الماء إذا وقف في الغدير وسكن. و(الإنهاء) الإبلاغ. و (أنهى) إليه الخبر (فانتهى) و (تناهى) أي بلغ. و (النهاية) الغاية يقال: بلغ نهايته. ويقال: هذا رجل (ناهيك) من رجل معناه أنه بجده وغنائه ينهاك عن تطلب غيره. وهذه امرأة (ناهيتك) من امرأة يذكر ويؤنث ويثنى ويجمع لأنه اسم فاعل. وتقول في المعرفة: هذا عبد الله ناهيك من رجل فتنصب ناهيك على الحال»[3].

1- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الفروق اللغوية، تح وتعليق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ص: 46.

2- ينظر: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد المعروف بابن النجار الحنبلي، شرح الكوكب المنير، تح: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الطبعة الثانية: 1418هـ - 1997 م، مكتبة العبيكان، الرياض، 256/1.

3- زين الدين أبو عبد الله محمد الرازي، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، الطبعة الخامسة 1420هـ / 1999م، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ص: 320.

إذن فالنهي في الاصطلاح يتوقف على معنى طلب الكف عن فعل الشيء، بالرغم من تعدّد معانيه واستعمالاته.

والنهي هو أسلوب من أساليب العربية يُعَبَّر به عن معنى من المعاني ويتم هذا النهي بوساطة الأداة (لا) التي تعمل على الربط بين أجزاء الجملة وتحمل هذه الأداة وظيفة الأسلوب أي أسلوب النهي، وأكثر النحاة يعد (لا) ناهية لأن النهي هو معناها أصالة، وهي تختص بالفعل المضارع وتحوِّله من الخبر إلى الإنشاء وتعمل فيه الجزم، «فهي العنصر المحوِّل لجملة النهي في مستويات التحليل النحوي، لأن التحول من البنية التحتية إلى البنية السطحية عبر هذه الأداة يقتضي تحويل المعنى من الإخبار المثبت في صيغة (يفعل) إلى الإنشاء المنفي في صيغة (لا تفعل»[1] وعدَّها سيبويه أداة للنهي فقال" :و(لا) في النهي وذلك قولك (لا تفعل) فهي بمنزلة (لم) وهي (لا) الطلبية عند ابن هشام[2]، ولا فرق في اقْتِضَاء لَا الطلبية للجزم بَين كَونهَا مفيدة للنَّهْي سَوَاء كَانَ للتَّحْرِيم كَمَا تقدم أَو للتنزيه نَحْو ﴿وَلَا تنسوا الْفضل بَيْنكُم﴾ وَكَونهَا للدُّعَاء كَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ [البقرة286] فهي حرف يختص بجزم المضارع ويخلصه للاستقبال.

2- الفرق بين النفي والجحد:

هناك فرّق بين النفي والجحد، إذْ ليس هما بمعنى واحد «والفرق بينه وبين الجحد أنّ النافي إنْ كان صادقاً سُمِّي كلامه نفياً ومنفياً أيضاً ولا يسمّى جحداً، وإن كان كاذباً سُمِّي جحدا ونفياً أيضاً، فكلُّ جحد نفي وليس كلّ نفي جحداً»[3].

وهذا: ما قاله الزركشي:«في الفرق بينه وبين الجحد قال ابن الشجري: إن كان النافي صادقا فيما قاله سمي كلامه نفيا وإن كان يعلم كذب ما نفاه كان جحدا فالنفي أعمّ، لأن كل

1- هاني صبري آل يونس، الأنماط التحويلية لجملة النهي، مجلة التربية والعلم، المجلد (15)، العدد (04) لسنة 2008، كلية التربية/ جامعة الموصل ، العراق، ص: 112.

2- ينظر: ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 328،329/3.

3- محمد علي التهانوي، موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف: رفيق العجَم، تح: علي دحروج، نقل النّص إلى العربية: عبد الله الخالدي، ترجمة: جورج زيناتي، الطبعة الأولى: 1996، مكتبة لبنان – ناشرون، 1722/2.

جحد نفي من غير عكس، فيجوز أن يسمى الجحد نفيا لأن النفي أعم ولا يجوز أن يسمى النفي جحدا»[1].

هذا تفريقهم للنفي والجحد والإنكار والجحد، وما نراه من تباين بين هذه المصطلحات، إذ لا تتساوى عندهم معانيها، مع ظنّنا بتداخلها أحياناً.

إذن فالنفي والجحد ليسا بمعنى واحد، فالنفي لا يكون إلا مع الصدق، أما الجحد فيكون قائله كاذباً، وشتان بين الصدق والكذب، والنتيجة هي أنّ كلّ جحد نفي وليس كلّ نفي جحداً.

3 – الفرق بين النفي والنهي:

بالرغم من تباين الفرق بين النفي والنهي إلا أنّه قد يلتبس التفريق بينهما، خاصة إذا جاء أحدهما في سياق يلتبس على القارئ تحديد معنى الأداة فيه، هذا إذا اتفقنا على أنَّ اللّبس يقع بسبب الأداة "لا"، وموقع اللّبس نجده في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[2].

فهل هو نهي عن دخول الجنّة –وهذا يتنافى والمعنى– أم هو نفيٌ؟ وإذا كانت "لا" نافية فما ضرورة حذف نون الرفع من الفعل "تدخلوا"، والسياق يقتضي : لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا. ولا تؤمنون حتى تتحابوا؟ وقد ذكر ابن مالك في كتابه "الكافية الشافية" أنّه : «لا يجوز اعتقاد حذف النون للجزم على ما يستحقه المضارع المجرد من حرف التنفيس إذا وقع جواباً. لأن شرط جزم الجواب أن يصلح لمباشرة حرف الشرط، فإن لم يصلح لها وجب اقترانه بالفاء، ولا تحذف إلا في ضرورة.ولا شك في أن المقترن بالسين لا يباشره حرف الشرط»[3].

1- أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 2/ 376.

2- أبو سفيان وكيع بن الجراح الرؤاسي، نسخة وكيع عن الأعمش، تح: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائين، الطبعة الثانية 1406 هـ، الدار السلفية – الكويت، ص: 60.

3- محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي، أبو عبد الله، جمال الدين، شرح الكافية الشافية، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، الطبعة الأولى ، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، 211/1، 212.

ويشير صاحب كتاب "النحو الوافي" إلى أنّها لغة من لغات العرب: «وليس من السائغ اتّباع هذه اللغة في عصرنا، ولا محاكاتها»[1].

وحتى في حالة الحذف يبقى الإعراب مقدّراً عليها كما ذهب إلى ذلك جلال الدين السيوطي منبِّها إلى أنّ هذا الرأي عليه الْأَخْفَش والسهيلي، وكذلك الفارسي حيث يَقُول الأخفش: «إِن الْإِعْرَاب فِيهَا مُقَدّر فَهُوَ أشبه وَورد حذف هَذِه النُّون حَالَة الرّفْع فِي النثر وَالنّظم»[2].

هذا جانب من جوانب الحذف ما حقّه الإثبات، وكأنّ الحذف واقع هنا للتخفيف لا غير، مثلما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [مريم: 20]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: 04]، ففي (أكُ) حُذِفَت النون والسياق يقتضي (لم أَكُنْ)، وفي (يَسْرِ) حُذِفَتْ الياء، إلا أنّ الفرق بين نون (تدخلون) وهذين الفعلين الأخيرين كون النون في (تدخلوا) علامة إعرابية، وهي حرف طارئ ليس حرفاً أصلياً من حروف الكلمة، أما الحرفان المحذوفان من (أكُ) و(يسر) فهما حرفان أصليان في الفعلين، والعامل المشترك بين هذه الأفعال الثلاثة هو الحذف للحرف الأخير لتحقيق التخفيف في (أكُ) والفاصلة في (يَسْرِ).

هذا التوضيح يتعلق باللّبس الّذي قد يحدث بين (لا) النافية وبين (لا) الناهية، فما هي العلاقة بين النفي والنهي؟

هناك صلة بين النفي والنهي حتى ليُعبَّر عن النهي أحياناً بأنّه شبه النفي[3]. فإذا كان النفي هو الإخبار بالسلب، فإنّ النهي هو الطلب بالسلب، حتى إنّ سيبويه يعتبر النهي تحذيراً: « وأَمَّا النَّهْي فإِنَّه التحذيرُ، كقولك: الأَسَدَ الأَسَدَ، والجِدارَ الجِدارَ، والصبيَّ الصبيَّ، وإِنّما نَهيتَه أن يَقرَبَ الجِدارَ المَخوفَ المائِلَ، أو يَقربَ الأَسدَ، أو يوطئ الصبيَّ»[4]

1- عباس حسن، النحو الوافي، الطبعة الخامسة عشر، دار المعارف بمصر، 180/1.

2- ينظر: جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر، 200/1، 201.

3- ينظر: أحمد ماهر البقري، أساليب النفي في القرآن، الطبعة الثانية: 1989م ،دار المعارف، مصر، ص: 68.

4- عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر، الملقب سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1988 م، مكتبة الخانجي، القاهرة، 254/1.

فهل يبقى بعد هذا التوضيح أن نزعم بأنّ النهي يقتضي النفي؟ وأنّهما يتداخلان في العمل؟ والجواب حتما هو: لا، فكلّ فعل له عمله.

أما الفرق بين النفي والنهي أن النفي نوع من الإخبار، وهو قسيم الإثبات، أما النهي فهو نوع من الإنشاء، وهو قسيم الأمر، ولذا فإن النفي يقبل الصدق والكذب لذاته، وهو نسبة كلامية تقابلها نسبة خارجية، فإن تطابقت النسبتان فالخبر صادق، وإلا فهو كاذب. أما النهي فلا يقبل الصدق والكذب.

4- الاستفهام الإنكاري وعلاقته بالنفي:

الاستفهام الإنكاري: "ويسمى أيضًا: الإبطالي" وهو أنْ يُسأَل به عن شيء غير واقع، ولا يمكن أن يحصل، فمدعيه كاذب، وهذا النوع يتضمن معنى النفي؛ لأن أداة الاستفهام فيه بمنزلة أداة النفي في أن الكلام الذي تدخل عليه منفي المعنى؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً﴾ [النساء: 87][1]؛ وهذا ما ذهب إليه ابن هشام الأنصاري (ت761هـ) عند الكلام على الهمزة إلا أنّ هذه الهمزة قد تخرج عَن الِاسْتِفْهَام الْحَقِيقِيّ فترد لثمانية معَان: أَحدهَا الْإِنْكَار الإبطالي وَهَذِه تَقْتَضِي أَن مَا بعْدهَا غير وَاقع وأنّ مدعيه كَاذِب نَحْو ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الْمَلَائِكَة إِنَاثًا﴾ [الإسراء: 40] ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ [الصافات: 149] ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الطور: 15] ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُم﴾ [الزخرف: 19] ﴿أَيُحِبُّ أحدكم أَنْ يَأْكُلَ لحم أَخِيهِ مَيْتاً﴾ [الحجرات: 12]، إلى غير ذلك من الآيات الّتي ذكرها ابن هشام، ثمّ يوضِّح سبب مجيء هذه الهمزة في سياق الإنكار فتنفي ما بعدها، ويلزم ثُبُوته إِن كَانَ منفيا لِأَن نفي النَّفْي إِثْبَات[2].

ومنها: الاستفهام التوبيخي؛ وهو: ما يُسأَل به عن أمر حاصل واقع، ومن يدعي وجوده يكون صادقًا في إخباره عن أمر موجود ذميم، وفاعله ملوم يستحق التوبيخ بسببه؛ مل قولنا للأوصياء: أتأكلون أموال اليتامى بالباطل؟ ويتوسّع في المسألة عند الكلام على:"هل" ويعتبر أن

1- ينظر: حسن عباس، النحو الوافي: 601/3.

2- ينظر: عبد الله بن يوسف ، جمال الدين ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، الطبعة الأولى: 1423هـ / 2002م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، التراث العربي، الكويت، 93،91/1.

أنواع الإنكار ثلاثة؛ منها النوعان السالفان، أما الثالث فمعناه النفي المجرد، والسلب المحض، بحيث يمكن وضع أداة النفي مكان أداة الاستفهام فلا يتغير المعنى، والأكثر أن تكون أداة الاستفهام هي: "هل" نحو: هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، أي: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان[1].

والفرق بين الاستفهام الحقيقي والنفي يكمن في كون الاستفهام إنشاء والنفي إخبار، إلا أنهما يلتقيان من جهة خروج الاستفهام عن الحقيقة فلا يراد به إجابة معيّنة ويراد به الاستفهام البلاغي[2]، فقد يكون الغرض منه النفي أو التقرير، أو التأنيب أو التعظيم أو التشويق أو الاستبطاء أو الاستبعاد[3].

5- معنى الإثبات:

الإثبات في اللّغة مصدر أثبت الشيء يُثبِتُه إثباتاً، قال ابن فارس: «الثاء والباء والتاء كلمة واحدة، وهي دوام الشيء. يقال: ثبت ثباتا وثبوتا. ورجل ثبت وثبيت»[4].

وجاء في أساس البلاغة معانٍ متباينة منها، وبعضها متقارب المعنى، حيث ذكر «فلان ثابت القدم من رجال ثبت. ورجل ثبت الجنان وثبت الغدر إذا لم يزل في خصام أو قتال... ورجل ثبت وثبيت: عاقل متماسك، وقيل: هو القليل السقط في جميع خصاله ... وهو ثبت من الأثبات إذا كان حجة لثقته في روايته. ووجدت فلاناً من الثقات، والأعلام الأثبات. وتثبت في الأمر واستثبت فيه إذا تأنى. ورجل ثبت في الأمور: متثبت. وتثبت الشيء واستثبته. وضرب الوتد في الحائط فأثبته فيه.

ومن المجاز: أثبتوه: حبسوه. وضربوه حتى أثبتوه أي أثخنوه. وأثبتته الجراحات وأثبته السقم إذا لم يقدر على الحراك. وبه ثبات لا ينجو منه. ونظرت إليه فما أثبته ببصري. وأثبت اسمه في

1- ينظر: مغني اللبيب، 335/4، و عباس حسن، النحو الوافي، الطبعة الرابعة، دار المعارف - مصر، 2/ 316.

2- ينظر: أساليب النفي في القرآن، ص: 283.

3- المرجع نفسه: ص: 284.

4- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 1/ 399، مادة (ثبت).

الديوان: كتبه. وأثبت الشيء معرفة إذا قتله علماً. وثبت لبدك وأثبت الله لبدك: دعاء بدوام الأمر»[1].

فنجد للإثبات معاني مختلفة تُعرَف حسب السياق والاستعمال، فمنها: الدوام والحبس والإثخان، والكتابة وغير ذلك من المعاني، لكن كلّها تتفق على أنّ الإثبات بمعنى الدوام والإقامة والاستقرار.

وقد وردت هذه المعاني في القرآن الكريم، حيث نجد لفظة "تثبيت" في الآيات الآتية:

- ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: 74].
- ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الأنفال:12،11].
- ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: 120].
- ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: 27].
- ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: 39].

فكلّ المعاني المذكورة سالفاً نجدها واردة في هذه الآيات، ويمكن الاستفادة منها لنخلص إلى أنّ الإثبات هو أسلوب متضمِّن لنسبة أمر لآخر، نحو قولك: زيد قائم، فهو إثبات نسبة القيام لزيد، ويسمى إثباتاً[2].

العلاقة بين النفي والإثبات:

كلّما وُجِدَ النفي إلا كان الإثبات حاضراً ، وليس بالضرورة العكس ، وهناك من يجد جدلية قائمة بينهما، فهل هما ضدان أم نقيضان؟ حيث يقول صاحب كتاب (الإبهاج في شرح المنهاج) : « النفي له في اللغة معنيان، أحدهما: فعل الفاعل النفي، تقول: نفيت الشيء فانتفى

1- ينظر: أبو القاسم محمود جار الله ، الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، 1419 هـ/ 1998 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1/ 103، 104.

2- ينظر: سالم ولد محمد أحمد، النفي والإثبات عند الأصوليين، ص: 42.

وهذا هو أظهر المعنيين. الثاني: نفس الإعفاء تقول: نفي الشيء هكذا سمع من اللغة وعلى هذا المعنى الثاني يكون النفي والإثبات نقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان ويكون المراد بالإثبات الثبوت كما أن المراد بالنفي الانتفاء، وأما إذا أردت بالنفي نفيك الشيء وبالإثبات إثباتك له فيكونان ضدين لا نقيضين لأنّك قد لا تنفى ولا تثبت، وهذا البحث ليس مما نحن فيه ولكنه يحتاج إلى تصوره بحث آخر منه وهو العدم تارة يكون عنده الشيء في نفسه من حيث هو من غير نظر إلى معدم وتارة يكون عدما غير والعدمان في حقيقتهما سواء، ولكن الأول بلا فاعل والثاني بفاعل وفعل ضده كذلك...»[1].

وفي هذا دليل بيِّن أنّ النفي والإثبات طرفان متكاملان، وغايتان محمودتان، وأحيانا نُثْبِت ونَنْفِي في الوقت نفسه، كما هو الحال مع عبارة {لا إله إلا الله}، ففيها نفي الشريك وإثبات الوحدانية لله عزّ وجلّ، أما إذا كان النفي والإثبات نقيضين فلا يجتمعان ولا يرتفعان، ويكون المراد بالإثبات الثبوت كما أن المراد بالنفي الانتفاء، بشرط أن يتّحدا في الوقت، فإن لم يتحدا فهما ضدان وليسا نقيضين. أما عبارة {لا إله إلا الله} فيجب نفي الشريك مع الله عزّ وجلّ وفي الوقت نفسه إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى، فيكون النفي والإثبات نقيضين في هذه العبارة.

6- معاني الاستدراك والإضراب والاستثناء:

لقد فرّق العلماء وأهل البلاغة بين مصطلح الاستدراك والإضراب والاستثناء، على أنّها مصطلحات تتباين في الاستعمال، وكلّ واحد له عمله ودوره.

أ- الاستدراك:

الاستدراك لغةً: على صيغة: استفعالٌ من (درك). والدّرك، الدّرك: اللّحاق والبلوغ. يقال: أدرك الشّيء إذا بلغ وقته وانتهى، وعشت حتّى أدركت زمانه. «(درك) الدال والراء والكاف أصل واحد، وهو لحوق الشيء بالشيء ووصوله إليه. يقال أدركت الشيء أدركه إدراكا. ويقال: فرس درك الطريدة، إذا كانت لا تفوته طريدة»[2]. وللاستدراك في اللّغة استعمالان: الأوّل: أن يستدرك

1- تقي الدين أبو الحسن علي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي)، طبعة: 1416هـ/ 1995 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 78/2.

2- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، معجم مقاييس اللغة، 269/2. وينظر: محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور، تهذيب اللغة، 65/10.

الشّيء بالشّيء، إذا حاول اللّحاق به، يقال: استدرك النّجاة بالفرار. والثّاني: في مثل قولهم: استدرك الرّأي والأمر، إذا تلافى ما فرّط فيه من الخطأ أو النّقص.

إذن فالاسْتِدْرَاك فِي اللُّغَة هو طلب تدارك السَّامع، أما فِي الاِصْطِلَاح فهو رفع التَّوَهُّم النَّاشِئ عَن الْكَلَام السَّابِق، وَكلمَة لَكِن للاستدراك أَي لحفظ الحكم السَّابِق نفيا كَانَ أَو إِثْبَاتًا عَن أَن يدْخل فِيهِ مَا بعد لَكِن وَهُوَ يَقْتَضِي مُغَايرَة الْكَلَامَيْنِ نفيا وإثباتا[1].

ويمكن أن نستخلص للاستدراك في الاصطلاح معنيين:

الأوّل: وهو للأصوليّين والنّحويّين: رفع ما يتوهّم ثبوته من كلامٍ سابقٍ. أو إثبات ما يتوهّم نفيه[2].

الثّاني: وهو ما يرد في كلام الفقهاء كثيراً وهو: إصلاح ما حصل في القول أو العمل من خللٍ أو قصورٍ أو فواتٍ. ومنه عندهم: استدراك نقص الصّلاة بسجود السّهو، والاستدراك بإبطال خطأ القول وإثبات صوابه. ويخصّ الاستدراك الّذي بمعنى فعل الشّيء المتروك فمثلا«إذا سلّم الإمام من صلاة الجنازة تدارك المسبوق باقي التّكبيرات بأذكارها» و«لو نسي تكبيرات صلاة العيد فتذكّرها – وقد شرع في القراءة – فاتت فلا يتداركها»[3].

فمن خلال ما سبق يتّضح أن الاستدراك يعني نفي لشيء وقع سهواً أو خطأً، فهو يحمل معنى النفي الضمني، وله دور فعّال في تصحيح موقف ما وتداركه.

ب– الإضراب:

«الإضراب لغةً: الإعراض عن الشّيء والكفّ عنه، بعد الإقبال عليه. وفي اصطلاح النّحويّين قد يلتبس بالاستدراك «بالمعنى الأوّل» فالإضراب: الإبطال والرجوع[4].

1– ينظر: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الطبعة الأولى، 1421هـ – 2000م. دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، لبنان، ص:77. وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانَوِي: 150/1.

2– الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت: 11/ 97، عدد الأجزاء: 45 جزءا، الطبعة: (من 1404 – 1427 هـ)..الأجزاء : (1 – 23): الطبعة الثانية، دار السلاسل – الكويت ..الأجزاء 24 – 38: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر.الأجزاء 39 – 45: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.

3 – الموسوعة الفقهية الكويتية، **صادرة عن**: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت: 3/ 270.

4– ينظر: المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

وعند النحاة له معنيان: إبطال الحكم الأول والرجوع عنه إما لغلط أو لنسيان، كقولك: (قام زيد بل عمرو) و (ما قام زيد بل عمرو)»، والثاني: إبطال الأول لانتهاء مدة ذلك، نحو قوله تعالى: ﴿أتأتون الذكران﴾ ثم قال: ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ كأنه انتهت مدة القصة الأولى فأخذ في قصة أخرى؛ ولم يرد أنّ الأولى لم تكن[1].

والإضراب يبطل به الحكم السابق ولا يبطل بالاستدراك[2]، إبطال الحكم السّابق بـ(بل)، أو نحوها من الأدوات الموضوعة لذلك، أو ببدل الإضراب. والفرق بينه وبين الاستدراك، أنّك في الاستدراك لا تبطل الحكم السّابق، كما في قولك: جاء زيدٌ لكنّ أخاه لم يأت، فإثبات المجيء لزيدٍ لم يلغ، بل نفي المجيء عن أخيه، وفي الإضراب تبطل الحكم السّابق، فإذا قلت: جاء زيد، ثمّ ظهر لك أنّك غلطت فيه فقلت: بل عمرٌو أبطلت حكمك الأوّل بإثبات المجيء لزيدٍ، وجعلته في حكم المسكوت عنه[3].

ب – الاستثناء:

الاستثناء لغة: مصدر استثنى، تقول: استثنيت الشيء من الشيء إذا أخرجته، ويقال: حلف فلان يمينا ليس فيها ثنيا، ولا مثنوية، ولا استثناء، كله واحد[4].

أما في الاصطلاح فحقيقة الاستثناء: إخراج بعض ما دخل في الكلام السّابق بـ(إلاّ)، أو إحدى أخواتها. ومن هنا كان الاستثناء معيار العموم. أمّا الاستدراك فهو إثبات نقيض الحكم السّابق لما يتوهّم انطباق الحكم عليه. فالفرق أنّ الاستثناء للدّاخل في الأوّل، وأنّ الاستدراك لما لم يدخل في الأوّل، ولكن توهّم دخوله، أو سريان الحكم عليه. ولأجل هذا التّقارب تستعمل أدوات الاستثناء مجازاً في الاستدراك. وهو ما يسمّى في عرف النّحاة: الاستثناء المنقطع، وحقيقته الاستدراك[5]، كقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ

1- الموسوعة الفقهية الكويتية : 270/3.

2- أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص: 137.

3- ينظر: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ، ص:21.

4- الموسوعة الفقهية الكويتية: 184/3.

5- المرجع نفسه: 184/3.

﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾ [النساء: 157] ، والشاهد هو: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ كما يجوز استعمال لكنّ – مثل غيرها ممّا يؤدّي مؤدّاها – في الاستثناء بالمعنى، إذ الاستثناء بالمعنى ليس له صيغةٌ محدّدةٌ، كقولك: ما جاء القوم لكن جاء بعضهم.

7- أقسام النفي: يعدُّ أسلوب النفي من أساليب اللغة العربية ويراد به نقض فكرة وإنكارها، وهو ضد الإثبات، إلا أنّه ينقسم إلى أقسام حسب عدّة اعتبارات: أولاً: تقسيمه باعتبار تمحّض النفي[1]، وينقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين:

1- النفي المحض: وهو ما كان خالصا من معنى الإثبات[2]، نحو: "ما جاء زيد"، ولا يأتي بعده ما ينقضه، ويوجب الإثبات، نحو: ((لن أكذب، لم أتكاسل))[3].

2- النفي غير المحض: وهو ما كان متضمّنا للإثبات، ويأتي بعده ما ينقضه، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ **[الكهف: 49]**، فإنَّ هذا النفي متضمِّن لإثبات كمال عدله[4].

وينقسم النفي باعتبار آخر إلى صريح وضمني:

- **النفي الصريح**: ما كان بإحدى الكلمات الخاصة الموضوعة له "مثل: ما، لا، ليس، وإلا فهو غير صريح[5].

- النفي الضمني: هو خلاف النفي الصريح فقد يُفهم من خلال السياق ، كما «قد تدلّ عليه كلمة في سياق ما ولا تدل عليه الكلمة نفسها... وترجع قيمة الأسلوب

1- ينظر: النفي والإثبات عند الأصوليين، ص: 35.

2- ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة العشرون: 1400 هـ/ 1980 م، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه، 11/4.

3- إميل بديع يعقوب، موسوعة علوم اللّغة العربية، 332/09، الطبعة الأولى:1427هـ/ 2006م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

4- صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تح: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، الطبعة العاشرة: 1417هـ – 1997م، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1/ 215.

5- عباس حسن، النحو الوافي، 316/2.

الذي يعبِّر عن النفي ضمناً إلى الإيجاز الذي يغني عن الكثير، لأنّ النفي الضمني يدلّ من اسمه على فحوى متضمّنة قد يحتاج التصريح بها إلى كلام كثير» [1].

والجدير بالذكر هو سبب استخدام هذا الأسلوب وعدم التصريح بالنفي وذلك لأغراض بلاغية «ومن الطبيعي ألاّ يتناول النحاة النفي الضمني بالشّكل المباشر لأن درسه لا يندرج ضمن منهج دراستهم الذي سبقت الإشارة إليه، ولا يتقاطع معه، ولكن هذا لا يعني أنّهم لم يعرفوا النفي الضمني أو لم يشيروا إليه والقائل بغير هذا لا يمكن أن يكون إلاّ مُتجَنياً» [2].

ولعلّ الغاية من هذا الأسلوب بعدم التصريح قائمة على الإنكار ، والإنكار يجئ عند ادّعاء أحدهم القدرة على فعل لا يقدر عليه، أو لأنّه يحاول القيام بفعل يستصوب فعله، وإما لأنّه جوّز وجود أمر لا يوجد مثله [3].

ولأنّه لا يُفْهَم النفي الضمني إلا من سياق الكلام فإنّه يُعَدُّ من الأساليب البلاغية المعقدة، مثله مثل التعريض الّذي هو قرين الكناية، إضافة إلى قربه من فن الإيجاز.

وقد ذكر أهل البلاغة لهذا النوع من النفي أبوابا نذكر منها: الإضراب والاستدراك والردع.
ويرى علماء اللّغة للنفي أقساماً أخرى [4]، وهي كالآتي:

1– نفي الشيء بإيجابه: ويسمّى (نفي الشيء بنفي لازمه)، قال ابن رشيق: «وهذا الباب من المبالغة، وليس بها مختصاً، إلا أنه من محاسن الكلام، فإذا تأملته وجدت باطنه نفياً، وظاهره إيجاباً» [1].

1- أحمد ماهر البقري، أساليب النفي في القرآن، ص:127.

2- توفيق جعمات، النفي في النحو العربي –منحى وظيفي وتعليمي، رسالة ماجستير، دفعة 2006 ، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ص:23.

3- ينظر: هند بنت عبد الرزاق المطيري، النفي في نقائض جرير والفرزدق،، الطبعة الأولى 1429هـ/2008م، مركز حمد الجاسر الثقافي، الرياض، ص: 537 . نقلاً عن أساليب النفي في القرآن الكريم لمصطفى النحاس، مؤسسة علي جراح الصباح الكويت، 1979م، ص: 225.

4- ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، طبعة 2007، مكتبة لبنان ، ناشرون، ص: 663-665.

وقال المصري: « هو أن يثبت المتكلم شيئاً في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازاً. والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبته كقوله سبحانه وتعالى: ﴿أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها﴾ [الأعراف: 195] فإن ظاهر هذا الكلام يقتضي نفي هذه الجوارح، وملزومه يقتضي إثبات الإلهية لمن يكون له مثل هذه الجوارح؛ وباطن الكلام يوجب نفي الإلهية عمن يكون له، فضلاً عمن لا يكون له، لأنه المراد»[2]. ولأهل البلاغة في تفسير هذا النوع عبارتان:

الأولى: ما فسره به ابن رشيق في العمدة، وهو أن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشيء، وباطنه نفيه، الثانية: ما فسّره به غيره، وهو أن ينفى الشيء مقيدا والمراد نفيه مطلقا مبالغة في النفي وتأكيدا له[3].

2- نفي العام: من البيان أنَّ نفيَ العام يستلزم نفي الخاص، وإثبات الخاصّ يستلزم إثبات العام، فيذكر المستلزم وهو أنْ يُؤْتَى في النفي بالأعمّ وفي الإثبات بالأخصّ[4]. ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف: 60، 61]، (ليس بي ضلالة) ولم يقلْ (ليس بي ضلال) لأنّ نفي الضلالة يستلزم نفي الضلال وهو أبلغ من عكسه، ولا يرد عليه بعض ضلالة ، إذ بعض الضلالة ضلالة، وعكس ذلك يكون في الإثبات. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110]، أمر بالعمل الصالح من كان يؤمن بالله وهو جزئي ونهاه أنْ يُشرِك به أحداً فاستعمل العام، فاستعمل العام بعد النهي، والأمر إثبات والنهي نفي[5].

1- أبو على الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة: الخامسة، 1401 هـ - 1981 م، دار الجيل، بيروت، لبنان، 2/ 80.

2- عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

3- ينظر: صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم ، أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شاكر هادي شكر، النجف الأشرف: 1388هـ/ 1953م، 4/ 364.

4- ينظر: محمد بن محمد التنوخي، الأقصى القريب في علم البيان، القاهرة: 1327هـ، ص: 77.

5- ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، ص: 664.

3- نفي الموضوع: يكثر تداوله في الكلام ، ويتمثّل هذ النوع في كون اللفظ موضوعاً لمعنى فيُصرّح بنفيه عنه، ويثبته لغيره مبالغة في ادعاء ذلك الحكم[1].

4- النفي والجحود:

النفي والجحود سبق وأن أشرنا إلى الفرق بينهما وهنا نعرض لما عدَّه أهل البلاغة من أنواع النفي خاصة فيما يعني تأكيد المدح فيما يشبه الذّم أو المدح في معرض الذّم، حيث قال التنوخي: «هذا النوع من مستخرجات ابن المعتز، وسماه قوم: تأكيد المدح بما يشبه الذم، وآخرون: النفي والجحود. وهو ضربان: أحدهما، وهو أفضلهما، أن يستثنى من صفة ذم منفية صفة مدح يتعذر دخولها فيه كقول النابغة الذبياني:

لَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أنَّ سُيُوفَهُم ... بِهِنَ فُلُولُ مِن قِرَاعِ الكَتَائِبِ[2].

فالعيب صفة ذم منفية استثنى منها صفة مدح، وهي أن سيوفهم ذات فلول، أي لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهذه الصفة، إن كان فلول السيف من قراع الكتائب عيبا. فأثبت شيئا من العيب على تقدير كون فلول السيوف منه، وهو محال، لأنه كناية عن كمال الشجاعة»[3].

هذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم كالتنوخي والسيوطي في تقسيمات النفي، ويبقى التقسيم الأوّل هو المتداول والمتمثّل في النفي الصريح وغير الصريح.

وهناك تقسيمات وأنواع أخرى للنفي كتقييد النفي وإطلاقه، أو النفي المقيّد والنفي المطلق[4]، وهذان النوعان إن دققنا فيهما نجد المجال أوسع وأعمق من مجرد الحديث عنهما في هذا البحث، لأنّه يدفعنا دفعا إلى الخوض في المسائل الفقهية، وهو مجال تخصّص طلبة أصول الفقه.

أما النوع الّذي ينبغي الوقوف عنده ودراسته بتفصيل هو: النفي التأكيدي الّذي يعدّه بعضهم ضمن النفي الضمني، الّذي تستعمَلُ فيه الأداة "إنّما" خاصة وأنّ هذه الأداة تفيد النفي

1- جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، القاهرة: 1358هـ/1939م، ص: 141.

2- ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتعليق: حنا نصر الحتّي، الطبعة الأولى 1411هـ/ 1991م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص: 33.

3- أنوار الربيع في أنواع البديع: 06/ 27.

4- يُراجع في هذا ما قاله الأصوليون في موضوع النفي كالشاطبي والشافعي.

من أجل الإثبات، واستعمالاتها كثيرة في الخطاب، فأحياناً تفيد التقليل وأحياناً أخرى تفيد التحقير.

وجاء في دلائل الإعجاز أنَّ « إنما تفيد إيجاب الفعل لشيء، ونفيه عن غيره: اعْلَمْ أنها تفيدُ في الكلام بَعْدَها إيجابَ الفعلِ لشيءٍ، ونَفْيَه عن غيرِه، فإذا قلْتَ: "إنما جاءني زيدٌ"، عُقِلَ منه أنكَ أرَدْتَ أن تنفي أن يكون الجاني غيرَه. فمعنى الكلامِ معَها شبيهٌ بالمعنى في قولك: "جاءني زيدٌ لا عمرو"، إلا أنَّ لَهَا مزيَّةً، وهي أنَّك تَعْقِلُ معها إيجابَ الفعلِ لشيءٍ ونفْيَه عن غيرِه دفعةً واحدةً في حالٍ واحدةٍ»[1]. وتعتبر "إنّما" من الصيغ الهامة للنفي الضمني في أسلوب القصر.

7- أدوات النفي ووظائفها:

قد يكون النفي في اللغة العربية صريحا ويعتمد أدوات معروفة ومحدّدة ، وقد يكون غير صريح أو ضِمنيا لا يوجد ما يدلّ عليه غير السياق، فهناك الأدوات الدالة أصالة على النفي، وهناك الأدوات المتضمِّنة للنفي.

أ- الأدوات الدالة أصالة على النفي:

للنفي الصريح أدوات معروفة تدلّ عليه وهي أصيلة في النفي، حيث تحوِّل الكلام من مثبت إلى منفي، وهذه الأدوات هي: **لا – ما – لم – لمَّا – لنْ – ليس – إنْ – لات.**

1- "لا" النافية:

تفيد النفي المطلق[2] وتكون مع الفعل المضارع مهملة لا تعمل فيه، مثل قوله تعالى: ﴿ **لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ** ﴾ [البقرة:225]،وقد تدخل على الفعل الماضي في القَسَم والدُعَاء نحو والله لا صليت ونحو لا ضاق صدرك، وفي غيرها نحو قوله تعالى: ﴿ **فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ** ﴾ [القيامة: 31][3].

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: 335/1.

2- ينظر:أحمد ماهر البقري، أساليب النفي في القرآن، ص: 20.

3 - ينظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص:297.

وهي نافية تعمل عمل ليس إذا دخلت على الجملة الاسمية ، فتارة تكون للجنس فتعمل في الاسم النكرة ، وقد تعمل" لا" عمل ليس بشروط كأن يكون اسمها وخبرها نكرتين ، وألّا يتقدم الخبر على الاسم وإن تقدّم لا تعمل فيه، وألا ينتقض نفيها بإلا[1].

ويقول الأشموني (ت 900هـ) في:"لا" التي لنفي الجنس:«اعلم أنه إذا قصد بـ"لا" نفي الجنس على سبيل الاستغراق اختصّت بالاسم؛ لأن قصد الاستغراق على سبيل التنصيص يستلزم وجود "من" لفظا أو معنى، ولا يليق ذلك إلا بالأسماء النكرات؛ فوجب لـ"لا" عند ذلك القصد عمل فيما يليها، وذلك العمل: إما رفع، وإما نصب، وإما جر»[2].

ولكي تكون (لا) عاملة لا بدّ من توفّر شروط سبعة، هي: أن تكون نافية، وأن يكون منفيها الجنس، وأن يكون نفيه نصا، وأن لا يدخل عليها جار، وأن يكون اسمها نكرة، وأن يتصل بها، وأن يكون خبرها أيضا نكرة[3]، فإن كانت غير نافية لم تعمل.

وهناك من يعدُّ "لا" من باب الاستثناء نحو قولهم: (قام زيد لا الناس وقام الناس لا زيد)، كما جاء في حاشية الصبّان على شرح الأشموني: «قال: التقي السبكي كما حكاه عنه ولده في شرح التلخيص يخطر لي جواز: (قام الناس لا زيد) إن أريد إخراج زيد من الناس على وجه الاستثناء، لكن لم أر أحدًا من النحاة عَدَّ "لا" من حروف الاستثناء»[4].

والفرق بينها وبين لا الناهية هو أنَّ "لا" الناهية موضوعة لطلب الترك وتختص بالدخول على الفعل المضارع، وتقتضي جزمه واستقباله بخلاف "لا" النافية فإنّها تدخل على الاسم والفعل المضارع ولا تفيد طلب الترك ولا جزم المضارع.

2- "ما" النافية: وهي نوعان عاملة وغير عاملة ، فهي نافية لا عمل لها إذا جاءت قبل الفعل مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 272]، تدخل على الاسم

---

[1] - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 70،71/3.

2- علي بن محمد نور الدين الأُشْمُوني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ، الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، 1/ 328.

3- ينظر: شرح الأشموني: 328/1.

4- أبو العرفان محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، 165/3، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

والفعل فنقول ما قام زيد وما زيد قائم، وإن اتّصلت "ما" بالابتداء أو الخبر فأهل الحجاز يرون إحلالها محل ليس فيرفعون بها الاسم وينصبون الخبر وهي لغة القرآن، قال الله عزّ وجلّ: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: 31][1].

«وأما ما ليس له معنى فـ"ما" الكافة لعمل ما يعمل دونها تقول إن زيداً منطلقٌ. وإنما زيد منطلق، وما الزائدة في مثل قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران : 159]»[2].

وردت (ما) عاملة عمل (ليس) في القرآن الكريم، وورد خبرها جملة فعلية في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 108] وقوله تعالى ﴿مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾[الأنبياء: 65] وورد شبه جملة في مثل قوله: ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾[آل عمران: 78] وورد اسما، وكثيرا ما ورد هذا الاسم مجرورا بالباء ، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 8]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 74] وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: 29] ولم يرد منصوبا إلا في موضعين من التنزيل، هما قوله تعالى: (مَا هَذَا بَشَرًا) [يوسف: 31] وقوله تعالى: ﴿ما هن أمهاتهم﴾ [المجادلة: 02]. ونصب الخبر في هاتين الآيتين لغة أهل الحجاز ورفعه لغة بني تميم وهذه لغة الحجازيين وأهملها بنو تميم وهو القياس لعدم اختصاصهم بالأسماء[3].

ويذكر النحاة أحوال (ما) في كلّ حالاتها عاملة وغير عاملة، كما يسهبون في ذكر أنواعها، وكل ذلك يوعزونه إلى مذاهب القبائل العربية كتميم والحجاز، وذلك من خلال الحركة الإعرابية لمعموليها في حالة العمل، وإلى دورها البلاغي في توجيه المعنى والتأثير فيه.

ومهما يكن فإنّ أثرها عظيم بين بقية الأدوات الأساسية للنفي كـ(لا) و(لن) و(لمْ)، وعند دخولها على الكلام المثبت فإنّها تغيّر المعنى كلّياً، وكأنّها تستغرق جميع الأزمنة.

---

[1] – ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، 42،44/4

2– ينظر: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، البرهان في أصول الفقه، تح: صلاح بن محمد بن عويضة ، الطبعة الأولى: 1418 هـ – 1997 م ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

3– حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك :1/ 363.

3- لَمْ:

حرف نفي جازم يدخل على الفعل المضارع فيجزمه ويحوِّل زمنه من الحاضر إلى الماضي، ولا يشترط في نفيها الاستمرار، بل يجوز القول: لم أحضر الحفل ثمّ حضرت[1]. وإنْ سبقتها (إنْ) الشرطية فـ«قد لا يفارق المنفي الحال، ويبقى متّصلاً به اتّصالاً قويّاً»[2]. ونجد هذه الأداة مسبوقة بـ(إنْ) الشرطية في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ [العلق: 15]، فاجتمعت في الآية عدّة أدوات صارمة منها: التوكيد باللام والشرط ب(إنْ) والنفي ب(لمْ)، لأنّ الخطاب يخصُّ رأس المشركين وشيخهم وهو أبو جهل، فتطلّب المقام هذا النوع من الخطاب.

ويظهر من خلال السياق أنَّ (لَمْ) تقلب زمن المضارع إلى الماضي، إلا أنَّ قد يكون المنفي بها متّصلاً بالحال ويدلُّ على ذلك قرينة المقام، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: 04]، فلا نتوقّع شقاء زكريا عليه السلام بدعاء ربِّه ، وقد لا يفارق المنفي الحال، ويبقى متّصلاً به اتصالا قوياً تبعاً لقرينة السيّاق كما في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ [العلق: 15]، فجاء الخطاب شديد النبرة، زاجراً المخاطَب وهو أبو جهل الّذي آذى الرسول صلى الله عليه وسلّم أشدّ الأذى[3]، وقد سبق وأشرنا إلى أنَّه كلّما وُجِدَتْ أداة الشرط قبل (لم) كلّما حوّلت معناه إلى المستقبل.

4- لمّا: حرف نفي وجزم واستغراق، تنفي العمل وتجزم المضارع ويستغرق فيها النفي جميع أجزاء الزمان الماضي حتى يصل إلى الحال ولا يتعداه[4]، مثل قول الممزّق العبدي[5]:

1- ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 467/3.

2- فلاح حسن كاطع، التكوينات النحوية للمجاز المرسل في القرآن الكريم، ص: 245 .

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 245.

4- أحمد قبّش، الكامل في النحو والصرف والإعراب، الطبعة الثانية: 1399هـ/ 1979م، دار الجيل، بيروت – لبنان، ص: 29.

5- شأس بن نهار بن أسود، من بني عبد القيس: شاعر جاهلي قديم، من أهل البحرين. لقب بالممزق، ينظر: الأعلام: خير الدين بن محمود ، الزركلي، 152/3، الطبعة الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م، دار العلم للملايين. بيروت – لبنان، وشهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، الطبعة الأولى، 1423 هـ. دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة، مقدمة الجزء: 03ص:04.

فإن أكُ مأكولا فكن أنت آكلي ... وإلا فأدركني، ولما أمزَّقِ[1].

والمنفي بـ(لَمَّا) يُتوقَّع الحصول، نحو: لما يحضر زيد، أيْ لم يحضر حتى الآن، ولكنّه قد يحضر، وكقوله تعالى: ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِىٍ ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴾ [ص: 08].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات:14] وقوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجمعة : 03]

ولما النافية لا يدخل عليها الشرط خلافاً لـ(لَمْ) الّتي تقبل ذلك[2].

5- لَنْ:

أداة نفي ونصب واستقبال، تدخل على الفعل المضارع فتنفيه نفياً تأبيديا وتنصبه، وتحوِّل زمنه من الحاضر إلى المستقبل، ولفظ تأبيدي طرحه الزمخشري ونجد المسألة مفصّلة في التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، لأنّ هناك من العلماء مَنْ يرفض فكرة التأبيد نهائياً من القدماء وحتى من المحدثين، ففي قوله تعالى في آية التعجيز يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: 24]. وأصل "لا" هو "لن" كما قال سيبويه: «فأما الخليل فزعم أنها لا أن، ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم كما قالوا: ويلمه يريدون وي لامه، وكما قالوا يومئذٍ، وجعلت بمنزلة حرفٍ واحد، كما جعلوا هلا بمنزلة حرف واحد، فإنما هي هل ولا.وأما غيره فزعم أنه ليس في لن زيادة وليست من كلمتين ولكنّها بمنزلة شئ على حرفين ليست فيه زيادة، وأنها في حروف النصب بمنزلة لم في حروف الجزم، في أنه ليس واحد من الحرفين زائداً. ولو كانت على ما يقول الخليل لما قلت: أما زيداً فلن أضرب لأن هذا اسم والفعل صلة فكأنه قال: أما زيداً فلا الضرب له»[3].

1- وفي رواية: فإن كنت مأكولا، فكن خير آكل ... وإلا فأدركني ولَمَّا أمزق

2 - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 77/3.

3- عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر، الملقب سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 3/ 05 .

إلا أنَّ المبرّد (ت 285هـ) يعتبر الأمر خلاف ذلك «وَإِنَّمَا هِيَ لَا أَن وَلَكِنَّك حذفت الْألف من لَا والهمزة من أَن وجعلتهما حرفا وَاحِدًا وَلَيْسَ القَوْل عِنْدِي كَمَا قَالَ وَذَلِكَ قَالَ الْخَلِيل لفسد هَذَا الْكَلَام لِأَن زيدا كَانَ ينْتَصب بِمَا فِي صلَة أَن وَلَكِن لن حرف بِمَنْزِلَة أَن»[1].

ونجد النفي المطلق والأبدي والتأكيدي في خضم الشرط القطعي (ولن تفعلوا) أي لن تأتوا بسورة من مثله. فما حقيقة «لن» في باب النفي؟ قلت: «لا» و «لن» أختان في نفي المستقبل، إلا أن في «لن» توكيدا وتشديدا[2]. فهي عند الخليل في إحدى الروايتين عنه أصلها «لا أن» حيث أورد في معجم العين: «وأمّا (لن) فهي: لا أنْ، وُصِلت لكثرتها في الكلام، ألا ترى أنّها تُشْبِهُ في المعنى (لا) ، ولكنّها (أوكد). تقول: لن يُكْرِمَك زيدٌ، معناه: كأنّه يَطْمَعُ في إكرامِه، فنفيتَ عنه،ووكّدتّ النَّفي بلن فكانت أوكد من (لا)»[3]. واشتراطه في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله، فلمّا تقرّر عدم إتيانهم بها، وتبيّن عجزهم عن المعارضة، صحّ عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا، استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم: إن استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتّقوا النار موضعه، لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد، من حيث أنه من نتائجه، لأن من اتّقى النار ترك المعاندة[4].

فموقع (لن) مناسب الدلالة على نفي المستقبل، فالنفي بها آكد من النفي بلا، وإذا كانت لنفي المستقبل تدل على النفي المؤبد غالبا؛ لأنه لما لم يوقّت بحد من حدود المستقبل دلّ على استغراق أزمنته إذ ليس بعضها أولى من بعض. ومن أجل ذلك قال الزمخشري بإفادتها التأبيد حقيقة أو مجازا وهو التأكيد. إلا أنّ هناك من النحاة من يقول بخلاف هذا، فابن هشام يخالف الزمخشري بقوله: «وَلَا تفيد لن توكيد النَّفْي خلافًا للزمخشري فِي كشافه وَلَا تأبيده خلافًا لَهُ فِي أنموذجه وَكِلَاهُمَا دَعْوَى بِلَا دَلِيل قيل وَلَو كَانَت للتأبيد لم يُقيد منفيها بِالْيَوْمِ فِي ﴿فَلَنْ أكلم

1- محمد بن يزيد أبو العباس المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت – لبنان، 2/ 08.

2- ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 1/ 101.

3- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، 8/ 350، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال – مصر (د. ت.).

4- ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 1/ 102.

الْيَوْمِ إِنسِيًا ﴾ ولكان ذكر الْأَبَد فِي ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ تَكْرَارًا وَالْأَصْل عَدمه وَتَأْتِي للدُّعَاء كَمَا أَتَت لَا لذَلِك»[1].

والمتدبِّر لكتاب الله والباحث في مسائله النحوية يجد أنَّ (لن) لا يؤتى بها إلا في مقام إرادة النفي المؤكد أو المؤبد. لذلك من قال أنّها لا تفيد تأكيدا ولا تأبيدا فقد جانب الصواب. وفي الآية تدل (لن تفعلوا) على معجزة النبي صلى الله عليه وسلّم[2].

والقائلين بعدم التأبيد للنفي بـــ(لن) يستدلون بقوله تعالى:﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: 26]، ويعتبرون الأبد يقتصر على لفظ أبد، في حين أنَّ الأمر يتجاوز ذلك لأنَّ «تقييد نفيها باليوم في الآية الشريفة من شأنه أنْ ينهض دليلاً على إفادتها التأبيد، فلولا قرينة (اليوم) لأفادت التأبيد وهو الأصل فيها، لذا احتيج إلى قيد، فضلاً عن أنَّ لفظة (أبداً) في الآية المباركة الثانية تفيد توكيد النفي المؤبّد، وخلاصة الآمر أنَّ الأداة ربَّما كانت النفي المؤبَّد في الأصل ، وقد تخرج إلى غير التأبيد فتفيد التشديد»[3].

وقد نجد للتأبيد دلالات متعدّدة مثله مثل لفظ (حين)، فقد يُقْصَدُ بالحين الزمن الّذي بعد زمن التكلّم، وقد يُقْصَدُ به سنين طوال مثلما جاء في سورة يوسف﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [يوسف: 35]، وكان هذا ما يقارب اثني عشرَ عاماً، فهي لا تكلّم أي إنسان في ذلك اليوم من بزوغ الفجر إلى غروب الشمس، فـ(لن) أفادت أبدية الصمت في ذلك اليوم، وليس السكوت أبد الآبدين، أو كلفظ (القيامة) فلكلٍّ قيامته كما جاء في الحديث الّذي رواه الترميذي وصحّحه البيهقي: « . . . إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته»[4].

وإذا جعلنا مقارنة بين أدوات النفي الثلاث (لا، لَمْ، لَنْ)، فنجد لمْ نفيها يستغرق زمن الماضي، و(لنْ) تفيد النفي في المستقبل، في حين نجد الأداة (لا) تستغرق جميع الأزمنة، سواء

1 – ابن هشام، مغني اللبيب، 3/78،79.

2– ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير:1/ 344 و 6/ 262.

3– فلاح حسن كاطع، التكوينات النحوية للمجاز المرسل في القرآن الكريم، ص: 246.

4– ينظر: أبو محمد محمود بدر الدين العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، وكتاب "كشف الخفاء ومزيل الإلباس"، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي ، أبو الفداء، تح: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة الأولى، 1420هـ – 2000م، المكتبة العصرية، 1/ 187، 23/96.

كانت عاملة أم غير عاملة، مع الفعل أم مع الاسم، وكذلك الأداة (ما النافية) العاملة تكاد تتوافق مع (لا) النافية العاملة.

6- ليس:

كلمة دالة على نفي الحال وتنفي غيره بالقرينة نحو: ليس خلق الله مثله وهو فعل لا يتصرف، يفيد معنى النفي، يختص بالدخول على الجملة الاسمية، فتنفي اتصاف اسمها بخبرها من حيث المعنى، أما من حيث العمل فترفع الأول اسماً لها، وتنصب الثاني خبراً لها، ويكون هذا العمل[1]، كقوله عزّ وجلّ: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: 22].

وقول النبيّ صلى الله عليه وسلم:«لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِطَعَّانٍ، وَلَا بِلَعَّانٍ، وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ» وَقَالَ ابْنُ سَابِقٍ مَرَّةً: بِالطَّعَّانِ، وَلَا بِاللَّعَّانِ»[2].

قد يزاد حرف الجر المزيد (الباء) في خبر ليس ليفيد توكيد النفي وتمكينه، كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [آل عمران: 182] ، وقد تكون (ليس) بمعنى (لا) العاطفة فتجعل الحكم الّذي قبلها منفي عما بعدها، وهناك من يرى أنَّ (ليس) حرف وليس فعلا، وأول من ذهب من النحاة إلى أن (ليس) حرف، هو ابن السراج وتابعه على ذلك أبو علي الفارسي في " الحلبيات " وأبو بكر بن شقير، وجماعة[3]، واستدلوا على ذلك بدليلين:

الدليل الأول: أن " ليس " أشبه الحرف من وجهين: الوجه الأول: أنه يدل على معنى يدل عليه الحرف، وذلك لأنّه يدل على النفي الذي يدل عليه " ما " وغيرها من حروف النفي.

الوجه الثاني: أنه جامد لا يتصرف، كما أن الحرف جامد لا يتصرف.

---

[1] - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب، 3/353،354 و356.

2- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 06/390.

3- ينظر: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي، هامش كتاب شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة، العشرون 1400 هـ - 1980 م ، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه، 1/ 262.

والدليل الثاني: أنه خالف سنن الأفعال عامة، وبيان ذلك أن الأفعال بوجه عام مشتقة من المصدر للدلالة على الحدث دائما والزمان بحسب الصيغ المختلفة، وهذه الكلمة لا تدل على الحدث أصلا، وما فيها من الدلالة على الزمان مخالف لما في عامة الأفعال، فإن عامة الأفعال الماضية تدل على الزمان الذي انقضى، وهذه الكلمة تدل على نفي = الحدث الذي دل عليه خبرها في الزمان الحاضر، إلى أن تقوم قرينة تصرفه إلى الماضي أو المستقبل، فإذا قلت: " ليس خلق الله مثله " فليس أداة نفي، واسمها ضمير شأن محذوف، وجملة الفعل الماضي – وهو خلق – وفاعله في محل نصب خبرها.

وفي هذا المثال قرينة – وهي كون الخبر ماضيا – على أن المراد نفي الخلق في الماضي، وقوله تعالى: ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [هود: 08] يشتمل على قرينة تدل على أن المراد نفي صرفه عنهم فيما يستقبل من الزمان، ومن أجل ذلك كله قالوا: هي حرف. ويرد ذلك عليهم قبولها علامات الفعل، ألا ترى أن تاء التأنيث الساكنة تدخل عليها، فتقول: ليست هند مفلحة، وأن تاء الفاعل تدخل عليها، فتقول: لست، ولست، ولستما، ولستم، ولستن.

وأما عدم دلالتها على الحدث كسائر الأفعال فإنه منازع فيه، لأنَّ المحقّق "الرضي" هو من ذهب إلى أن (ليس) دالة على حدث – وهو الانتفاء – ولئن سلمنا أنها لا تدل على حدث – كما هو الراجح، بل الصحيح عند الجمهور – فإنا نقول: إن عدم دلالتها على حدث – ليس هو بأصل الوضع، ولكنه طارئ عليها وعارض لها بسبب دلالتها على النفي، والمعتبر إنما هو الدلالة بحسب الوضع وأصل اللغة، وهي من هذه الجهة دالة عليه، فلا يضرها أن يطرأ عليها ذلك الطارئ فيمنعها[1].

وذلك ما قال به ابن هشام في مغني اللبيب حيث يعتبر (ليس) فعلا فهي لا يتصرف وزنه فعل، ويشير إلى القائلين بحرفية (ليس) «وزعم ابن السراج أنه حرف بمنزلة ما وتابعه الفارسي في الحلبيات

1- ينظر: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي، هامش كتاب شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 1/ 262، 263.

وابن شقير[1] وجماعة والصواب الأوّل بدليل لست ولستما ولستن وليسا وليسوا وليست ولسن، وتلازم رفع الاسم ونصب الخبر»[2]. والدارس لهذه الأداة يجدها تفيد الفعلية ولا تفيد الحرفية فهي تسند إلى الضمائر فلا مجال لتصنيفها مع الحرفية.

7- إنْ:

وهي حرف ينفي الحال نحو قوله تعالى: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ [يس: 29] ، وتكون نافية وتدخل على الجملة الاسمية نحو ﴿ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ ومن ذلك: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: 71] وعلى الجملة الفعلية نحو: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء: 117]، وقوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: 52].

وذهب بعضهم إلى القول بأنها لا تأتي أي (إنْ) النافية إلا وبعدها (إلا) كهذه الآيات أو لَمّا المشددة التي بمعناها كقراءة بعض السبعة ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق: 04] بتشديد الميم أي ما كل نفس إلا عليها حافظ مردود بقوله تعالى﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴾ [الجن: 25] ، وقوله:﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأنبياء: 111]، أي ما أدري[3].

وقد تقترن بلا النافية نحو ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ [التوبة: 40] ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: 39] ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود: 47]،

1- ابن شُقَيْر(ت 317 هـ/ 929 م)، أحمد بن الحسن بن الفرج، أبو بكر ابن شقير: عالم بالنحو. بغدادي. له كتب في (المقصور والممدود) و (المذكر والمؤنث) و (مختصر في النحو)، ينظر: الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي ، الطبعة الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

2- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:83/3.

3- ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 126،127/1.

والفرق بين (إنْ) الشرطية وبين (إنْ) النافية هو أنَّ (إنْ) النافية تدخل على الأسماء والأفعال، ولا تعمل بخلاف (إنْ) الشرطية.

8- لات:

(لات) من أدوات النفي، وقد اختلف النحاة والبلاغيون في أصل اشتقاقها، قال الزمخشري:«و(**لا**) الّتي يكْسَعُونَها[1] بالتاء هي المشبّهة بـ(**ليس**) بعينها، ولكنّهم أَبَوْا إلاّ أنْ يكون المنصوب بها حيناً، قال الله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ص: 03]»[2]. ويرى ابن يعيش (ت549هـ) أنّ (لا) تُشبَّه بـ(لَيْسَ) وتعمل عملها، كما شُبِّهت بها (ما) في لغة أهل الحجاز فرفعوا بها الاسم، ونصبوا الخبر، فقالوا: (لا رجلٌ أفضلَ منكَ)، و(لا أحدٌ خيراً منك)، وربما أدخلوا في خبرها الباء تشبيهاً بـ(ما)، فقالوا: (لا رجلٌ بأفضلَ منكَ) و(لا أحدٌ بخيرٍ منك)، إلاّ أنّ (ما) أقعدُ من (لا) في الشّبَه بـ(لَيْسَ)، ولذلك كانت أعمّ تصرّفاً وأكثر استعمالا، والكثير في (لا) أن تنصب النكرة حملا على (أنّ). ونصب الخبر، لم يخرجوا عن حكمها في أقوى حالها، وهو نصبُ الاسم، ورفعُ الخبر، فلم يُفصَل بينها، وبين ما عملت فيه، ولم تعمل إلا في نكرة، فأمّا إذا لحقها تاء التأنيث، وقيل: (لات) فالقياس أن تكون المشبّهة بـ(لَيْسَ)، لأنّها في معنى ما تدخله تاء التأنيث، وليست كذلك الناصبةُ، لأنّها، لأنّها في معنى (إنّ). وليست (إنّ) ممَّا تدخله تاءُ التأنيث، ولأنَّه وقع بعدها المرفوعُ من غير تكرير، فعَلِمَ أنّها بمعنى (ليس)، إذْ لو لم تكن بمعنى (ليس)، لزم تكريرُها[3].

1- ينظر: «يكسعونها"، أي: يُتْبِعونها في آخر الكلمة، يقال: كَسَعه، أي: ضربه من خَلْفُ، وهذه استعارة لزيادة التاء آخراً، ولا تعمل هذه إلا في الأحيان خاصّة سواءً نَصَبَتْ، أو رَفَعَتْ. والعلّة في ذلك أنّها في المرتبة الثالثة ، فـ(لَيْسَ) أقوى، ، لأنّها الأصل، ثمَّ (ما)، ثمّ (لاَتَ) . فأمّا قوله تعالى: {ولاتَ حينَ مناص}[ص: 03] ، فإنّه قد قُرئ: {ولات حينُ مناصٍ} بالرفع. والنصبُ أكثر، فالنصب على أنّه الخبرُ، والاسم محذوفٌ، والتقديرُ: ولات حينٌ نحنُ فيه حينَ مناص. ولا يُقدَّر الاسم المحذوف إلا نكرةً، لأنّ (لا) إذا كانت رافعةً لا تعمل إلاّ في نكرة كما إذا كانت ناصبة...» ينظر: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، شرح المفصل للزمخشري، ، تقديم ومراجعة: إميل بديع يعقوب الطبعة الأولى: 1422هـ/ 2001م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2/ 122.

2- أبو القاسم محمود، الزمخشري جار الله، المفصل في صنعة الإعراب، تح: د. علي بو ملحم ،الطبعة الأولى، 1993 ، مكتبة الهلال – بيروت، ص: 112.

3- موفق الدين يعيش ، شرح المفصل للزمخشري، ، تقديم ومراجعة: إميل بديع يعقوب، 2/ 122.

ب- الأدوات المتضمِّنة للنفي: بما أن فكرة النفي الضمني تقوم على معنى الإنكار حيث يدفع بالمتلقي ليبحث في دلالات الخطاب الذي يحمل صيغة النفي، فإن الأدوات المتضمنة للنفي هي أدوات تحولت من معناها الوظيفي إلى معنى النفي، لتنوب عن معنى أدوات النفي الدالة عليه أصالة وهي كالتالي:

1- كلاَّ: لها أوجه أربع للإعراب، منها أنّها تكون لنفي الجواب كأنْ تجيبَ من يسألك هل حدث ذلك الشيء فتجيبه بـ (كلا لم يحدث)، فحينما نجيب بها نقدِّر لها حرف نفي أصلي مثل (لمْ). كما أنّها تفيد الردع والزجر والتنبيه فتنفي بها الفعل المقدّر حصوله، كأنْ نجيب بها مَنْ يقول لنا:"سأفعل ذلك الشيء" فنقول له: كلاَّ، كما تكون حرفاً للاستفتاح نحو قوله تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: 15].وتكون بمعنى "حقّاً" نحو قوله تعالى:﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ [العلق: 06][1]. ومن مجيئها بمعنى النفي قوله تعالى:﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء:14،15] فنفى الله عزّ وجلّ أن يقتلوه أي لا يقتلونك.

2- لوْ:

حرف شرط غير جازم، أداة امتناع لامتناع، أو حرف يدل على ما كان سيقع لوقوع غيره[2]، وهي على خَمْسَة أوجه: أَحدهَا لَو المستعملة فِي نَحْو: لَو جَاءَنِي لأكرمته وَهَذِه تفِيد ثَلَاثَة أُمُور أَحدهَا: الشّرطِيَّة أَي عقد السَّبَبِيَّة والمسببية بَين الجملتين بعْدهَا.

وَالثَّانِي تَقْيِيد الشّرطِيَّة بالزمن الْمَاضِي وَبِهَذَا الْوَجْه وَمَا يذكر بعده فَارقت "إِنْ" فَإِنَّ تلْكَ لعقد السَّبَبِيَّة والمسببية فِي الْمُسْتَقْبل وَلِهَذَا قَالُوا الشَّرْط بِإِنْ سَابق على الشَّرْط بلوْ وَذَلِكَ لِأَن الزَّمن الْمُسْتَقْبل سَابق على الزَّمن الْمَاضِي عكس مَا يتَوَهَّم المبتدئون أَلا ترى أَنَّك تَقول إِن جئتني غَدا أكرمتك فَإِذا انْقَضى الْغَد وَلم يَجِيء قلت لَو جئتني أمس أكرمتك.

الثَّالِث الِامْتِنَاع وَقد اخْتلف النُّحَاة فِي إفادتها لَهُ وَكَيْفِيَّة إفادتها إِيَّاه على ثَلَاثَة أَقْوَال

1- ينظر: إميل بديع يعقوب، معجم الإعراب والإملاء، الطبعة الثالثة: 1986م، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ص: 339.

2 – ينظر: أحمد قبّش، الكامل في النحو والصرف والإعراب، ص:41.

أَحدهَا أَنَّهَا لَا تفيده بِوَجْه وَهُوَ قَول الشلوبين[1] زعم أَنَّهَا لَا تدل على امْتنَاع الشَّرْط وَلَا على امْتنَاع الْجَواب بل على التَّعْلِيق فِي الْمَاضِي كَمَا دلّت إِن على التَّعْلِيق فِي الْمُسْتَقْبل وَلم تدل بِالْإِجْمَاع على امْتنَاع وَلَا ثُبُوت وَتبعهُ على هَذَا القَوْل ابْن هِشَام[2] الخضراوي[3].

وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: 13] أَي وَلَكِن لما شئنا ذَلِك فَحق القَوْل منا.

وَالمعروف أنّ (لو) تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط، نحو: لو جئتني لأكرمتك، فامتنع الإكرام بسبب امتناع المجيء، إلاّ أن ابن هشام في مغني اللبيب يرفض هذه القول بقوله: «أَنَّهَا تفيد امْتنَاع الشَّرْط وَامْتنَاع الْجَواب جَمِيعًا وَهَذَا هُوَ القَوْل الْجَارِي على أَلْسِنَة المعربين وَنَصّ عَلَيْهِ جمَاعَة من النحويين وَهُوَ بَاطِل بمواضع كَثِيرَة مِنْهَا قَوْله تَعَالَى:﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: 111] ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان:27]، وَقَول عمر رَضِي الله عَنهُ «نعم العَبْد صُهَيْب لَو لم يخف الله لم يَعْصِه» وَبَيَانه أَن كل شَيْء امْتنع ثَبت نقيضه فَإِذا امْتنع مَا قَامَ ثَبت قَامَ وَبِالْعَكْسِ

1- الشَّلَوْبِيني (562 - 645 هـ = 1166 - 1247 م) عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الأَزْدي، أبو علي، الشلوبيني أو الشلوبين: من كبار العلماء بالنحو واللغة. مولده ووفاته بإشبيليّة. من كتبه " القوانين " في علم العربية، ومختصره " التوطئة " و " شرح المقدمة الجزولية " في النحو، كبير وصغير، و " حواش على كتاب المفصَّل للزمخشري - خ " في شستربتي (5026) و " تعليق على كتاب سيبويه " نحو. والشلوبيني نسبة إلى حصن " الشلوبين " أو " شلوبينية " بجنوب الأندلس ويسميه الإسبان Salobrena وفي المؤرخين من يقول إن لقب صاحب الترجمة " الشلوبين " بغير نسبة، ويفسره بأن معنى هذه الكلمة: الأبيض الأشقر. وفي اختصار القدح أنه " ينسب إلى شلوبينة، من حصون غرناطة الساحلية " وأنه اشتهر بحدة المزاج، وكان يسب من يمر بذكره من أئمة النحو وغيرهم. وتروى عنه حكايات في الغفلة. وكان أبوه خبازا بإشبيليّة.

2- ابن هشام الخضراوي (575 - 646 هـ = 1180 - 1248 م) محمد بن يحيى بن هشام الخضراوي الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الله، المعروف بابن البرذعي: عالم بالعربية، أندلسي. من أهل الجزيرة الخضراء توفي بتونس. له كتب، منها (النخب) في مسائل مختلفة، عدة أجزاء، و (الإفصاح في شرح كتاب الإيضاح - خ) الجزء الخامس منه، وهو الأخير، و (الاقتراح في تلخيص الإيضاح) و (غرة الإصباح في شرح أبيات الإيضاح) و (النقض على الممتع لابن عصفور) و (فصل المقال في تلخيص أبنية الأفعال).

3- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 3/367،368.

وعَلى هَذَا فَيلْزم على هَذَا القَوْل فِي الْآيَة الأولى ثُبُوت إِيمَانهم مَعَ عدم نزُول الْمَلَائِكَة وتكليم الْمَوْتَى لَهُم وَحشر كل شَيْء عَلَيْهِم وَفِي الثَّانِيَة نفاد الْكَلِمَات مَعَ عدم كَون كل مَا فِي الأَرْض من شَجَرَة أقلاما تكْتب الْكَلِمَات وَكَون الْبَحْر الْأَعْظَم بِمَنْزِلَة الدواة وَكَون السَّبْعَة الأبحر مَمْلُوءَة مدادا وَهِي تمد ذَلِك الْبَحْر وَيلْزم فِي الْأَثر ثُبُوت الْمعْصِيَة مَعَ ثُبُوت الْخَوْف وكل ذَلِك عكس المُرَاد»[1].

ولابن هشام تفصيل طويل في (لو) خاصة التي يقال أنّها تفيد الامتناع لامتناع، فيسرد أقوال النحاة منهم سيبويه ويحلّل كل قول على حدا، مستدلا على رأيه بالقرآن والشعر العربي. وما نستخلصه من هذا الامتناع هو النفي الضمني.

3- لولا:

أما (لولا) فتفيد امتناع الجواب لوجود الشرط، أو امتناع شيء لوجود غيره، نحو قولنا: (لولا الأم لانقرض الحنان)، وهي تختص بالجمل الاسمية، والاسم بعدها يكون مبتدأ قد يُحذَفُ خبره ، كقوله تعالى:﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [البقرة: 64]أي (لولا فضل الله موجود عليكم..)، وهناك من يرى أنّها مركّبة من (لو) الشرطية و (لا) النافية، فلو تنفي و(لا) بعدها تنفي، والمعروف أنّ نفي النفي إثبات[2].

4- بلْ:

حرف إضراب فَإِن تَلَاهَا جملَة كَانَ معنى الإضراب إِمَّا الْإِبْطَال نَحْو ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: 26] أَي بل هم عباد، وَنَحْو: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [المؤمنون: 70]، وَإِمَّا الِانْتِقَال من غَرَض إِلَى آخر فقد ذهب ابْن مَالك فِي شرح كافيته أَنَّهَا لَا تقع فِي التَّنْزِيل إِلَّا على هَذَا الْوَجْه ومثاله ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الأعلى: 14 ، 16] وَنَحْو ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا

1- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:3/371،372، 373.

2- ينظر: سالم ولد محمد أحمد، النفي والإثبات عند الأصوليين، ص: 85.

﴿كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۖ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[المؤمنون: 26] وَهِي فِي ذَلِك كُله حرف ابْتِدَاء لَا عاطفة على الصَّحِيح[1].

وجاء في الجني الداني ما مضمونه حرف إضراب. وله حالان: الأول: أن تقع بعده جملة. والثاني: أن يقع بعده مفرد. فإن وقع بعده جملة كان إضراباً عما قبلها، إما على جهة الإبطال، نحو:ج ﴿أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون: 70]، وإما على جهة الترك للانتقال، من غير إبطال، نحو ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: 62 – 63]. وإذا وقع بعد بل مفرد فهي حرف عطف، ومعناها الإضراب. ولكن حالها فيه مختلف: فإن كانت بعد نفي نحو: ما قام زيد بل عمرو، أو نهي نحو: لا تضرب زيداً بل عمراً، فهي لتقرير حكم الأول، وجعل ضده لما بعدها. ففي المثال الأول قررت نفي القيام لزيد، وأثبتته لعمرو. وفي المثال الثاني قررت النهي عن ضرب زيد، وأثبتت الأمر بضرب عمرو[2]. وبذلك يقتضي عملها نقل حكم النفي والنهي لما بعدها وإزالة الحكم الخاص به.

5– أمْ:

وهي ضربان: منقطعة ومتصلة، أما المتصلة فهي المسبوقة إما بهمزة التسوية، سواء وجدت لفظة "سواء" أو لا، والمسبوقة بهمزة التسوية هي الداخلة على جملة بحيث تكون الهمزة مع الجملة في محل المصدر، وتكون الجملة المسبوقة بهمزة التسوية والجملة المعطوفة عليها فعليتين نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ [البقرة: 06] أي: سواء عليهم الإنذار وعدمه.

أو مختلفتين بأن تكون المعطوفة عليها فعلية والمعطوفة اسمية "نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: 193] أي: سواء عليكم دعاؤكم إياهم أم صمتكم[3].

1- ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب:2/ 184، 185.

2- ينظر: أبو محمد بدر الدين حسن المرادي المصري المالكي، الجني الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، الطبعة الأولى، 1413 هـ – 1992 م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ص:235،236.

3- ينظر: زين الدين المصري، شرح التصريح على التوضيح: 2/ 168.

وتكون (أم) المتصلة منحصرة في نوعين، لأنها إما أن تتقدم عليها همزة التسوية، أو همزة يطلب بها وبـ"أم" التعيين، وسميت في هذين النوعين متصلة لأنَّ ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر. و(أم) المنقطعة هي الخالية من ذلك" المذكور في المتصلة، فلا تتقدم عليها همزة التسوية ولا همزة يطلب بها وبـ"أم" التعيين. وسميت منقطعة لوقوعها بين جملتين مستقلتين، "فلا يفارقها معنى الإضراب" عند الجمهور[1].

6- أوْ: وهي تفيد النفي الضمني إذا كانت بمعنى (بلْ) و(أمْ) الدالتين على الإضراب، ويجوز ذلك بشرطين أن يتقدمها نفي أو نهي، وإعادة العامل، نحو: "ما قام زيد أو ما قام عمرو" [2] ، ومثال ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النحل: 77] . بمعنى "بل هو أقرب".

7- غير:

غير: اسم ملازم للإضافة في المعنى «يفيد المغايرة يقع استثناءً بمعنى (إلاّ) ويقع نفياً وقد يكون اسماً لمعنى المغايرة بلا دلالة على نفي أو استثناء»[3]، فمن دلالته على الاستثناء، قولك (أقبل الرجال غير رجل واحد). ونحو قوله تعالى:﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ [النساء: 95] بالرفع على أنّه صفة للقاعدين، وكقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ ﴾ [فاطر: 37] ، «يوصف بها –على الرغم من جمودها– لما فيها من معنى اسم الفاعل؛ لأن معناها إفادة المغايرة، والدلالة على أن مجرورها مغايرٌ ومخالفٌ للموصوف في الحكم الذي ثبت له إيجابا أو نفيا؛ إما في ذاته؛ نحو: قابلت رجلا غير علي؛ أو في وصف

1- ينظر: المصدر نفسه، 2/ 170،171.

2 - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: 417/1.

3- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، الطبعة الأولى: 1420هـ/ 2000م، دار الفكر ، عمان، الأردن، 210 و 262/2.

طارئ على الذات؛ نحو: قابلني بوجه غير الذي عهدته منه، فوصف الوجه مختلف في الحالتين»[1].

ولكونها تفيد المغايرة حملت على (إلاّ) الاستثناء فأصبح يستثنى بها، إلا أنَّ (إلاّ) تختلف عن (غير) تفيد المغايرة ذاتاً أو صفة، بغض النظر عن الإثبات والنفي، أما (إلاّ) فتفيد المغايرة نفياً وإثباتاً بغض النظر عن المغايرة بالذات أو الصفة، فتقول : حضر الرجال إلا خالداً، فهنا أفادت (إلاّ) المغايرة بالإثبات والنفي، فالرجال حضروا وخالد لم يحضر[2].

بغض النظر عن الصفة أو الذات، كما حملت (إلا) على (غير) فأصبحت صفة تفيد المغايرة بالذات أو الصفة، وجاء في حاشية الخضري على شرح ابن عقيل : «واعلم أنّ أصل (غير) كونها صفة مفيدة لمغايرة مجرورها لموصوفها ذاتاً أو صفة... وأما (إلاّ) فأصلها مغايرة ما بعدها لما قبلها نفيا وإثباتاً، فلما اتفقا في مطلق المغايرة حملت (غير) على (إلاّ) في الاستثناء بها أي في المغايرة نفياً وإثباتا، بلا نظر لمغايرة ذات أو صفة»[3].

فإنَّ (غير) تكون بمعنى (إلاّ) وتفيد الاستثناء فيُغَايِر ما قبلها ما بعدها نفياً وإثباتاً، فإذا كان ما قبلها إيجاباً كان ما بعدها نفيا، وإذا كان ما قبلها نفياً كان ما بعدها إثباتاً.

«و(غير) : يسوغ إِقَامَتهَا مقَام (إِلَّا) والاسم الْوَاقِع بعد (غير) لَا يَقع أبدا إِلَّا مجرورا بِالْإِضَافَة، وَضمير الْمَجْرُور لَا يكون إِلَّا مُتَّصلا، وَلِهَذَا امْتنع أَن يفصل بَينهمَا، وَلَيْسَ كَذَلِك الِاسْم الْوَاقِع بعد (إِلَّا) لِأَنَّهُ يَقع إِمَّا مَنْصُوبًا أَو مَرْفُوعا، وَكِلَاهُمَا يجوز أَن يفصل بَينه وَبَين الْعَامِل نَحْو: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلا﴾ نصب مَا بعْدهَا بهَا و﴿مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيل﴾ رفع مَا بعْدهَا على أَنه بدل بعض نقل عَن الْآمِدِيّ أَنَّك إِذا قلت: (لَا رجل فِي

1- عبد الله بن يوسف جمال الدين ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د. ت) ، 238/2.

2- ينظر: معاني النحو، 2/ 262.

3- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 208/1، دار الفكر، (د ت. د. ذ. ب.)، وينظر: أبو العرفان محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، الطبعة الأولى 1417 هـ -1997م، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 229/2.

الدَّار إِلَّا عمرا) كَانَ نصب (عَمْرو) على الِاسْتِثْنَاء أحسن من رَفعه على الْبَدَل، وَقد قَالُوا: إِذا لم تحصل الْمُشَارَكَة فِي الِاتِّبَاع كَانَ النصب على الِاسْتِثْنَاء أولى»[1].

والملاحظ أن فائدة الكلام التي تحصل من خلالها هي المغايرة، وأنها تحلّ محلّ (إلاّ) التي تصلح للاستثناء، وحين نتأمّل السياق الّذي توضع فيه هذه الأداة نجده متضمِّنا النفي، لذا وُضِعت هذه الأداة مع الأدوات المتضمِّنة للنفي.

9- لكنْ:

لكن حرف استدراك[2] سواء كانت مخفّفة أو مشدّدة، والاستدراك معناه مخالفة ما بعدها لما قبلها، قال ابن جني:« وَمعنى لَكِن الِاسْتِدْرَاك تَقول مَا قَامَ زيد لَكِن عَمْرو وَمَا رَأَيْت أحدا لَكِن جعفراً إِلَّا أَنَّهَا لَا تسْتَعْمل فِي الْعَطف إِلَّا بعد النَّفْي وَلَو قلت قَامَ زيد لَكِن عَمْرو لم يجز فَإِن جَاءَت بعد الْوَاجب جَازَ أَن تكون بعْدهَا الْجُمْلَة تَقول قَامَ زيد لَكِن عَمْرو لم يقم ومررت بِمُحَمد لَكِن جَعْفَر لم أمرر بِهِ»[3]. ولكي تكون (لكن) للاستدراك ثمّة شروط ثلاثة:

1- أن يكون المعطوف بها مفرداً لا جملة.

2- ألاّ تقترن بالواو.

3- أنْ تُسبَقَ بنفي أو نهي.

وإذا لم يتحقّق شرطٌ من هذه الشروط أصبحتْ حرفاً للابتداء لا الاستدراك[4]، وإذا كانت للابتداء كذلك تفيد الاستدراك، وهذا إذا تَلَتْها جملة، لكنها لم ترد في القرآن الكريم ونجدها في الشعر قليلاً، وقد تكون قبلها الواو، فتكون الواو عاطفة، و(لكن) للاستدراك فلا محلّ لها من الإعراب، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ

1- أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، ص: 166.

2- الاستدراك هنا هو تعقيب الكلام بإثبات ما يُتوَهَّم نفيه، فإذا قلت: (ما أكلتُ لكن شربتُ) دفعتَ بـ"لكن" توهّم عدم الشرب. ينظر: معجم الإعراب والإملاء لإميل بديع يعقوب، هامش صفحة : 373.

3- أحمد ابن الحسين بن الخبّاز، توجيه اللمع، ، شرح كتاب اللُّمع في العربية لأبي الفتح عثمان بن جني، تح: فايز زكي محمد دياب، الطبعة الثانية: 1428هـ/2007م، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ص: 289.

4- إميل بديع يعقوب، معجم الإعراب والإملاء، ص: 373.

ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 40]، أي لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة[1]، و«هو استدراك للنفي الذي شمل عموم نسبة الأبوة لأي رجل من الرجال إلى «محمد» .. وليس معنى هذا قطع الصلة بين «محمد» وبين الناس..»[2]، لرفع ما قد يتوهم من نفي أبوته، من انفصال صلة التراحم والبر بينه وبين الأمة[3].

هذه أهمّ الأدوات الّتي تفيد النفي الضمني، وتبقى أمور أخرى يستفاد منها النفي الضمني كالاستفهام الإنكاري الّذي يفيد النفي ضمنيا، نحو قوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم: 65] ، ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: 22]، أي لا أحد أظلم.

من خلال ما تقدم يتضح لنا أن العربية تستخدم عدة أدوات للنفي، وهي وإن اشتركت في معنى النفي لمضمون ما دخلت عليه تختلف فيما بينها في توجيه النفي وفي سعة حدوده أو ضيقها، وإذا قمنا بنظرة فاحصة لأدوات كلّ قسم من أقسامه نجده أسلوباً له تأثير عظيم ومهم في توجيه المعنى، سواء على مستوى الخطاب أو على مستوى التلقي، فإذا كان صريحا يلزمه الأداة الفاعلة في تحقيق الغاية وتحويل حال الحدث من زمن إلى آخر، فبسبب تلك الأداة ينتفي المثبت، ويصير في حكم المعدم، أو المنكر، أو المسلوب، هذا إذا قرّبنا بين هذه الألفاظ وجعلناها تؤدي المعنى نفسه.

أما النفي الضمني فله قرائنه وأدواته الّتي تُكسب التركيب رونقا جذاباً وجميلاً حيث تجعل للمعنى وجهة غير التي هي عليها في الظاهر أو كما يسميه أهل البلاغة (خلاف مقتضى الظاهر).

فللنفي دور أساس في التركيب، وتعبيريته في القرآن الكريم تعمل في عدّة سياقات كالاستفهام والاستثناء والشرط والقسم، كما نجد النفي يتكرّر أحيانا وذلك لغايات وأسرار، هذا ما سنتعرّف عليه في الفصلين اللاحقين إن شاء اللّه.

1- ينظر: الكشاف للزمخشري: 544/3، وتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى: 106/7، دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان.

2- عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي – القاهرة، 726/11.

3- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 44/22.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

تعبيرية النفي في القرآن الكريم:

1- تعبيرية النفي بالاستفهام في القرآن الكريم.

2- تعبيرية النفي بالاستثناء في القرآن الكريم.

2-1: التعبيرية بالقصر.

2-2: التعبيرية بالحصر.

3- ظاهرة تكرار النفي في القرآن الكريم.

1- تعبيرية النفي بالاستفهام:

تعمل تعبيرية النفي في القرآن الكريم في عدّة سياقات كالاستفهام والاستثناء والشرط والقَسَم، والتوكيد، وهذا في النص القرآني الواحد، أو ربما في الآية الواحدة، والّذي يَهمّنا في هذا المبحث هو تقاطع النفي مع الاستفهام في الموضع الواحد أو في الآية نفسها، ونجد هذا النوع من التعبير يتكرّر كثيراً في الخطاب القرآني، والْمُخَاطِب في حديثه يجعل من تقنية التحوّل بالنفي وسيلة لتحويل المعاني وامتداد العبارات لدفع فكرة أو أفكار راسخة في ذهن المتلقي أو الخصم، فيستحضر أساليب عدة تتضافر مع أدوات مختلفة في سياق معيّن لتحقيق التأثير، وإبراز الحجّة الدامغة، فـ«عندما تكون التراكيب على تنوّع مواردها راجعة إلى منوال واحد أو منوالات متعدّدة، بتعدّد أساليب التعبير الغالبة ...فإنَّ لحمة مقاليّة مخصوصة تحدث بين التركيب والتعبير، وتتحوّل بمقتضاها العلاقة بينها من علاقة عضوية اعتباطية إلى علاقة طبيعية مبرّرة تعكس لحمة مقامية»[1].

ولَمَّا كانت تعبيرية النفي في القرآن الكريم تعمل في عدّة سياقات كالاستفهام والاستثناء والشرط والقَسَم، فإنّنا سنحاول أن ندرس هذا الخطاب على جميع الأصعدة، حسب ما تقتضيه قراءة النّص. وقبل البحث في الآيات الّتي اقترن فيها النفي بالاستفهام علينا أن نلقي نظرة على بعض أدوات الاستفهام المستخدمة بكثرة في الخطاب القرآني كالهمزة و(هل) و(ما) وعلينا أن نعرف الجوانب النحوية والبلاغية لمعاني هذه الأدوات:

1-هل: يطلب بها معرفة مضمون الجملة ، لأن السائل يجهل العلم بها، قال الزركشي: «هَلْ للاسْتِفْهَام، قيلَ: وَلَا يَكُونُ الْمُسْتَفْهِمُ مَعَهَا إِلَّا فِيمَا لَا ظَنَّ لَهُ فيه أَلْبَتَّةَ بخلَاف الْهَمْزَة فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ إِثْبَاتٌ فَإِذَا قُلْتَ أَعِنْدَكَ زَيْدٌ؟ فَقَدْ هَجَسَ فِي نَفْسِكَ أَنَّهُ عِنْدَهُ فَأَرَدْتَ أَنْ تَسْتَثْبِتَهُ بِخِلَافِ هَلْ حَكَاهُ ابْنُ الدَّهَّانِ»[2].

1- محمد الهادي الطرابلسي، تحاليل أسلوبية، دار الجنوب للنشر: تونس: 1992، ص:128.

2- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، القاهرة - مصر، 4/ 433.

فهذا الاستفهام الحقيقي بما يجهله السائل عن طريق أداة الاستفهام "هل" قد يُرادُ به النَّفي «ولذلكَ دَخَلَتْ عَلى الخبر بعدَها "إلاّ" في نحو: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:60]»[1].

2- ما : اسم استفهام لغير العاقل، وعن حقيقة الشيء أو صفته سواء كان هذا الشيء عاقلا أم غير عاقل، نحو: ما فعلت؟ [2]، ومن أمثلة استعمالها لغير العاقل في القرآن الكريم: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[طه: 17]. والذين قالوا باستعمالها للعاقل استدلوا بقول الله تعالى:﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء: 23]، يقول الزركشي:« وجوّز بعض النحويين أن يسأل بها عن أعيان من يعقل أيضا حكاه الراغب فإن كان مأخذه قوله تعالى عن فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فإنما هو سؤال عن الصفة لأن الرب هو المالك والملك صفة ولهذا أجابه موسى بالصفات ويحتمل أن ما سؤال عن ماهية الشيء ولا يمكن ذلك في حق الله تعالى فأجابه موسى تنبيها على صواب السؤال»[3].

3- **الهمزة:** تأتي لطلب التصور والتصديق، بينما "هل" تأتي للتصوُّر خاصة[4]، والهمزة تُوَظف كثيرا في الخطاب لأهميتها وقوة تأثيرها.

والمستفهم عنه ضربان : تصديق وتصوّر: فالتصديق هو طلب معرفة النسبة (الحكم) بين المسند والمسند إليه، ثبوتاً أو نفياً، أي طلب معرفة ثبوت أمر لأمر أو نفيه عنه، كقوله تعالى:﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ [طه: 71]، والتصوّر: هو طلب معرفة شيء آخر غير النسبة، أي غير الثبوت والانتفاء مثل قوله تعالى:﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: 41][5].

والاستفهام قد يكون حقيقياً وقد يؤدي معاني مختلفة حسب السياق، فبعض أدواته قد يُطرح بها لسؤال عند الشكّ أو التردّد في الجواب و عدم التأكّد، والهمزة خاصة إذا كان بعدها فعل فيكون الشكّ في الفعل نفسه[6] ، فيُقصَد بالسؤال التصديق أو التصوّر.

---

1 - ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 348/2.

2 - ينظر: إميل بديع يعقوب، معجم والإعراب والإملاء:387.

3- المصدر نفسه: 4/ 403.

4 - المصدر نفسه:178/4.

5 - ينظر: موسوعة علوم اللغة العربية، 10/1.

6- ينظر: عبد العاطي غريب علاّم، دراسات في البلاغة العربية، الطبعة الأولى- 1997م، منشورات جامعة قاز يونس بنغازي، ليبيا، ص: 43،44.

فعند الشّك في ثبوت الفعل للفاعل أو نفيه عنه يكون السؤال بالهمزة للتصديق، ويكون الجواب بـ(نعم) عند الإثبات أو بـ(لا) عند النفي «فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت: أفعلت؟، فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده. وإذا قلت: "أأنت فعلت؟ "، فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه. ومثال ذلك أنك تقول: "أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيها؟ ... "أفرغت من الكتائب الذي كنت تكتبه؟ "، تبدأ في هذا ونحوه بالفعل، لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه، لأنك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفائه»[1].

كما أنَّ الاستفهام بالهمزة خاصة يكون للتقرير أو الإنكار، كقوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء: 62]، فأرادوا بسؤالهم هذا إقراره عليه السلام بحدوث الفعل منه، وليس سؤالهم عن وقوع الفعل لأنّه ظاهر، لذلك قدّموا الاسم على الفعل، ولو كان التقرير بالفعل لَكَانَ الجوابُ: فَعَلْتُ، أو لمْ أفعل[2].

ويتقاطع الاستفهام مع النفي ويصنع خطاباً قويّا فيه من الشدّة والتأثير ما فيه إذا كان استفهاما إنكارياً مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ [الإسراء: 40]، وقوله تعالى:﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾ [الصافات: 153] فالخطاب موجّه للمشركين الذين قالوا «الملائكة بنات الله» والهمزة للإنكار، «يعنى: أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون، لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه، واتخذ أدونهم وهي البنات؟ وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم»[3].

ويفسّر فخر الدين الرازي هذا الزعم «أنهم اعتقدوا أن الولد قسمان، فأشرف القسمين البنون، وأخسهما البنات. ثم إنهم أثبتوا البنين لأنفسهم مع علمهم بنهاية عجزهم ونقصهم وأثبتوا البنات لله مع علمهم بأن الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له والجلال الذي لا غاية له، وذلك يدل على نهاية جهل القائل بهذا القول، قال النحويون هذه الهمزة همزة تدل على

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: 1 /111.

2- ينظر: المرجع نفسه، 1 /113.

3- الزمخشري، الكشاف: 2/ 668.

الإنكار على صيغة السؤال عن مذهب ظاهر الفساد لا جواب لصاحبه إلا بما فيه أعظم الفضيحة»[1].

والفاء تقع بعد همزة الاستفهام وتكون للتفريع[2] «فجملة أفأصفاكم ربكم بالبنين إلى آخرها متفرعة على جملة ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [الإسراء: 39] تفريعا على النهي كما بيناه باعتبار أن المنهي عنه مشتمل عمومه على هذا النوع الخاص الجدير بتخصيصه بالإنكار، وهو شبيه ببدل البعض. فالفاء للتفريع وحقها أن تقع في أول جملتها ولكن أخرها أن للاستفهام الصدر في أسلوب الكلام العربي. وهذا هو الوجه الحسن في موقع حروف العطف مع همزة الاستفهام»[3].

وخلاصة القول أنّ هذا الاستفهام معناه الإنكار الإبطالي وهذا يقتضي أن ما بعده غير واقع وأن مدعيه كاذب، ومعناه التقريع والتوبيخ والنفي أيضا أي لم يفعل ذلك.

وكثيرا ما نجد هذا النوع من الاستفهام الإنكاري أو الإبطالي يتكرّر في القرآن الكريم لما فيه من تقريع وتوبيخ وتبكيت لأهل الغواية والضلال، وهذا تمثّل في حرف استفهام واحد وهو الهمزة على سبيل الذكر لا الحصر، ولا يسع المقام لإجمال وحصر كلّ الجمل القرآنية الّتي ورد فيها هذا النوع من الخطاب، لذا سنكتفي بالإشارة إلى بعض الجمل الّتي التقى فيها الاستفهام مع النفي، ونبقى مع الهمزة لِما تؤديه من قلب وتحويل المعنى من اتجاه إلى اتجاه آخر، إمّا لتقرير أمر ما أو لإنكاره جملة وتفصيلاً؛ ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 76].

يرى أبو السعود (ت 982هـ) أن الاستفهام في قوله تعالى:"أفلا تعقلون"من تمام التوبيخ والعتاب، والفاءُ للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام، أي حين يفضي اليهود إلى بعضهم بعد حوارهم مع المسلمين يتلاومون بقولهم: أَلاَ تلاحظونَ فلا تعقِلون هذا الخطأَ الفاحشَ أو شيئاً

1- أبو عبد الله محمد بن عمر، فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، الطبعة الثالثة: 1420هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 345/20.

2- التفريع عند البلغاء أن يُثبِتَ لمتعلّق أمرُ حكم بعد إثباته لمتعلّق له آخر على وجهٍ يُشْعِر بالتفريع والتعقيب. ينظر: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 491/1.

3- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 107.

من الأشياء التي من جملتها هذا، فالمنْكرُ عدمُ التعقُّل ابتداءً أو أتفعلون ذلك فلا تعقلون بُطلانَه مع وضوحه حتى تحتاجون إلى التنبيه عليه فالمنكرُ حينئذ عدمُ التعقل بعد الفعل هذا[1].

الواضح من هذا أن المزج اللغوي لأداة الاستفهام وأداة النفي ولَّد دلالة جديدة للسياق تختلف عن الدلالة التي يلقي بها الاستفهام منفردا أو النفي منفردا حيث عملت همزة الاستفهام على زيادة الإنكار والتوبيخ وعملت "لا" النافية على نفي التعقل، فسُبِق النفي بالاستفهام للتنبيه على شدة الإنكار.

وحَمَل الطاهر بن عاشور (ت1393هـ) الاستفهام مع حرف العطف فِي قَوْلِهِ : أفلا تعقلون، على الإنكار والتوبيخ أو التقرير والتوبيخ إذ يصح التقاء التقرير والتوبيخ[2].

والملاحظ أن استخدام المضارع "يعقلون" كون الإنكار والتوبيخ يُعنى به المخاطبون فصورة الخطاب هي التي عدلت بالزمن إلى المضارع بدل الغائب، وامتزاج الاستفهام والنفي منح الخطاب قيمة خاصة انعكست على تركيب الجملة، ذاك أن هذا الامتزاج الموسع للتراكيب عمل على توسيع الدلالة، فالاستفهام الممتزج بالنفي"ألا" جعل التركيب يحتمل دلالة الإنكار والتوبيخ الواضحة من السياق، لأن اليهود يأمرون بعضهم بالاحتكام إلى العقل عند محاورة المسلمين ليَعصِموا أنفسهم من الانكشاف تدليسا منهم وادعاءا بأنهم الأحق، فتوبيخهم كان لعدم استخدام جماعة منهم المكر والخداع العقلي ما سوف يؤدي إلى قيام الحجة عليهم، كأنهم يبحثون عن طريقة للخلاص من ذلك.

كما يحمل الخطاب دلالة التقرير باستمرار بعض من اليهود محادثة المسلمين بما يعلمونه دون ترجيح النظر في إقامة الحجة عليهم من خلال ذلك، فكانت المطالبة بتعقلهم في هذه المحادثة بما يُرضِي أهوائهم وهذا ما جعل الاستفهام التوبيخي يُتبَع بالتقرير لِنَفهَم من ذلك أن دلالة الاستفهام تتعدد بحسب التوجهات الخطابية .

إذ يرى صاحب دلالات التراكيب أننا لا نستطيع في كثير من الصور ضبط معنى الاستفهام في شيء محدد، ما يدفعنا إلى ذكر جملة معاني حول الاستفهام الواحد فنقول مثلا في قوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت:2]، أنه إنكار

1 – ينظر: إرشاد العقل السليم، 118/1.

2 – ينظر: التحرير والتنوير، 572/1.

وتوبيخ وعتاب وتعجب، وهذا التعدد دليل على ما نريد أن نؤكده من أن المعنى الذي يفيده الاستفهام خفي وسانح ومتفلت[1]. فدلالة الاستفهام المحمولة في جملة "أفلا تعقلون" على الإنكار التوبيخي أو التقرير التوبيخي ترجع إلى دلالة الخطاب الثرية بالمعاني.

ومن الاستفهام التقريري قوله تعالى:﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ [البقرة: 33]، فجملة " ألم أقل لكم" تقرير لما مر من الجواب الإجماليِّ واستحضار له، لكن لا لتقرير نفسه كما في قوله تعالى "أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً" ونظائرِه بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافةِ في آدمَ عليه السلام لظهور مِصْداقه وإيرادُ ما لا يعلمون بعنوان الغيبِ مضافاً إلى السموات والأرض للمبالغة في بيان كمالِ شمولِ علمِه المحيطِ وغايةِ سَعته مع الإيذانِ بأنَّ ما ظهر من عجزهم وعلم آدمَ عليه السلام من الأمور وهذا دليلٌ واضحٌ على أنَّ المرادَ بما لا تعلمون فيما سبق ما أشير إليه هناك تذكيرا بذلك[2].

فدلالة الاستفهام المنفي في هذا السياق تدل على تقرير الله عز وجل قصور الملائكة عن علم الغيب وأن عالم الغيب وما يخفى هو الله وحده، وفي ذلك تذكير للملائكة الكرام الذين تساءلوا عن استخلاف آدم وذريته في الأرض ولديهم علم مسبق بإفساد هذه الذرية في الأرض، فلما أمر الله عز وجل آدم عليه السلام أن يعلمهم بأسمائهم ذكرهم عز وجل بعلمه الشامل، فدلالة التقرير واضحة في هذه الآية تتحقق من خلال الفعل المضارع المسبوق بـ "لم" الذي يدل على الحدوث القطعي فلم تنقل الزمن المضارع إلى الماضي ما يجعل المعنى لحمل الملائكة على الإقرار على سبيل العتاب. فهذا الاستفهام التقريري وبتحوله من النفي إلى الإثبات أضفى على النص بعدا جماليا « لأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد»[3].

وفي سورة الحجر قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[الحجر: 32،33]] . في الآيات السابقة لهذا النّص القرآني الكريم

1 - ينظر: دلالات التراكيب، ص: 220،221.

2- ينظر: إرشاد العقل السليم، 86/1.

3 - الكشاف: 14/1.

نبَّهَ الله تعالى على منتهى الخلق وهو الحشر يوم القيامة إلى ما يستقرون فيه، كما أطْلَعَهُم على مبدأ لهم وهو آدم عليه السلام، ثمَّ بدأ في تفصيل ما جرى مع عدوه إبليس من المحاورة مع الله تعالى[1].

ثمّ جاء موقف حواري حاد تمثّل في الخطاب الحِجاجِي القويّ بين الله عزّ وجلّ وإبليس اللعين، «اعلم أن الإنكار إذا وقع في الإثبات يجعله نفيا – كقوله تعالى: «أفي الله شك» أي لا شك فيه، وإذا وقع في النفي يجعله إثباتا، نحو: قوله تعالى «ألم يجدك يتيما» أي: قد وجدناك، وبيان ذلك: أن إنكار الإثبات والنفي نفيٌ لهما، ونفيُ الإثبات نفيٌ – ونفى النفي إثبات، ثم الإنكار قد يكون للتكذيب، نحو ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: 36] وقد يكون للتوبيخ واللّوم على ما وقع. نحو: «أتعبدون ما تنحتون» وهذه الآية من كلام إبراهيم عليه السلام لقومه، حينما رآهم يعبدون الأصنام من الحجارة»[2].

ولعلّ الصورة الواضحة الجلية في هذا الخطاب هي بروز أساليب النفي بقوَّة وتنوّع بديع، ابتداءً من سؤال الله عزّ وجلّ لإبليس اللعين "ما لك ألاّ تسجدَ"، إلى جواب إبليس "ما كنتُ لأسْجُدَ"، فالنفي بالأداة "مَا" تلاه توكيد باللام وهي لام الجحود التي تفيد النفي. فقال الله تعالى مثل هذا السؤال في سورة الأعراف بصيغة أخرى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [سورة الأعراف: 12]، وفي هذا النّص قال: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [سورة الحجر: 32] ، فوضع"ما منعك" موضع "ما لك"، و"ما لك" موضع"ما منعك"، لاتفاق معنييهما، وإن اختلفت ألفاظهما، كما تفعل العرب ذلك في نظائره مما تتفق معانيه وتختلف ألفاظه[3]، فالاستفهام إنكاري توبيخي، وهذا ما قال به غالب أهل التفسير، منهم الزمخشري وأبو السعود وأبو حيان وغيرهم[4]. وورود (لا) النافية بعد

1- أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح:صدقي محمد جميل، الطبعة:1420 هـ، دار الفكر – بيروت (لبنان)، 6/ 475.

2- هامش كتاب: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص: 83.

3- محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 301/5، تح: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000 م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

4- ينظر الكشاف: 2/ 90، والبحر المحيط: 17/5، وتفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي: 216/3 ،، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(أنْ) راجع إلى كون الّذي أنكره الله عزّ وجلّ على إبليس هو عدم السجود، كما جاء في غير هذا الموضع (أنْ تسجدَ)، أي (ما منعك من السجود)، وليس (ما منعك من عدم السجود)[1].

«ومبنى الإنكار أنَّ الله تعالى استفهم –وهو العليم– عن السبب الّذي منع إبليس عن السجود، وجُعَل هذا الاستفهام كناية عن نفي المُسَبِّب الّذي ترتّب على توهمه عند اللعين ترك السجود ... والمعنى: لا عذر لك في الامتناع عن السجود الّذي أمرتك به. و(مالك): أيْ أيُّ شيء استقرَّ لك وثبت فعصيت أمري ولم تسجد لآدم كما سجدت الملائكة وهم خيرٌ منك »[2].

ويرى أهل التفسير وعلى رأسهم الزمخشري أنّ (لا) في هذا الموضع مزيدة «فإن قلت: ما فائدة زيادتها؟ قلت: توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه»[3]. أي ما منعك أن تُحقِّق فعل السجود الّذي أُمِرتَ به؟

والتنوّع في الأساليب ولّد تعدّداً في الأغراض البلاغية لهذه الأساليب بين تنبيه بالنداء ﴿يا إبليس﴾، حيث ذكر المنادى باسمه، واستفهام بـ (ما)، وأمر حقيقي فيه شدّة وتبكيت ، والنفي المسبوق بـ(أن) المصدرية ﴿يا إبليس مالك ألّا تسجد﴾ فالخطاب جاء قويّ النبرة فيه توبيخ ، لأنَّ درجة الغضب وسخط الله عز وجلّ واضح من خلال هذا الأسلوب، فهذا المخلوق العاصي قد فَقَدَ كلّ معاني الطاعة والخضوع للملك الجبّار، وتجاوز كلّ الحدود، فأوصله غروره إلى حالة التجرُؤ على الملك الجبّار، وكان في جوابه كامل معاني الجحد والإنكار فقوله: "لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ" جحود. وهذا الخطاب هو أشد في النفي من (لا أسجد)، وقوله: "لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون" تأييد لإبايته من السجود بأن المخلوق من ذلك الطين حقير ذميم لا يستأهل السجود.

وهذا ضَلاَل نشأ عن تحكيم الأوهام بإعطاء الشيء حكم وقعه في الحاسة الوهمية دون وقعه في الحقيقة، وَعَلَى النَّفْيِ نَحْوَ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، وَتُفِيدُ حِينَئِذٍ مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا التَّذَكُّرُ وَالتَّنْبِيهُ

1- ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، عبد العظيم إبراهيم المطعني، 361/1، الطبعة الأولى: 1420هـ/ 1999م، مكتبة وهبة ، القاهرة، مصر.

2- عبد العظيم إبراهيم المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: 2/ 181.

3- الكشاف للزمخشري: 89/2.

كَالْمِثَالِ الْمَذْكُورِ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ [الفرقان: 45]، والآخر: التعجب من الأمر العظيم، كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [البقرة: 243] وفي كلا الحالين هي تحذير نحو: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المرسلات: 16][1].

وقد يحمل الاستفهام التقريري دلالة التيئيس لحمل المخاطب على اليأس من نقض المعاني المقررة كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:172].

فقوله تعالى {ألست بربكم } على إرادة القول أي قائلا ألست بربكم ومالك أمركم ومربيكم على الإطلاق من غير أن يكون لأحد مدخل في شأن من شئونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى، وجملة {قالوا} استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قالوا حينئذ فقيل {قالوا بلى شهدنا} أي على أنفسنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك[2]، فيؤتى بالاستفهام داخلا على نفي الشيء المقرر عليه، حتى إذا كانت له شبهة فيه ارتبك وتلعثم فقوله:"وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم"، يعني أن حال هؤلاء الإنس والجن في التمرد على الله ونبذ العمل الصالح والإعراض عن الإيمان حال من لم يطرق سمعه أمر بمعروف أو نهي عن منكر، فسلك ذلك مقام اختبار مقدار تمكن المسئول المقرر من اليقين في المقرر عليه[3].

الواضح من الاستفهام "ألست" هو تقرير المعنى الحق السامي بربوبية الله عز وجل، التي حاول كل من الإنس والجن الإعراض عنها بل ونسبتها إلى غيره تعالى، ليجدوا أنفسهم في هذه الشهادة قائمين نحو توكيد هذه الصفة الحقى لله عز وجل، فكان السؤال عن نفي اتخاذهم الله ربا واحدا لأن حال الإنس والجن حال من يُعتقَد به أن يجيب بالنفي، فكان الاستفهام التقريري "ألست

1- ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، 2/ 167

الطبعة: 1394هـ/ 1974 م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

2 -ينظر: تفسير أبي السعود،290/3.

3 - ينظر: التحرير والتنوير، 75/8.

بربكم" الداخل على نفي ربوبية الله عز وجل المراد إقرارها، أكثر قطعا في الحكم من خلال الإثبات بالجواب "بلى شهدنا".

فشهادة بني آدم على ربوبية الله عز وجل توكيد على ضلال من اتخذ غير الله ربا، واستخدام ضمير التاء متصلا "ألست" يدل على زيادة التقرير والتأكيد للمعنى، فجملة "ألست بربكم" تدل على توفر جواب معين من بني آدم يحاول نقض ربوبية الله بشدة، فكان الجواب:"بلى" حجة على من ادعى غير ذلك، وهذه الشهادة من قبل كبار بني آدم تشير ضمنا إلى كثرة من كفر منهم وتشير إلى تلك الصورة التي يتحول فيها الإنسان من فطرة التوحيد إلى عقيدة الكفر لِتُوقِعَهُ ضحية الضلال الذي يُورِثه العذاب، ويبدو من خلال تلك الصورة أن شهادة جماعة من بني آدم بربوبية الله قد أدى إلى حصار المكذبين فلا عذر لهم، كما تدل على بلوغ المقرين مجدا ينجيهم من غضب الله الذي تقاعس غيرهم عن بلوغه.

وكثير من المسائل التي تحمل دلالة قدرة الله وقوته في القرآن الكريم جاء إقرارها باستخدام "أليس" لما تحمله من تيئيس للمكذبين كقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر:36]، فالاستفهام في قوله "أليس الله بكاف عبده" إنكار ونفي لعدم كفايته تعالى على أبلغ وجه وآكده كأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعدمها أو يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد إما رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما أوليا وكاف عبده صيغة المغالبة إما من الكفاية لإفادة المبالغة فيها وإما من المكافأة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا ويصيبك مضرتها لعيبك إياها [1].

وفي هذه الجملة يَكْمُن سر التعبيرية في جملة "أليس الله بكاف عبده" فالاستفهام الإنكاري يفيد من أول وهلة حماية الله عز وجل وكفايته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل المؤمنين ما يمنح تأثيرا وجدانيا في المتلقي، فنفي المعاني المطروحة من إصابة الرسول بالضر على سبيل التأكيد والتقرير يمنح المعنى حيوية تزيد في إقناع المتلقي، وتأكيد حصانة الرسول صلى الله عليه وسلم عمل على تأكيدها اللفظ "كاف" الذي يفيد دلالة المبالغة في حفظ الله له، ليجعل حزب الكفار في

1 - ينظر: تفسير أبي السعود، 255/7.

صورة الانكسار والخسارة فمن لا يكفيه الله لا كافي له وفي ذلك تيئيس من الاعتصام بغير الله عز وجل.

فالملاحظ من هذه التحليلات أن لأدوات النفي دورا فعالا وقيما في تحديد وجهة الخطاب والمعنى الذي يُلقي به حيث « أن في أسلوب الاستفهام الاثباتي أغراضا بيانية للمتكلم والمخاطب معا، فبقدر ما يدل على ثقة من المتكلم بنفسه فيما قاله، يدل على إحراج المخاطب، لأنك بأسلوب الاستفهام تترقب منه جوابا، وهو سيفكر، ويراجع نفسه، وسيجد نفسه بعد هذه المراجعة، وبعد هذا التفكير في ضيق وحرج، لا يحير معهما جوابا، وليس كذلك أسلوب النفي الصريح، إذ باستطاعته أن يفر من الجواب ويصمت، لذلك كثر في كتاب الله تعالى»[1].

بخلاف استفهام النفي الذي يتميز بقدرته على تصوير الحالة النفسية للمتكلم لأن السر التعبيري في وضع الاستفهام مكان النفي أن المتكلم لا يريد أن يفيد مراده من أول وهلة، ولكن يريد أن ينبه السامع في صورة سؤال ويدعوه بأن يبحث عن الجواب حتى يصل بنفسه، ما يوحي بثقة المتكلم وأنه مهما بحث السامع ونقب فلن يكون أمامه سبيل إلا التسليم بما يسلمه إليه المتكلم[2]، فالمعنى في استفهام الإنكار هو النفي نحو قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[الأحقاف:35]، فالاستفهام في قوله:"فهل يهلك إلا القوم الفاسقون"، بمعنى فلا يصيب العذاب إلا المشركين أمثالهم. وهو مستعمل في النفي، والتعبير بالمضارع في قوله: فهل يهلك على هذا الوجه لتغليب إهلاك المشركين الذي لما يقع على إهلاك الأمم الذين قبلهم[3].

والنظر في ذلك يدل على أن الاستفهام غير مقصود لحقيقته، فالخطاب القرآني لا يسأل إن كان الهلاك لغير القوم الفاسقين، وإنما يقرر ويؤكد أن عذاب الله المهلك لا يصيب إلا القوم الفاسقين، لنفي إمكانية المساواة بين المؤمنين و الفاسقين، فالتعبير بالمضارع يمثل لفتة ظاهرة لما فيها من قطع بإهلاك الله عز وجل للمشركين لكسر أفق توقعاتهم في النجاة لأن عذاب الله وإن تأخر فإنه

1 – فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها– علم المعاني، الطبعة الثانية عشر1429هـ–2009م، دار النفائس– عمان (الأردن)، ص206.

2– ينظر: هند بنت عبد الرزاق المطيري، النفي في نقائض جرير والفرزدق، ص 485.

3 – ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 69/26.

لاحقهم. ويأتي التعبير عن النفي في سياق الاستفهام لتأكيد المعاني في ذهن المتلقي نحو قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[الروم:29]، يقول القرطبي في ذلك:«(فمن يهدي من أضل الله) أي لا هادي لمن أضله الله تعالى»[1]، فهذه الآية تنفي الهداية لمن أضل الله عز وجل على سبيل التقرير والتأكيد، ولهذا جاء الاستفهام لتحقيق غاية النفي فاستبدال أداة النفي مكان أداة الاستفهام يُوَضِح هذا التأكيد أي لا يهدي من أضل، وفيه إثارة للذهن واستحضار لانتباه السامع فهذا الاستفهام يحمل إلى جانب النفي معنى التهديد والوعيد الذي يؤكد أن الظالمين الذين يتبعون أهواءهم لن يهتدوا أبدا،

ويدعم ذلك إضافة إلى الاستفهام الذي يحمل في طياته معنى النفي جملة "وما لهم من ناصرين" التي تجعل الجملة الفعلية "يهدي من أضل" في معرض الحاصل الثابت فهذه الجملة الاسمية المنفية تُعطي دلالة قوية على تمام الحصول، والملاحظ أن هذا النزول بالمشركين والظالمين فيه صعود بالمؤمنين المتقين، لأن تقديم المسند (هم) على المسند إليه (من ناصرين) يَخُص المشركين بالضلال وعدم النصر.

– تعبيرية النفي بالاستثناء في القرآن الكريم:

حظي أسلوب الاستثناء بعناية البلاغيين واهتمامهم لمعانيه الراصدة ودلالاته المتعددة فهو من أشد الأبواب النحوية تفريعا وتفصيلا، ولاستخدامه بكثرة في القرآن الكريم نال استئثارا خاصا من قبل المفسرين فكان من الصعب الإلمام بمختلف مسائله، لذا سنحاول الإتيان ببعض الصور التي وردت فيها تعبيرية النفي بالاستثناء في القرآن الكريم محاولين بلوغ تلك الأبعاد البلاغية لهذا التلاحم الأسلوبي عن طريق عرض التراكيب النحوية لبعض الآيات التي تشتمل على جانب الاستثناء المنفي.

فـالاستثناء لغة: «مصدر استثنى، تقول: استثنيت الشيء من الشيء إذا أخرجته، ويقال: حلف فلان يمينا ليس فيها ثنيا، ولا مثنوية، ولا استثناء، كله واحد، وأصل هذا كله من الثني والكف والرد لأن الحالف إذا قال والله لا أفعل كذا وكذا إلا أن يشاء الله غيره فقد ردَّ ما قاله

1 – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 23/14.

بمشيئة الله غيره. والثنوة: الاستثناء. والثنيان، بالضم: الاسم من الاستثناء، وكذلك الثنوى، بالفتح. والثنيا والثنوى: ما استثنيته»[1].

والاستثناء في اصطلاح الفقهاء والأصوليين إما أن يكون لفظيا أو معنويا أو حكميا، فالاستثناء اللفظي هو: الإخراج من متعدد بإلا، أو إحدى أخواتها، ويلحق به في الحكم الإخراج بـ:أَسْتَثْنِي وأَخْرُجُ ونحوهما على لفظ المضارع، وعرفه السبكي بأنه: الإخراج بإلا أو إحدى أخواتها من متكلم واحد[2]. وعرَّفَهُ الشريف الجرجاني (ت816هـ) بقوله: «الاستثناء:إخراج الشيء من الشيء؛ لولا الإخراج لوجب دخوله فيه، وهذا يتناول المتصل حقيقة وحكما، ويتناول المنفصل حكما فقط»[3].

إذن فالاستثناء هو إخراج المستثنى مِمَّا دخل فيه المستثنى منه ويقع في كل من الجملتين الفعلية والاسمية وتتنوع دلالاته الخاصة بحسب سياق الجملة .

وللاستثناء في العربية كثير من الأنواع والضروب ذات التسميات الكثيرة، التي جعلت منه بابا مستقلا بنفسه، فالاستثناء ينقسم إلى نوعين: قصر وحصر، ويشمل الموجب وغير الموجب والتام والمفرغ، فالاستثناء التام هو ما ذُكِر فيه المستثنى منه، نحو: حضر الرجال إلا عليا، وينقسم إلى التام المتصل وهو ما كان المستثنى فيه بعضا من المستثنى منه، والتام المنقطع وهو ما كان فيه المستثنى ليس بعضا من المستثنى منه، أما الاستثناء المفرغ هو ما لم يذكر فيه المستثنى منه، نحو: ما حضر إلا سالم[4]. ولتجنب الدخول في تلك التفريعات العديدة سنقتصر على جانب الاستثناء المنفي بتعبيرية كل من القصر والحصر، فقضية إخراج المستثنى مما دخل فيه المستثنى منه هي بمثابة الشرارة التي قدحت في طريق البلاغيين ليكشفوا عن أسرار الاستثناء وعلاقته بأسلوب النفي ويهتدوا إلى نكته، ذلك حين لاحظ هؤلاء أن الاستثناء المنفي ذو مجال واسع الاستعمالات ويُعد أسلوبا حاسما في توكيد المعاني والتأثير في المتلقي فجملة الاستثناء تتضمن حكم الإثبات والنفي وهي بذلك تحوي قوتين دلاليتين.

1- أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، الطبعة الثالثة – 1414 هـ، دار صادر، بيروت، لبنان، 125/14.

2 -ينظر: الموسوعة الفقهية، 148/3.

3- الشريف الجرجاني، التعريفات، ص: 23.

4 - ينظر: فاضل السامرائي، معاني النحو، 212،213/1.

- **تعبيرية النفي بالقصر"الاستثناء التام غير الموجب":**

يعتبر القصر من المباحث التي تخص علم المعاني، وهو من الأساليب التي اهتم بها البلاغيون لما له من قوة تأثيرية وجمالية يلقيها في السياق وقد « عرف علماء البلاغة القصر بأنه تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص»[1]، ومن طرائقه القصر بـ"إنما"، والقصر بالنفي والاستثناء، والقصر بالعطف، والقصر بالتقديم[2]، وهذا الاستثناء التام غير الموجب هو ما ذُكِر فيه المستثنى منه وكان مسبوقا بنفي وقد حدد عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن القصر المقام الذي يُستخدَم فيه النفي والاستثناء في القصر فقال:« وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: "ما هذا إلا كذا"، و "إن هو إلا كذا"، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه. فإذا قلت: "ما هو إلا مصيب" أو: "ما هو إلا مخطئ"، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت، وإذا رأيت شخصا من بعيد فقلت: "ما هو إلا زيد"، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان آخر، ويجد في الإنكار أن يكون "زيدا"»[3].

وهذا يعني أن القصر بالنفي والاستثناء يستعمل في الأمر الذي يُنكره المخاطب فيكون اختيار القصر بالنفي والاستثناء اختيارا يتعلق بطبيعة المعنى وما يُفهَم منه، كما أن جملة القصر بهذا تحوي طاقة تعبيرية كبيرة من خلال هذا التوسع الدلالي الذي يزيد من فاعلية الخطاب، كما يحدد المختص بالحكم فيقتصر ذلك عليه، لتتميز جملة القصر بجمعها النفي والإثبات معا فإما أن تقصر الصفة على الموصوف أو تقصر الموصوف على الصفة، وتعبيرية النفي بالاستثناء التام غير الموجب قد وردت في العديد من المواضع من القرآن الكريم نحو قوله تعالى:﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة:51]، فاللام في قوله (إِلَّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا) تفيد معنى الاختصاص كأنه قيل: لن يصيبنا إلا ما اختصنا الله به بإثباته وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة[4]، حيث استُخدِم القصر بـ"إلا" لإثبات المقصور للمقصور عليه وإظهار اختصاص المقصور عليه "ما كتب الله" بالمقصور "الإصابة" دون غيره، فالمقصور عليه "ما كتب الله" يؤكد أن تحدد المواقف والأحداث التي يلقاها الإنسان هو مكتوب بقضاء الله وقدره

1 – فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص:372.

2 – ينظر: معاني النحو، 213/1.

3 – دلائل الإعجاز: 332/1.

4 – ينظر: الكشاف، 278/2.

قاصرٌ على ما يُصِيبُه من تبدل الأحوال وتغيرها، فجاءت "إلا" لِتُظهِر التمايز الكبير بين ظن الإنسان وبين ما كتبه الله له حقيقة، لأن ما يصادف الإنسان من خير وشر متكرِّر بما يجره عليه الدهر على سبيل القطع وهذا ما تدلي به جملة "لن يصيبنا" فلن تفيد النفي المستقبل قطعا، ولئلا يطمع من يؤمن بغير الله في النجاة والخلاص المطلق، ولهذا فإن هذا القصر بالنفي والاستثناء يثبت الإصابة التي كتبها الله عز وجل للإنسان وينفي ما دونها، فتَأَخر الفاعل "ما كتب الله لنا" باعتباره المقصور عليه وتَقَدَّم المفعول به الضمير المتصل "نا" في جملة "لن يصيبنا".

وقد يأتي المقصور عليه نائب فاعل كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت:35]، في قوله "وما يلقاها" الضمير عائد على الفعلة والسجية التي هي الدفع بالأحسن فما يصادفها ويلقيها الله إلا لمن كان صابرا على الطاعات، صارفا عن الشهوات، ذا حظ عظيم من خصال الخير،حيث أخر نائب الفاعل "الذين صبروا" في الجملة الأولى ونائب الفاعل "ذو حظ عظيم" في الجملة الثانية، وكرر وما يلقاها تأكيدا لهذه الفعلة الجميلة الجليلة[1].

حيث نلمس في هذه الآية تشريفًا للموصوفين الذين تقصرهم على صفات الصبر والدفع بالأحسن والاتصاف بخصال الخير، ففي الجملة الأولى جاء المقصور عليه "الذين صبروا" على صيغة الجمع لدلالة على تعدد الشدائد والمشاق التي تصادف الإنسان وصعوبة الطاعات فكل إنسان يصبر على ما يُبتَلى به يكون مع هؤلاء المقصورين على الثواب، وفي جملة "وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم" جاء المقصور عليه مفردا لتوكيد التفرد لؤلئك المأجورين الذين ظلت المصاعب تتزايد في مواجهتهم ولم يضلوا السبيل حين اشتدت عليهم، فهذا الاستثناء المتصل أفاد قصر الصفة على الموصوف حيث نلحظ في جملة "ما يلقاها" إظهار الطمأنينة للصابرين ودوامها لهم وهذا ما تُلقي به دلالة الفعل المضارع "يُلقاها" بقصره لقاء الأجر العظيم على الصابرين ولذلك تقدم المفعول به الضمير المتصل بالفعل يُلقاها على نائب الفاعل في كلا الجملتين للتأكيد على اختصاصهم به.

كما يقع المفعول به مقصورا عليه كقوله تعالى:﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾[نوح:06]،

1 - ينظر: البحر المحيط، 307/9.

فمعنى "لم يزدهم دعائي إلا فرارا" أن دعائي لهم بأن يعبدوا الله وبطاعتهم لي لم يزدهم ما دعوتهم إليه إلا بعدا منه، فالفرار مستعار لقوة الإعراض، أي فلم يزدهم دعائي إياهم قربا مما أدعوهم إليه. واستثناء الفرار من عموم الزيادات استثناء منقطع. والتقدير: فلم يزدهم دعائي قربا من الهدى لكن زادهم فرارا ، وإسناد زيادة الفرار إلى الدعاء مجاز لأن دعاءه إياهم كان سببا في تزايد إعراضهم وقوة تمسكهم بشركهم[1]. حيث يؤكد الخطاب زيادة فرار المشركين أثناء دعائهم، بتأخير المفعول الثاني للفعل يزدهم "فرارا" بعد أداة الاستثناء باعتباره المقصور عليه، فهو من قصر الموصوف على الصفة، فقد نفى نبي الله عن قومه أي استجابة أثناء دعائه لهم إلا الفرار.

والذي نستشفه أن قصر الموصوف على الصفة في هذه الجمل الفعلية يتناسب مع دلالة المعاني ذلك أن قصر الموصوف على الصفة ذميمة كانت أو حميدة تُؤَكَد عن طريق القصر بالتجدد والدوام.

أما في الجمل الاسمية فنجد القصر على المبتدأ في العديد من المواضع نحو قوله تعالى:﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ [المائدة:99]، فالمقصور عليه هو المبتدأ المؤخر "البلاغ" والقصر ليس حقيقياً لأن على الرسول أمورا أخرى غير البلاغ مثل التعبد لله تعالى، والخروج إلى الجهاد، والتكاليف التي كلفه الله بها مثل قيام الليل، فتَعَيَّنَ أن معنى القصر:ما عليه إلا البلاغ، أي دون إلجائكم إلى الإيمان، فالقصر إضافي حيث لا ينافي أن على الرسول أشياء كثيرة[2]. فالغاية التي على الناس أن يرجوها من الرسول صلى الله عليه وسلم مقصورة على بلاغهم أمور دينهم، وهذا القصر الإضافي يُوضِح حال الرسول صلى الله عليه وسلم مع الناس فمُهِمَتُه لا تتعدى بلاغهم إلى شق صدورهم وحَملِها على الإيمان، كما أن قصر مهمته على البلاغ لا ينفي أن تكون له وظائف أخرى، وقد ورد الخبر "على الرسول" بعد أداة النفي"ما" لإثبات نفي غير هذه المهمة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولتأكيد اختصاصه بالبلاغ، تنبيها للمخَاطب على أن الإيمان بالله عز وجل أمر غيبي وأن من آمن فلن ينفع إلا نفسه ومن كفر فلن يَضر إلا نفسه.

ومن القصر على اسم كان قوله تعالى:﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف:05]، حيث قُدِم خبر كان وأُخِر اسمها لغرض القصر عليه، جاء في

1 - ينظر: التحرير والتنوير، 194/29.

2 - ينظر:المصدر نفسه، 61/7، وينظر:بلاغة التقديم والتأخير، 1094/3.

الكشاف: «فَما كانَ دَعْواهُمْ ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم إلا اعترافهم ببطلانه وفساده. وقولهم إِنَّا كُنَّا ظالِمِينَ فيما كنا عليه. ويجوز: فما كان استغاثتهم إلا قولهم هذا، لأنه لا مستغاث من الله بغيره، ومن قولهم دعواهم: يا لكعب. ويجوز، فما كان دعواهم رهم إلا اعترافهم لعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم، وأن لات حين دعاء، فلا يزيدون على ذمّ أنفسهم وتحسرهم على ما كان منهم، دَعْواهُمْ نُصِب خبر لكان، وأَنْ قالُوا رُفِع اسم له»[1].

فالمقصود قصر دعائهم على مقالتهم "إنا كنا ظالمين" وذلك من قصر الموصوف على الصفة، فضمير الفاعل (الاسم) في (كنا ظالمين) وهو عائد على المتكلمين، مقصور على صفة الظلم والندم عليه بعد رؤية عذاب الله عز وجل، ويجلي هذه الصورة بوضوح جملة "إذ جاءهم بأسنا"، فظُلم هؤلاء لم يعُد مقصورا على ظلم الآخرين دون استثناء بل تعدى بذلك إلى ظلمهم أنفسهم فكان التحسر منهم لِما جروه لأنفسهم، ولما لم يدركوا ذلك قبل فوات الأوان ندموا ندما شديدا، فكان التقديم لخبر كان (فما كان دعواهم) التي تؤكد أن لا رجاء ولا سبيل لهم للنجاة إلا الاعتراف والاستغاثة، والتأخير لاسمها للتأكيد على اعترافهم وتمهيدا للقطع بالتخصيص الذي يحمله قصر الموصوف "الدعاء" على صفة "الظلم" التي تُوضِحُها بصورة جلية علاقة التلازم بين العمل وجزائه، فلا دعاء لمن أسرف في الظلم حين يأتي بأس الله عز وجل إلا الاعتراف بذلك والتحسر عليه.

وأشار الطاهر بن عاشور أن تأخير اسم كان قصد القصر عليه يجري على نظائره في القرآن وكلام العرب في كل موضع جاء فيه المصدر المؤول من أن والفعل محصورا بعد كان، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** ﴾ [الأعراف: 82]، وقوله تعالى:﴿ **وَمَاكَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا** ﴾[آل عمران: 147] وغير ذلك، وهو استعمال ملتزم، غريب، مطرد في كل ما وقع فيه جزءا الإسناد ذاتين أُرِيد حصر تحقق أحدهما في تحقق الآخر ، ففي مثل هذه الآية " فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين" اعتبر قولهم هو المترقب من السامع للقصة ابتداء، واعتبر الدعاء هو المترقب

1 - الكشاف: 88/2.

ثانيا، كأن السامع يسأل: ماذا قالوا لما جاءهم البأس، فقيل له: كان قولهم: إنا كنا ظالمين دعاءهم، فأفيد القول وزيد بأنهم فرطوا في الدعاء، وهذه نكتة دقيقة[1].

ومما أُخِر فيه اسم ليس قصد القصر عليه قوله تعالى:﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم:39]، فالمقصور خبر ليس (للإنسان) والمقصور عليه اسمها (ما سعى) يقول أبو السعود في ذلك:«بيان لعدم انتفاع الإنسان بعمل غيره من حيث جلب النفع إليه إثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه وأما شفاعة الأنبياء عليهم السلام واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الأحياء للأموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الأمور النافعة للإنسان مع أنها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذي هو الإيمان والصلاح ولم يكن لشيء منها نفع ما بدونه»[2]، حيث قُصِر على الإنسان سعيه فليس له نفع بغير ذلك فهو قصر موصوف على صفة فما يعمل الإنسان من صالحٍ أو فاسدٍ وما يُضمِر من خيرٍ أو شرٍ مقصور عليه، فقد نُفِي عن الإنسان كل نفع إلا ما يناله بسعيه و« الظاهر أن الإنسان يشمل المؤمن والكافر، وأن الحصر في السعي، فليس له سعي غيره»[3]، ففي هذه الآية تنبيه للإنسان وتحذير له لبذل الصالحات وكشف لحقيقة لقاء الأجر والثواب، وهذا الكشف الذي يؤكده القصر يبدو جليا بالجملة المنفية (ليس للإنسان) التي تُفيد القطع بنفي أي ثواب لأي عمل خارج عن نطاق السعي المبذول.

هذا عن القصر بالنفي والاستثناء فقد يأتي القصر في القرآن الكريم بطرائقه العديدة، ومن هذه الطرائق القصر بـ"إنما" حيث عدها البلاغيون من الطرائق المهمة في ذلك، فقد أفرد عبد القاهر الجرجاني بابا خاصا بالقصر والاختصاص بـ"إنما" يؤكد فيه أهميتها ويوُضِح فيه قيمتها الدلالية من خلال مقارنة رأيه برأي النحاة يقول:«قال الشيخ أبو علي الفارسي في الشيرازيات: يقول ناس من النحويين في نحو قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف:33]، إن المعنى: ما حرم ربي إلا الفواحش ...اعلم أنهم وإن كانوا قد قالوا هذا الذي كتبته لك، فإنه لم يعنوا بذلك أن المعنى في هذا هو المعنى في ذلك بعينه، وأن سبيلهما سبيل

1 – ينظر: الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير: 25/8.

2 – أبي السعود، إرشاد العقل السليم: 163/8.

3 - ابن حيا،ن البحر المحيط: 24/10.

اللفظين يوضعان لمعنى واحد. وفرق بين أن يكون في الشيءِ معنى الشيءِ، وبين أن يكون الشيءُ الشيءَ على الإطلاق، يُبيِّنُ لكَ أنّهما لا يكونان سواءً أنه ليس كلُّ كلامٍ يصلُحُ فيه "ما" و "إلاَّ"، يصلحُ فيه "إنما". ألاَ تَرى أنها لا تَصْلُح في مثلِ قولِه تعالى:﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: 62] »[1].

فالجرجاني بهذا يُوضح الاختلاف بين رأيه ورأي النحاة بالمقارنة بين المعاني، فهو يرى أنه ليس كل كلام ترِدُ فيه (ما) و(إلا) يُمكن استبدالها فيه بـ (إنما) وهذا الرأي قد بناه احتكاما إلى الدلالة الأسلوبية التي يُلقِي بها الخطاب، بعكس ما يُعَوِلُ عليه النحاة أي الدلالة النحوية للخطاب، وهو بذلك يرفض تقليلهم من قيمتها الأسلوبية، وقد علمنا أن أسلوب القصر بالنفي والاستثناء يأتي لمخاطبة المنكر للخطاب والشاك فيه كما ذكر الجرجاني، فاختلاف المقام من بين الفروق التي اعتمدها لتوضيح الفرق بين استخدام (ما) و(إلا) واستخدام (إنما) فهو قد ذكر أنها تفيدُ في الكلام بَعْدَها إيجابَ الفعلِ لشيءٍ، ونَفْيَه عن غيرِه، ومزيَّتها هي أنَّك تعقِلُ معها إيجاب الفعل لشيءٍ ونفْيَه عن غيرِه دفعةً واحدةً في حالٍ واحدةٍ، وهذا يعني أن لدلالة أداة الاستثناء (إنما) قدرة على التصرف في الأسلوب بحسب مجراها فيه، فهي تُفيد النفي والإثبات أي إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره، فتكون استعمالاتها مما يعلمه المخاطب ولا يُنكره بخلاف القصر بالنفي والاستثناء، ورأى السكاكي (ت 626هـ) أن السبب في إفادة إنما معنى القصر هو:« تضمينه معنى ما وإلا ولذلك تسمع المفسرين لقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ ﴾[البقرة:173] بالنصب، يقولون معناه ما حرم عليكم إلا الميتة والدم وهو المطابق لقراءة الرفع المقتضية لانحصار التحريم على الميتة والدم بسبب أن ما في قراءة الرفع يكون موصولا صلته حرم عليكم واقعاً اسما لإن ويكون المعنى أن المحرم عليكم الميتة»[2]، فهذا القول يعني أن السكاكي يُعَول على الجانب الإعرابي لتحديد الفرق بين استعمالات (إنما) واستعمالات (ما) و(إلا)، وهو ما استدل به القزويني (ت739هـ) أي بقول النحاة (إنما) لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه، ولصحة انفصال الضمير معها كقولك "إنما يضرب أنا"، كما تقول "ما يضرب إلا أنا"[3].

1 – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز: 328،329/1.

2 – السكاكي، مفتاح العلوم: 291/1.

3 – ينظر: جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: 26/3.

ونجد للفخر الرازي في ذلك رأيا بصيرا يقع فيه على الجانب الدلالي الأسلوبي لهذا الاختلاف بين الاستعمالين ويجني منه نتيجة تعدت مجرد الوقوف على الحدود النحوية حيث يرى في قوله تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ ﴾[المائدة:117]، ليس المعنى أني لم أزد على ما أمرتني به شيئا، ولكن المعنى أني لم أدع ما أمرتني به أن أقول لهم، فهي موضوعة في الأصل لنفي التشريك، ودليل ذلك أنه لا يصِح أن يُقال: ما زيد إلا قائم، لا قاعد، ويصح أن يُقال: إنما زيد قائم، لا قاعد، وأما صيغة (إنما) فهي بأصل وضعها تدل على تخصيص الحكم بالمذكور، وأما نفي الشِّركة فليس ذلك نفس مفهومها، بل لازما من لوازمها، وليس ما يدل عليه النفي بوضعه كحال ما يدل عليه بطريق اللزوم، فالقول: "إنما جاءني زيد" دلالته على إثبات التخصيص أقوى من دلالته على نفي التشريك[1]، فالرازي يُعَوِل لتحديد المراد من التركيب على المقام والقرائن، ويحكم بذلك بأن إفادة (إنما) التخصيص وإفادة (ما) و(إلا) هي نفي التشريك.

وفي هذه الجهود المبذولة من قبل البلاغيين قَصْدَ بلوغ الدلالة الخاصة بهذه الطريقة من القصر يقول أبو موسى: « والذي ذكره البلاغيون في إنما يكاد يرجع في جوهره إلى محور واحد هو أن النفي فيها نفي متضمن مخبوء وخافت، فليس له من الجهارة ومن القوة ما للنفي في (ما) و(إلا) وترتب على ذلك أنه صح أن تجامع (لا) العاطفة التي لا يُنتفى بها شيء قد نفي قبلها بغيرها، لأن النفي مع (إنما) ليس نفيا صريحا»[2]، وهذا يعني أن للأداة (إنما) طابعا تأكيديا في النفي ما يجعلها جديرة بالتأمل لبحث تمام الفائدة من خصوصياتها المذكورة، ومن خلال النظر في الآيات القرآنية المشتملة على هذه الطريقة من القصر يَسعُنا كشف الكثير من مزاياها فالسياق القرآني هو السبيل الأولي لبلوغ حقيقة ذلك، ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:11،12]، ومع اعتبار «إنما» لقصر الحكم على شيء، كقولك: إنما ينطق زيد، أو لقصر الشيء على حكم كقولك: إنما زيد كاتب، فمعنى "إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ" أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد[3]، حيث دخلتْ "إنّما" لتدلَّ على أنّهم حين ادَّعَوا لأنفهسم

1 – ينظر: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز،ص 229.

2 – دلالات التراكيب: ص 154،155.

3 – ينظر: الكشاف، 62/1.

أَنَّهُمْ مُصْلِحون، أَظهروا أَنهم يدَّعون مِن ذلك أمرًا ظاهرًا معلومًا، ولذلك أُكِد الأمر في تكذيبهم والردِّ عليهم، فجمَعَ بين "أَلاَ" الذي هو للتَّنبيه، وبين "إنَّ" الذي هو للتأكيد، فقيل: {أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُون}[1].

الملاحظ من ذلك أن معنى هذا الجواب "إنما نحن مصلحون" هو رد لخطاب يوجهه المخاطب لهؤلاء المفسدين وهو يعتقد خلاف ما تضمنه جوابهم، فالمقصود بـ(إنما) في هذه الآية هو قصر الموصوف على الصفة، فهؤلاء المفسدون يقصرون أنفسهم على صفة الإصلاح الذي تُحليه الصيغ التأكيدية: (إنما) للتأكيد والبالغة في نفي الفساد عن أنفسهم فلم يقولوا ما نحن إلا مصلحون، ليظهروا بديهية المسألة لأن المقام الذي تُستعمل فيه (إنما) يُنزِل المخاطب منزلة من لا يجهل الخبر، وضمير المتكلم المنفصل (نحن) لإثبات اختصاصهم بهذه الصفة، فهذه الجملة الاسمية "نحن مصلحون" للقطع بثبوت الصفة ودوامها لهم، ولفظة (مصلحون) التي تُعتبر اسم فاعل تأتي موحية بقدر من الاستقامة والصلاح، ولذلك جيء بـ"ألا" في جملة "ألا إنهم هم المفسدون" لإثارة ذهن المتلقي وتنبيهه إلى ما تحمله الجملة من معنى مُخالف لهذا الإدعاء لتأكيد وتقرير هذا النقض في الذهن، فاسم الفاعل "المفسدون" يأتي بعد اسم الفاعل "مصلحون" في جملة القصر ليصبح بمثابة الحقيقة المرتقبة بعد هذا الإدعاء.

وقد يأتي القصر جوابا لمخاطب يجهل النبأ فعلاً في القرآن الكريم لِيُنزَل منزِلة من يعلمه نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾[مريم:18،19]. يريد عليه الصلاة والسلام إني لست ممن يتوقع منه ما تَوهمتِ من الشر وإنما أنا رسول ربك الذي استعذت به، وقوله:رسول ربك الغاية منه التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها لتشريفها وتسليتها والإشعار بعلة الحكم فإن هبة الغلام لها من أحكام تربيتها[2].

فهذا الجواب "إنما أنا رسول ربك" يُبدي مريم عليها السلام في صورة كريمة ويُظهَر أدب سؤالها وقوة إيمانها على سبيل الاستئناس، فهي وإن لم تعرف رسول الله إليها إلى أنها نزلت منزلة غير الجاهل لما أُلفت من معجزات الله عز وجل فلا ينبغي لها أن تجهل حفظ الله لها من أي

1 – ينظر: دلائل الإعجاز، 358/1.

2 – ينظر: إرشاد العقل السليم، 260/5.

مكروه، فقَصَر رسول الله إليها نفسه على الرسالة التي أمره الله بها من وهبها غلاما زكيا، وذلك من قصر الموصوف على الصفة وهذا يمكن إدراك قيمة الصفة التي عَمِد رسول الله إليها إبرازها حيث تُتم الفكرة في ذهن المتلقي فجملة "قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا" تجعل جملة "إنما" تعليلا وتفسيرا لهذه الجملة السابقة، فمريم عليها السلام حين تتعوذ بالله عز وجل منه، تُعلل لذلك بأن الله عز وجل سيحفظها وما تلقى إلا من كان مبعوثا من عنده.

ومن المواقع التي تُستعمَل (إنما) لإلقاء معانيها الخافية فيها "دلالة التعريض" وقد أشاد عبد القاهر الجرجاني بذلك قائلا:«اعلم أنك إذا استقريت وجدتها أقوى ما تكون وأعلق ما ترى بالقلب، إذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه، نحو أنا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الرعد:19] [الزمر:09] ، أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يُذم الكفار، وأن يُقال إنهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم، في حكم من ليس بذي عقل، وإنكم إن طمعتم منهم في أن ينظروا ويتذكروا، كنتم كمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب»[1].

وهذا يعني أنها بدلالة التعريض تنقل السياق من المعنى المباشر الذي دخلت عليه إلى معنىً باطن يتولد من خلال العلاقة القائمة بين هذين المعنيين، ليكون بذلك التركيب رحبا متميزا، فلا يكون معنى الكلام بعدها هو المقصود بل التعريض بأمر خاص يتضمنه هذا المعنى، وهذه الدلالة لـ "إنما" كثيرة في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة:54،55].

فجملة (إنما) جملة مستأنفة استئنافا بيانيا نشأ عن تبرئة المؤمنين من أن يستأذنوا في الجهاد: ببيان الذين شأنهم الاستئذان في هذا الشأن، وأنهم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر في باطن أمرهم لأن انتفاء إيمانهم ينفي رجاءهم في ثواب الجهاد، ولما كان القصر يفيد مفاد خبرين بإثبات شيء ونفي ضده كانت صيغة القصر هنا دالة باعتبار أحد مفاديها على تأكيد "جملة لا

1 - دلائل الإعجاز: 354/1.

يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر" وقد كانت مغنية عن الجملة المؤكدة لولا أن المراد من تقديم تلك الجملة التنويه بفضيلة المؤمنين[1].

وهذا يعني أن في جملة (إنما) تعريض بمن يستأذن القيام بالصالحات، وفي هذا التنويه يُوضِح الخطاب القرآني أن ما يفعله الكارهون للجهاد من استئذان للرسول صلى الله عليه وسلم ليس من خصال المؤمنين في شيء، ذلك أن المؤمن الحقيقي هو الذي يُلِحُ ويتجاوز الأعذار لِيُجاهد في سبيل الله عز وجل لا يتعذر ويصطنع الأسباب، ويؤكد الخطاب القرآني هذا باستخدام (إنما) التي تقصر صفة الاستئذان في الجهاد على الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وما يزيد هذا التعريض تجلٍ جملة "وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون" فالارتياب يدل على النفاق والتردد يدل على اختلاق الأعذار، فهذان الفعلان دليل على أن المنافقين باستئذانهم لن يستطيعوا أن يغيروا المرض الذي في قلوبهم.

ولغرض التعريض كذلك نجدها في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾[الأنعام:36]، «يعني أن الذين تحرص على أن يصدّقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون، وإنما يستجيب من يسمع، كقوله ﴿ **إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ** ﴾[النمل:80]، وَالْمَوْتى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ مثل لقدرته على إلجائهم إلى الاستجابة بأنه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ للجزاء فكان قادراً على هؤلاء الموتى بالكفر أن يحييهم بالإيمان. وأنت لا تقدر على ذلك»[2].

فهو تعريض بمن يمتنع عن الأخذ بالقرآن ودعوة الإسلام، وفيه تعليل لعدم استجابة المعرضين، بأنه إنما كان نقمة على هؤلاء الذين لا يسمعون وهم بحاجة ماسة إلى إلجائهم للاستجابة عَلَهُم يؤمنون وينجون من عذاب الله عز وجل، بعد أن أصبحوا كالأموات حيث قُصِرت الاستجابة على الذين يسمعون وهذا السمع هو سمع الروح والوجدان لا السمع الآلي الذي يحظى به الناس ويُجليها بوضوح جملة "والموتى يبعثهم الله".

فتَأمُل النص القرآني والبحث في معناه وتعميق النظر في سياقه يعمل على تحديد الغاية من استخدام (إنما) فيه وهذا ما عمِل عبد القاهر الجرجاني على توضيحه فأسلوب التعريض الذي

1 – ينظر: التحرير والتنوير، 212/10.

2 – الكشاف: 20/2.

ذكره في قوله تعالى:"إنما يتذكر أواو الألباب"والذي تسُوقُه إنما يختفي بمجرد إلغائها يقول في ذلك:« ثم إن العجب في أن هذا التعريض الذي ذكرت لك، لا يحصل من دون"إنما". فلو قلت:"يتذكر أولو الألباب"، لم يدل ما دل عليه في الآية، وإن كان الكلام لم يتغير في نفسه، وليس إلا أنهن ليس فيه"إنما"والسبب في ذلك أن هذا التعريض، إنما وقع بأن كان من شأن "إنما" أن تضمن الكلام معنى النفي من بعد الإثبات، والتصريح بامتناع التذكر ممن لا يعقل. وإذا أُسقِطت من الكلام فقيل:"يتذكر أولوا الألباب"، كان مجرد وصف لأولي الألباب بأنهم يتذكرون، ولم يكن فيه معنى نفي للتذكر عمن ليس منهم»[1].

– تعبيرية النفي بالحصر:

وهو ما لم يُذكر فيه المستثنى منه بخلاف الاستثناء التام وكان مسبوقا بنفي، فلا يجوز وقوعه في الموجب حيث لا يصح القول: حضر إلا خالد، لأن المعنى حضر جميع الناس إلا خالدًا وهو باطل، ولذلك كان للنفي دور كبير في تحديد وظيفة المستثنى وإفادة معنى الحصر(حصر الفاعل أو المفعول)[2].

وكثيراً ما نجد لفظة الحصر عند من استخدموها غير مخالفة لمفهوم القصر، وذلك لاشتراك كل من القصر والحصر في طريقة الاستثناء بـ"ما" و"إلا"، ومن الذين عدوا لفظة الحصر مرادفة للقصر الزملكاني حيث يقول: «وليس الحصر الذي ذكرناه بمناف لما سلف من إفادتها قصر الشيء على حكم تارة، وقصر الحكم على شيء آخر عند المتأمل»[3]، ويقول صاحب الطراز في ذلك:« اعلم أن «ما» و«إلا» إذا تركبا في الكلام فإنهما يفيدان الحصر لا محالة، إما في الأسماء، وإما في الصفات »[4].

لكن الجرجاني قد ذكر الوجه البلاغي لإرادة الحصر حيث تحصل الإفادة بإرادة الاختصاص يقول :« وههنا، إذا تأملت، معنى لطيف يُوجِبُ ذلك، وهو أنك إذا قلت:ما ضرب زيدا إلا عمرو، كان غرضك أن تختص عمرا بضرب زيد، لا بالضرب على الإطلاق وإذا كان

1- دلائل الإعجاز: 356،357/1.

2 – ينظر: معاني النحو، 213/2.

3 – الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي، ص42، عن البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، الزملكاني.

4 – يحي بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، الطبعة الأولى1423هـ، 2 /214.

كذلك، وجب أن تُعدِّي الفعل إلى المفعول من قبل أن تذكر عمرا الذي هو الفاعل، لأن السامع لا يعقل عنك أنك اختصصته بالفعل مُعَدى حتى تكون قد بدأت فعديته... فاعرفه أصلاً في شأن التقديم والتأخير»[1]، يشير الجرجاني بذلك إلى ضرورة تأمل القول لأن دلالة التركيب تختلف باختلاف موقع المقصور عليه وموضعه بعد "إلا" تقدم أو تأخر، ما يُحدِث تغييرا كبيرا على المعنى ويحتاج إلى استشعار حاجة السامع، فالاختصاص في الفاعل يتطلب ذكره بعد الأداة وذكر المفعول قبلها. ففي الاستثناء المفرغ يأخذ المستثنى الحكم الإعرابي للمستثنى منه باعتباره محذوف والذي يُقَدَّر ليُحافِظ التركيب على معنى الإخراج، حيث أن المستثنى منه: وهو المخرج منه، إذا كان مذكوراً نحو: قام القوم إلا زيداً، أو متروكاً نحو: ما قام إلا زيد، أي: ما قام أحد، شرطه ألا يكون مجهولاً؛ فلا يصح استثناء معلوم من مجهول، نحو: قام رجال إلا زيداً، ولا استثناء مجهول من مجهول، نحو قام رجال إلا رجلاً. لأن فائدة الاستثناء إخراج الثاني من الأول، لكونه لو لم يستثن لكان ظاهره أنه داخل فيما دخل فيه الأول، وإذا كان المستثنى منه مجهولاً لم يكن كذلك[2].

هذا يعني أن تَسَلُط النفي في الحصر يكون على المستثنى منه ويُخرُج المستثنى من هذا النفي ليُثبَت الشيء المذكور له، فالمعنى الجوهري الذي يتَولد من تركيب الحصر هو النفي ليكون الإثبات بعده متمما للمعنى، وهذا ما رمى إليه السيوطي حين رأى أن القول:"ما قام إلا زيد"، صريح في نفي القيام عن غير زيد دلالةً بالمنطوق في المعنى الباطن، في حين ظاهره يقتضي إثبات القيام لزيد بالمفهوم لأن "إلا" موضوعة للاستثناء وهو الإخراج فدلالتها على الإخراج بالمنطوق لا بالمفهوم[3].

وقد وقع هذا النوع من الاستثناء في العديد من المواضع في القرآن الكريم نحو قوله تعالى :

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾[البقرة:09]. والحال أنهم ما يُضِرون بذلك إلا أنفسهم فإن دائرة فعلهم مقصورة عليهم أو ما يخدعون حقيقة إلا أنفسهم حيث يغرونها بالأكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى[4] . الواضح أن إفادة الحصر في هذه الآية تدل على التخصيص، فالخطاب القرآني وهو يكشف مكر وخداع المنافقين يخصهم بمآل هذا المكر

1- دلائل الإعجاز:350/1.

2 - ينظر: الجني الداني في حروف المعاني، 511،512/1.

3 -ينظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 177/3.

4 - تفسير أبي السعود: 41/1.

وأذيتهم لأنفسهم به وهم لا يشعرون، والحصر واقع في المفعول به حيث انحصر الخداع فيهم فلا يتعداهم إلى غيرهم وجاء المقصور عليه معرفا بالإضافة وذلك يزيد من تخصيص الموصوفين بصفة الخداع لأنفسهم ويؤكد انحصارها فيهم واقتصارها عليهم. لأن الفعل لما كان وصفا للفاعل اضطر العلماء أن يأخذوا من الفعل اسم مفعول ويجعلوه نفس الصفة فيكون القصر حينئذ من قصر الصفة على الموصوف، وصفة المفعول به إنما تكون اسم مفعول لأن الحدث لم يقع منه وإنما وقع عليه فكان قوله: "وما يخدعون إلا أنفسهم"، أي ما مخدوعهم إلا أنفسهم، وهكذا تؤول الصفة لتتلاءم مع الموصوف.[1]

ومن أمثلة الحصر كذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [الأحقاف:25]، أي فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لا يرى إلا مساكنهم وقرئ تُرى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل أحد يتأتى منه الرؤية تنبيها على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم لا يرى فيها إلا مساكنهم[2]، حيث قُصِرت الرؤية على هذه المساكن فقط فلا تُخَصُ الرؤية بشيء غيرها، لإطلاق الدلالة على شدة الدمار وسوء العذاب، هذا ما تؤكده جملة "كذلك نجزي القوم المجرمين" أي أن من سار على إثرهم يَسُومه الله سوء العذاب ويحيق به ما لحق بهم، وقد ذكر الخطيب القزويني أن ما يؤكد تسلط النفي وتوجهه في الاستثناء المفرغ إلى مقدر هو مستثنى منه عام مناسب للمستثنى في جنسه وصفته، أنه قيل: تأنيث المضمر في "كانت" على قراءة أبي جعفر المدني: "إن كانت إلا صيحة واحدة" [يس:29] بالرفع، وفي "تُرى" مبنيا للمفعول في قراءة الحسن:"فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنهم"[الأحقاف: 25] برفع {مَسَاكِنُهُمْ} ، لاقتضاء المقام معنى شيء من الأشياء[3]، فتقدير المستثنى منه لايُرى أثار أو لا تُرى أثار يُسهم في بلوغ دلالة هذا الحصر ذاك أن ليس للتركيب معنى إلا بإثبات ما نُفِي عن المستثنى منه المقدر والإثبات يكون بمعرفة جنس هذا المستثنى منه، وذِكر المستثنى "مساكنهم" يُسهم في ذلك فإخراج

1- ينظر: محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، ص99.

2 - تفسير أبي السعود:86/8.

3- ينظر: جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحق: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثالثة، دار الجيل – بيروت، 42/3.

المستثنى من حكم النفي جعله يُمثل نائب الفاعل أي المستثنى منه المحذوف وهذا أساس الفائدة للاستثناء أي الإخراج من دائرة النفي للاختصاص بهذا الحكم.

ومن الحصر في الجملة الاسمية قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [الأعراف:82]، حيث انتصب قوله: "جواب" على أنه خبر (كان) مقدم على اسمها الواقع بعد أداة الاستثناء المفرغ، وهذا هو الاستعمال الفصيح في مثل هذا التركيب، إذا كان أحد معمولي كان مصدرا منسبكا من (أن) والفعل، والضمير في قوله : "أخرجوهم" عائد على محذوف علم من السياق، وهم لوط عليه السلام وأهله[1]. فقوم لوط عليه السلام يقصرون جوابهم إليه على إخراجه عليه السلام وأهله من قريتهم لما يتصفون به من تطهر وما يرونه فيهم من اعتزال للمعاصي، واستُخدِمت الجملة المصدرية "أن قالوا" على الاسم المباشر "قولهم أو القول" لما يُفيده الفعل الماضي من قطع وتأكيد بالحدوث وحالة التكرار لهذا الجواب اللئيم لكل دعوة من نبي الله لهم، وهذا من شأنه أن يُسهِم في تصوير حالة العصيان الشديد التي كان عليها هؤلاء القوم والمشقة التي تكلفها نبي الله لوط عليه السلام في دعوتهم، حيث قصروه وأهله على صفة الطهارة التي يشهدون عليها وكأنها هي الجرم لا ما يفعلون هم، رغبة منهم في إطلاق الدلالة على وجود الخلل فيه وأهله، فهم لا يجتمعون في مجالسهم إلا لدعائهم إلى الله عز وجل، ولا يرتكبون الفواحش كبيرة كانت أو صغيرة وهذا ما تؤكده جملة "إنهم قوم يتطهرون" فمعنى التطهر« تكلف الطهارة، وحقيقتها النظافة، وتطلق الطهارة- مجازا- على تزكية النفس والحذر من الرذائل وهي المراد هنا، وتلك صفة كمال، لكن القوم لما تمردوا على الفسوق كان يعدون الكمال منافرا لطباعهم، فلا يطيقون معاشرة أهل الكمال، ويذمون ما لهم من الكمالات فيسمونها ثقلا، ولذا وصفوا تنزه لوط عليه السلام وآله تطهرا، بصيغة التكلف والتصنع»[2].

والخطاب القرآني يَمُد المجال لذهن المتلقي من خلال تقديم خبر كان، كي يعقل حال هذا الجواب وانحصاره في قول غير منطقي وغير وراد في العرف البشري ومن ذلك كان تقديمه للاهتمام به والتنبيه لطبيعته، فاستخدام هذا الخبر المنفي مُقَدمًا يؤكد فظاعة جوابهم وانهيار حالهم الخلقي

1- ينظر: التحرير والتنوير، 235/8.

2 -المصدر نفسه: 235/8.

ويُظهر انعدام هذه الصفة النبيلة فيهم حتى انتفى أي عذر لهم يُجيبون به غير هذا الجواب المحير إذ لم يبقى بينهم من يتصف بصفة الطهارة غير نبي الله وأهله.

ومن الحصر الواقع في الجملة الاسمية قوله تعالى:﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾[الأنعام:29]، فضمير"هي"ضمير القصة والشأن، أي قصة الخوض في البعث تنحصر في أن لا حياة بعد الممات، أي القصة هي انتفاء البعث كما أفاده حصر الأمر في الحياة الدنيا الحاضرة القريبة منا، فلا تطيلوا الجدال معنا في إثبات البعث، ويجوز أن يكون هي ضمير الحياة باعتبار دلالة الاستثناء على تقدير لفظ الحياة فيكون حصرا لجنس الحياة في الحياة الدنيا[1].

حيث يقصر المكذبون بالبعث الحياة على الدنيا فقط فلا حياة بعدها، ويَستغِل المكذبون هذا الجدال لاستخدام الحصر لتوكيد نفي أي حياة بعد الممات عن طريق لفت الانتباه إلى النهاية المحتومة لكل الناس، فما نفع الإيمان والكد في الطاعات إن كانوا لا يُبعَثُون، ذلك أن هذا التكذيب هو الذي دفعهم لأن يُعرضوا عن الصالحات، فقصر الحياة على الدنيا هو قصر إفراد يقطع بتفرد الدنيا بالحياة ولا يُوجد حيز زماني بعد الممات يَحيَّون فيه، لذا كان قصر الصفة على الموصوف من قبلهم يقتضي عدم إيمانهم بالله واليوم الآخر.

وقد ورد الاستثناء المفرغ في القرآن الكريم عن طريق النفي الضمني نحو قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴾[الإسراء:89]. يقول الزمخشري في ذلك:« والكفور: الجحود فإن قلت: كيف جاز فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً ولم يجوز ضربت إلا زيدا؟ قلت:لأن أبى متأوّل بالنفي،كأنه قيل: فلم يرضوا إلا كفورا »[2]. حيث ورد النفي بالفعل الماضي "أبى" لغاية تبيان الجواب القطعي لأكثر الناس على ما جاءهم من آيات في كتاب الله عز وجل، فلفظ "أبى" في هذه الآية يحمل تلك الدلالة القاطعة على الإنكار والجحود لأن النفي الضمني يحمل دلالة الإثبات المطلق الذي لا يعترضه نفي، وقد جاء تأكيد نفي صفة الرضا عما جاء في القرآن الكريم من أمثال بلفظة "كفورا" التي تدل على عمق وشدة الإنكار من الناس وتؤكد صفة الإصرار على الكفر، حيث أتى المستثنى مؤكدا لمعنى المستثنى منه، فالكفور يحمل دلالة أخص من دلالة الجواب المطلق أي المفعول الذي حذف.

1 - ينظر: التحرير والتنوير، 361/25.

2 - الكشاف: 692/2.

ظاهرة تكرار النفي في القرآن الكريم:

ليس ثمة وصف كامل للغة دون الإشارة إلى المستوى الصوتي من مستوياتها، فهو الجوهر والمكون الأساس لها ولمفهوم اللغة ارتباط وثيق بهذا المستوى فاللغة مجموعة أصوات « يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[1]، وإذا كانت اللغة بشكلها العام ذات مقاييس نظامية صارمة فإن المستوى الصوتي لها هو بمثابة الصورة التي تخرق هذا الانضباط وتسخره لصالح النسق الصوتي والذي بدوره ينعكس على المعنى الدلالي ليشحنه تأثيرا وانفعالا، وهذا ما يتفرد به المستوى الصوتي القرآني فـ «الإيقاع في النص القرآني الكريم قد تحرر من كل قيد يقيد المعنى أو يحد من النظام الصوتي، مما أدى إلى حرية التعبير وامتلاك آفاق رحبة من التآلف والتلازم والانسجام»[2]، وهذه الدلالة الصوتية التي تستمد مرونتها من مكامن الجمال ومنابع المعاني الفعالة حيث تؤثر في المتلقي المتذوق للإيقاع الفني والمتدبر في المعنى السامي، تُمثِل جزءا من الطاقة الكامنة للإعجاز في القرآن الكريم «فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها، ليمسك الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازا أبدياً، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية وفوق ما يتسبب إليه الإنسان إذ هو يشبه الخلق الحي تمام المشابهة»[3].

وهذا يعني أن المستوى الصوتي بمجاله الواسع وما يتضمنه من إيقاع يُسهِم في إثراء الدلالات وإلقاء المعاني الوجدانية على ظلال النص القرآني كي يجعل المتلقي يعيش في كنفه المعنوي العميق، ولاشك في أن القرآن الكريم بكونه كتاب الله المعجز أفاد أبلغ إفادة من فاعلية الإعجاز الصوتي الذي يتميز به لبلوغ هذا الأحاسيس الوجدانية للمتلقي.

والذي يعمد إلى دراسة التركيب الصوتي للنفي في النص القرآني يدرك مدى التناسق والانسجام الصوتي للتراكيب في جمل النفي، ومن أهم الظواهر الصوتية التي تخص هذا الأسلوب هي ظاهرة التكرار الذي يتم بين تراكيبه، لذا سنبحث في الجمل المنفية الحاضنة لهذا الأسلوب

1 – ابن جني، الخصائص: 34/1.

2 – محمد قطب عبد العال، الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم، 2/1ص1، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند ، الهند، ذو الحجة، 1430هـ- ديسمبر 2009 م، العدد 12 ، السنة: 33.

3 – مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي –بيروت– لبنان، الطبعة الثامنة، 1425هـ-2005م، ص 146.

وهذا ما سنقتصر عليه في دراسة هذا المستوى من أساليب النفي القرآنية لعنا نبلغ أثر ذلك في بناء المعنى النفسي والتأثيري.

حيث يبرز التكرار في النص القرآني بكونه أحد العناصر التكميلية لتقنيات الإيقاع الصوتي والتي تعمد إلى توظيف قوة الصوت وعذوبته للتأثير اللغوي، فالتكرار أسلوب من الأساليب التي تؤكد المعاني وتوصلها إلى المتلقي بطريقة راقية ومقنعة فيقال « كررت عليه الحديث، إذا رددته عليه، والكَرّ: الرجوع على الشيء»[1]، وجاء في الإتقان: «وهو أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة خلافا لبعض من غلط وله فوائد: منها التقرير وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر وقد نبه تعالى على السبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والإنذار في القرآن بقوله: ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه:113] ومنها التأكيد ومنها زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول منه»[2]، كما توقف ابن قتيبة (ت276هـ) عند ذات الفائدة التي تتجلى في التأكيد وتقوية المعنى فقال: «وأما تكرار الأنباء والقصص فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوما في ثلاث وعشرين سنة، بفرض بعد فرض، تيسيرا منه على العباد، وتدريجا لهم إلى كما دينه، ووعظ بعد وعظ، تنبيها لهم من سنة غفلة، وشحذاً لقلوبهم بمتجدد الموعظة وناسخ بعد منسوخ، استعبادا لهم واختبارا لبصائرهم»[3]. ولهذا فإن تكرار النفي ظاهرة صوتية متميزة لابد أن تُدرَس في إطار يُسقِط الحجاب عن تلك الأبعاد الجمالية والدلالية لها وتُوضِح أثره في تماسك النص ووظيفته في بلوغ الغايات والفوائد من استعماله للتأثير في المتلقي.

التكرار لأدوات النفي وجمله:

يستخدم القرآن الكريم عدة أدوات للنفي تختلف في وظائفها التوجيهية لهذا الغرض بحسب الفروق الوظيفية الموجودة بينها، ومن الملاحظ أن هذه الأدوات تخضع لنظام التركيب الجملي والغايات التي نستوحيها من السياق، ولهذا فإن استخدام أحد هذه الأدوات يرجع إلى المعنى الذي يحمله النص و تواتر إحداها يرجع كذلك إلى هيمنة المعنى على هذا النص.

1 – لسان العرب، مادة (كرّ): 135/5.

2 – الإتقان في علوم القرآن: 224/3.

3 – ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان،د.ط.ت.

فمن الأدوات التي تظهر بكثافة عالية (لا) النافية «لأن تكرار (لا) مع النفي كثير حسن»[1] كقوله تعالى:﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾ [البقرة71]، إن (لا) الأولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى: لا ذلول تثير وتسقي ومعنى لا شية فيها أي لا لمعة في نقبتها[2]، نفهم من هذا أن تكرار (لا) النافية في هذا السياق هو لتبيان أوصاف هذه البقرة وهذا التكرار مزيد لدعم التأكيد، ولكن لابن حيان رأي آخر فهو يرى أن قوله "لا ذلول": «صفة منفية بلا، وإذا كان الوصف قد نفي بلا، لزم تكرار لا النافية، لما دخلت عليه تقول: مررت برجل لا كريم ولا شجاع، وقال تعالى:﴿ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾ [المرسلات:30،31]، ﴿ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة:43،44] ، ﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾ [البقرة: 68]، ولا يجوز أن تأتي بغير تكرار لأن المستفاد منها النفي»[3].

فهذا التكرار الصوتي لـ(لا) النافية هو ضرورة اقتضاها المعنى الدلالي المتمثل في نفي الأوصاف المتتابعة إذ هذا الوصف المتكرر يدل على تكرر الأسئلة فهو وصف موسع ودقيق يدل ظاهرا على التباس وغموض الموصوف في حين يحمل في طياته تباطئ وتقاعس في إدراكه وقد جاء وصف هذه البقرة قبل هذا في قوله:" لا فارض ولا بكر" فهذا يكفي ليعثروا عليها، ولكن لسؤالاتهم المتعددة تعددت الأوصاف وتعدد النفي معها ليكشف هذه المماطلة التي نزلت إلى حد السؤال عن أمور بديهية لو بحثوا عنها ما كانت لتكلفهم جهدا.

والعرب تأتي بمثل هذا التركيب المشتمل على (لا) النافية مكررة في غرضين: تارة يقصدون به إضاعة الأمرين كقول إحدى نساء حديث أم زرع: لا سهل فيُرتقى ولا سمين فينتقل، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ [القيامة 31]، وتارة يقصدون به إثبات حالة وسط بين حالين كقوله تعالى: ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [النور:35]، وفي قوله: "لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث" تدل لا على انتفاء الصفتين في هذه البقرة[4].

1 – أسرار التكرار في القرآن: 139/1.

2 – ينظر : الكشاف، 151/1–152.

3 – البحر المحيط: 412/1.

4 –ينظر: التحرير والتنوير، 241/5.

وقد يجتمع التكرار في الأداة والجملة كقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران 19].

تكرر قوله (لا إله إلا هو) لأن الأول جرى مجرى الشهادة وأعاده ليجري الثاني مجرى الحُكم بصحة ما شهد به الشهود[1]، فالشهادة حقيقتها خبر يُصدَّق به خبر مخبر وقد يُكذَّب به خبر آخر، وإذ قد كان شأنه أن يكون للتصديق والتكذيب في الحقوق، كان مظِنّة اهتمام المُخبر به والتثبت فيه، فلذلك أطلق مجازا على الخبر الذي لا ينبغي أن يُشك فيه، فشهادة الله تحقيقه وحدانيته بالدلائل التي نصبها على ذلك، و(لا إله إلا هو) المكررة هي تمجيد وتصديق نشأ عن شهادة الموجودات كلها فهو بذلك تلقين الإقرار له بذلك[2].

فهذه الشهادة هي للإقرار بوحدانية الله عز وجل وتعظيم له، وأي شهادة أعظم من شهادة الله عز وجل، وفيه تشريف للملائكة والعلماء إذ قرنت شهادة الله العظمى بشهادتهم، وتكرير الجملة المنفية يحمل إفادة تأكيد الجملة السابقة ويمهد للجملة اللاحقة (العزيز الحكيم)، فنلمس من خلال هذا التكرير الإثبات القطعي لوحدانية الله عز وجل التي لا تحتاج لأزيد من هذا الإقرار الذي يحققه حضور الفاعل في الجملة وهو الله عز وجل، إضافة لشهادة الملائكة والعلماء، فهو من سبيل التعليم والتلقين لا لفتح المجال من أجل البحث والخوض في هذا، يقول الجرجاني:« وجملة القول إنه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصفه، إن لم يقدم ما يقدم، ولم يؤخر ما يؤخر، وبُدي بالذي ثُني أو ثُني بالذي ثُلث به لم تحصل لتلك الصورة وتلك الصفة، وإذا كان كذلك فينبغي أن ننظر إلى الذي يقصده واضع الكلام»[3]، وهذا يشير إلى أن الترتيب المختلف للتراكيب واختيار تراكيب محددة يلعب دورا في تحقيق مقصد الخطاب وكيفية تأثيره في المتلقي وإقناعه، فهذا التأثير له علاقة بالترديد الصوتي للتراكيب المترابطة، الذي يصدر عن صدى تكرار الأدوات واتحادها مع تأثير تكرار المركبات بعدها.

وللغة العطف دور فعال في توكيد المعاني وإقرارها في تكرار أدوات النفي وجمله، فالعطف بالحروف من أشهر وأيسر الوسائل اللغوية للربط بين التراكيب وله فوائد عديدة ففائدة العطف «

1 – ينظر: أسرار التكرار، 88/1.

2 – ينظر: التحرير والتنوير، 187/3.

3 – دلائل الإعجاز: 1 /364.

التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه، ثم من الحروف العاطفة ما لا يفيد إلا هذا القدر، وهو الواو. ومنها ما يفيد مع ذلك فائدة زائدة، مثل الفاء وثم، فإنهما يفيدان الترتيب.أما الفاء فمن غير التراخي، وأما ثم فمع التراخي، و أو فإنه يفيد التردد»[1]، وفائدة هذه الأدوات وقوة تأثيرها تزداد شدة في حال النفي وتكراره يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[طه:118،119]، «الشبع والري والكسوة والكنّ :هي الأقطاب التي يدور عليها كفاف الإنسان فذكره استجماعها له في الجنة، وأنه مكفي لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا، وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعرى والظمأ والضحو، ليطرق سمعه أسامي أصناف الشقوة التي حذره منها، حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها»[2]، فتكرار العطف بالواو في هذه الأمثلة يتفق والمعنى ويعمل على تأكيده، لأن تكرار الأصوات متتابعة يبرز جوانبه المختلفة ويصور دلائله تصويرا إيحائيا، واختيار حرف العطف في الخطاب القرآني والذي يكثر بالواو ليس مجرد اختيار بسيط بل هو انتقاء فعال ذو أبعاد تأثيرية تجهر بالإسقاط المتوازي مع المعنى الدلالي قال الجرجاني: «الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين، أحدها أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد، إذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى المفرد، وكان وجه الحاجة إلى الواو ظاهرا والإشراك بها في الحكم موجودا»[3].

لا يخفى من هذا أن فكرة العطف بالواو عند الجرجاني تدور حول دلالة الإشراك فكلما عطفت جملة على جملة دُمجت بها لتشكل وحدة شبيهة بالمفرد، وهذا ما نجده مختلفا عند صاحب الكشاف الذي وجد للعطف بالواو خصوصيات أوسع من ذلك تعمل على تأكيد وتقوية المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي، وإن كان الإشراك من مزايا العطف المحكم فإن له دلالة معنوية تتعدى ذلك، وهذا الانتقال الواعي بدلالة العطف وما تحمله من معان تأثيرية تأتي على قيمته راجع إلى تأمل التراكيب القرآنية وفق نصوص كاملة تتعدى حدود الجملة، فقد يكون معنى إحدى الجمل

1 – نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ص197.

2 – الكشاف: 92/3.

3 – دلائل الإعجاز:223/1.

متعلقا بمعنى الجملة الأخرى وقد لا يكون، والترابط بين أجزاء النص المتقاربة أو المتباعدة هو ارتباط وثيق وأدوات الربط العاطفة التي تسهم في إطراء هذه العلاقة باختلاف إفادتها توضح المجال الذي يقف عنده الربط وتعلقه بالمعنى فقد يكون على مستوى الجملة فيربط عناصرها التركيبية دون أن يتعداها الجملة التالية وقد يتجاوزها إلى الجملة التالية أو إلى مجموع النص كقوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ [سورة: الكافرون].

ففي تكراره أقوال جمة ومعاني كثيرة اختلف فيها المفسرون ولكن إجماعهم ثابت على أنها من قبيل البلاغة المعجزة، فهذا التكرار اختصار معجز لأن الله نفى عن نبيّه عبادة الأصنام في الماضي والحال والاستقبال، ونفى عن الكفار المذكورين عبادة الله في الأزمنة الثلاثة أيضا فاقتضى القياس تكرار هذه اللفظة ست مرات، فذكر لفظ الحال لأن الحال هو الزمان الموجود واسم الفاعل واقع مع موقع الحال وهو صالح للأزمنة الثلاثة واقتصر من الماضي على المسند إليهم فقال" ولا أنا عابد ما عبدتم"[1].

فعلى مستوى البنية السطحية للنص يبدوا أن هذا التكرار لا فائدة منه وأن كل جملة تحمل معنى نظيرتها فما الغرض من التكرار؟، لكن الحقيقة هو أن معنى هذه الجمل يختلف في حال وقوعه وهذا الاختلاف الذي خلص إليه جماعة المفسرين راجع إلى الترابط بين هذه الجمل الذي يؤمنه العطف بالواو والذي تجاوز حدود الجملة الواحدة إلى سائر الجمل، فربط بين العناصر المتقاربة التركيب النحوي والتي لكل منها ما يحمله من معنىً خاص وكل منها يتصل بما يناسبه من دلالة بشكل منظم أحدثه الترتيب بالعطف وهذه الأهمية للعطف بين الجمل أشار إليها الجرجاني فقال:« هذا فن من القول خاص دقيق، اعلم ما يقل نظر الناس فيه من أمر العطف أنه قد يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان...وإذا كان كذلك كانت مع الأولى كالشيء الواحد، وكأن منزلتها منها منزلة المفعول والظرف وسائر ما جيء بعد تمام الجملة من معمولات الفعل من ما لا يمكن إفراده عن الجملة»[2].

1 - ينظر: أسرار التكرار، 256/1.

2 - دلائل الإعجاز:244/1.

فإدراك أهمية الترابط بين الجمل هو وليد المعنى الدلالي الناتج عن الترابط بين أجزاء تراكيب هذه الجمل التي تلاحمت وفق نظام يحمل دلالة الانتفاء في الأزمنة الثلاث والاقتران بين الجمل أحدث دلالة كلية للآيات تمثلت في نفي الكفر الأبدي عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، كما أن هذا الربط للتكرار يحدث تمييز وفرق بين عبادة الرسول الحقى وعبادة المشركين الضالة، فالخطاب القرآني يؤكد أن إيمان الرسول بما يعبد لم يضعف أبدا وإصرار المشركين على الضلال كذلك لم يضعف من عزيمته في الحفاظ على هذه الدعوة الإسلامية السامية ولم يؤثر في استمراره على التوحيد.

ونظير ذلك قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾ [الانفطار: 17،18]، التكرار في هذا أفاد زيادة التهويل إذ يعني قوله ما أدراك ما يوم الدين أن أمر يوم الدين بحيث لا ندرك دراية كنهه في الهول والشدة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه[1]. الملاحظ من هذا التكرار لأداة النفي والجملة بعدها أنه يحتضن تكرار المزيد من التعظيم، ونلمس من هذا التردد الصوتي الشديد التقارب تحذير وتنبيه لشدته ولقصور الفكر الإنساني حتى عن تخيل هول يوم الدين لأن علمه عند الله عز وجل وحده.

فما أدراك ما يوم الدين أي هو أي شيء عجيب في الهول والفظاعة ودار أمره لأنه خارج عن دائرة دراية الخلق وأي صورة يصورونه فهو فوقها وأضعافها ثم التكرير بـ"ثم" المفيدة للترقي في الرتبة للتأكيد وزيادة التخويف والجموع تعجيب للمخاطبين وتفخيم لشأن اليوم وإظهار يوم الدين في موقع الإضمار تأكيدا لهوله[2].

فهذا التكرار يركز على الدلالات النفسية للغة من خلال استخدام ذات التركيب، فتقنية الإضمار ونفي ما هو مجهول في ذهن المتلقي أساسا هو بمثابة الوسيلة المقنعة والتي عملت على تأكيد هول يوم الدين، إذ تكرار جملة بذاتها مباشرة يشكل لحمة واحدة مندفعة إلى الأمام حتى تلقى وقعا قويا في ذهن المتلقى جراء التأثير الصوتي الفاعل، والعطف بـ"ثم" التي تفيد التراخي وبالتالي أخذ مقطع فاصل يحرك الوجدان ويمنحه مجالا للزيادة في الوقوف عند مثل هذه المعاني.

1 – ينظر: الكشاف، 717/4.

2 – ينظر: إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي، روح البيان، دار الفكر – بيروت،(د.ط.ت).

التكرار في اللفظ والمعنى:

وذلك من ألوان التكرار اللافتة في النص القرآني فالارتباط القوي بين المعاني وبين التراكيب يجعل بعض التراكيب ذات الصدى القوي مرصودة من قبل المتلقي لما تحدثه من تأثير فيه فيتم تكرارها، ولأن القرآن الكريم يستعمل إمكانات واسعة ومختلفة لبناء التراكيب فلابد من أن تكرار اللفظ له دلالات كبيرة إذ تلك الإمكانات المعجزة لأسلوبه تكشف أن تكرار اللفظ هو الأبلغ وأنَّ في كل التراكيب لا توجد تراكيب تُغْنِي عن هذا التكرار.

والتكرار قسمان:أحدهما في اللفظ والمعنى كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع، والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ كقولك:أطعني ولا تعصني، فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية[1].

ومن الأمثلة القرآنية التي يتكرر فيها اللفظ والمعنى في سياق النفي قوله تعالى:﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ [الأنعام: 50].

فقوله (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله) استئناف مبني على ما أسِّس من السنة الإلهية في شأن إرسال الرسل لإظهار تبرئة الرسول صلى الله عليه وسلم عما يدور عليه مقترحاتهم، وقوله (ولا أقول لكم إني ملك) حتى تكلفوني من الأفاعيل الخارقة للعادات مالا يطيق به البشر من الرقي في السماء ونحوه أو تعدو عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في أمري، والمعنى إني لا أدعي هذه الأشياء حتى تقترحوها علي وتجعلوا عدم إجابة ذلك دليلا على عدم صحة الرسالة[2].

وعطف: ولا أقول لكم إني ملك على لا أقول لكم عندي خزائن الله بإظهار فعل القول فيه خلافا لقوله: ولا أعلم الغيب، لأن هذه الأخيرة عطف على عندي خزائن الله، فهو في حيز القول المنفي وأعيد حرف النفي على طريقة عطف المنفيات بعضها على بعض فإن الغالب أن يعاد معها حرف النفي للتنصيص، لئلا يُتوهم أن المنفي مجموع الأمرين، والمعنى لا أقول أعلم الغيب[3]. فلا شك أن تكرار (أقول لكم) وإن اختلف السياق العام لكل جملة في مقصد النفي فكل جملة تنفي شيئا معينا، جاء لأن الجمل المنفية الثلاث تحمل دلالة كلية واحدة وهي بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ونفي التَوَهُمات الكاذبة عنه، فالاستغراق الذي افتتحت به جملة (لا

1 - ينظر: المثل السائر، 03/3.

2 - ينظر: إرشاد العقل السليم، 136/3.

3 - ينظر: التحرير والتنوير، 241/7.

أقول لكم عندي خزائن الله) تحمل الكثير من الصور التي يبدو فيها الرسول صلى الله عليه وسلم خاضعا لله عز وجل ومتواضعا لملكوته، وتدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشعر بالتكليف المعجز له والذي يتعدى طاقاته البشرية من قبل قومه، فتستجيب تراكيب القرآن لذلك الشعور البريء من هذه التهم، فتتاولى الجمل المفندة لذلك بتوالي المعاني المتدرجة والمتمثلة في اقتراحات المشركين التي تلتقي ضمن معنى واحد يدور حول اتصاف الرسل بصفات الألوهية والملكية، فتوالي الجمل وتكرار نفي الرسول "لا أقول لكم" يشكل صورة ملتحمة لإقرار الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يملك قوة خارقة وإنما هو بشر يوحى إليه، فبدأ التبرأ من تلك الأوهام التي ينسبونها لطبيعة الرسل بنفي امتلاكه خزائن الله عز وجل، ليثبت أن الأرزاق لله وحده وهذا الإثبات يتناسب مع صدق الرسالة حيث اعتمد على الدلائل العقلية فمن من الخلق ملك أو يملك ملكوت الله عز وجل، ونفي أن يكون عالما للغيب أو أن يكون ملكا يتفق وما قبله في تأكيد طبيعته البشرية، فالأسلوب القرآني يؤثر أن يظهر ذلك بأسلوب النفي الذي يتكرر ليثبت هذه الصفة البشرية على سبيل القطع والذي يثبت اختصاص الله عز وجل بالملك وعلم الغيب فما دام قد نفى هذه الصفات عن نفسه وهو رسول فقد أثبتها لله عز وجل دون منازع ولا شريك، كما أثبت القطع باختصاص الملائكة بتلك الصفات المغايرة لطبيعة البشر كالأكل والمشي في الأسواق.

فخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يُركز على فكرة ادعاء المشركين اتصاف الرسل بصفات خارقة، يرد هذه الفكرة بإرسال جمله المنفيه مكررة لتكون طلقات مدوية في أسماع هؤلاء المدعين، فهو وجميع الرسل لا يملكون ما يتوهمه ويدعيه المكذبون، وهو بإثباته هذه الأمور الخارقة لله عز وجل يثبت أنه لم يرث ما يحقق له قبول هذا الادعاء. فهذا التكرار المدعوم بالعطف يحدث بعدا ترديديا مؤكدا في سمع المتلقي.

ومن الأمثلة القرآنية التي يتكرر فيها اللفظ الذي يحمل ذات المعنى قوله تعالى:﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: 52].

ما عليك من حسابهم من شيء أي ما عليك ما من حساب إيمانهم وأعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتتبنى على ذلك ما تراه من الأحكام وإنما وظيفتك هو شأن منصب النبوة اعتبار ظواهر الأعمال وإجراء الأحكام على موجبها وأما بواطن الأمور فحسابها على الله عز وجل،

وذكر وما من حسابك عليهم من شيء للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه صلى الله عليه وسلم[1].

فقوله ما من حسابك عليهم من شيء هو تأكيد بالتتميم بنفي المقابل وهو شبيه بالتوكيد اللفظي، وهذا للتنصيص على منتهى التبرئة من إجابة رؤساء قريش الذين سألوا إبعاد الفقراء عن مجلس رسول الله حينما يحضرون لأنهم معه فقط لأجل المال، ويفيد هذا النفي التعريض بهم وأنهم لو كانوا راغبين في الإيمان لما كان عليهم حساب أحوال الناس[2].

المتأمل للخطاب القرآني يلاحظ أن طرح القضايا يتوافق بانسجام مع معطيات النص لأن اقتراح المشركين استبعاد الفقراء من مجالس الرسول حين يحضرون مدعين أن هؤلاء الفقراء إنما يحضرون رسول الله طمعا في مال، استلزم اختيار رموز لغوية خاصة فمن خلال التركيب الصوتي المتكرر نلحظ أن هذه الفكرة من الأول تحدث طابعا انفعاليا، إذ نفي معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم ببواطن الناس بقوله (ما عليك من حسابهم) وفيه دلالة على حكم الله العام في عباده مما يكسب المعنى مزيدا من القوة لتصبح لفظة (حسابهم) بالذات غاية في الدلالة على تفرد الله في شؤون خلقه، لأن الذي يحاسب هو الذي يملك الوصاية على غيره وبالتالي فإن الوصي على ما تضمره النفوس هو الله وحده، ومادام قد ثبت من استقراء هذا التركيب اللغوي أن حساب الناس على الله لا على الرسول فقد تكرر هذا اللفظ لصرامته تأكيدا، وليلقى وقعه في ذهن المتلقي فيعلم أنما ما يبدي وما يخفي على الله لا يغيب، وعليه يمكن النظر إلى بواعث هذا التكرار من خلال الرموز اللغوية فلما كان الاعتقاد بأن للرسول قدرة على معرفة خوافي النفوس ومحاسبتها كان لابد من نقض ذلك الإدعاء ليؤكد من خلال هذا النقض أن الروح وما لها وما عليها لله وحده، قطعا تأكيديا فالتضافر الترددي بين الجملتين هو الذي ولد حركة صوتية صلبة الوقع.

وقد يتكرر المعنى دون تكرار التركيب في القرآن نحو قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ ﴾[التوبة:29]. فقوله:«لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر» يقوم مقام قوله:«ولا يدينون دين الحق»

1 – ينظر: إرشاد العقل السليم، 139/3.

2 – ينظر: التحرير والتنوير، 250/7.

لأن من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر لا يدين دين الحق، وإنما كرر هاهنا للخطب على المأمور بقتالهم، والتسجيل عليهم بالذم، ورجمهم بالعظائم ليكون ذلك أدعى لوجوب قتالهم وحربهم[1].

وهكذا نجد الخطاب القرآني يتكرّر فيه التركيب من حيث المعنى، فالسمات السياقية التي يحملها النص تستدعي وعي كبير من المتلقي كونه يُحَرض على قتال المشركين، فالمحافظة على الدلالة العامة للنص تتيح التغلب على أي نوع من الإشكال قد يصادف متلقي الخطاب كحقيقة من يجب قتالهم، لإحداث توازن في ذهنه وليستطيع تحديد المفاهيم، فكأن عقله لا يرصد غير هذه الصفات التي حددها الخطاب، إذ هذا الخطاب أجرى عملية تصنيف للمعاني التي تحملها تلك المركبات، فقوله «لا يؤمنون بالله واليوم الآخر» هو تحديد لهوية الموصوفين فعدم الإيمان بالله يقتضي عدم الإيمان باليوم الآخر، وهذا التكرار الداخلي يتضمن تكرارا جزئيا للصفات المحددة، ثم تكرر معنى التركيب «ولا يدينون دين الحق» فهذا التكرار الممتد يضمن كشف الالتباس وذم المأمور بقتالهم، ليكون لذلك وقع نفسي جمالي يعمل على إحداث انفعالات داخلية وتحويل هذه الاستجابات الوجدانية إلى وسيلة لفهم الخطاب القرآني.

وفي ختام هذا الفصل يتأكد لنا أن النفي البلاغي في النص القرآني له قدر كبير في تَغَيُّر وجهة المعاني وتبدل الدلالات، حيث أن التحول الدلالي لمركب النفي العامل في التعبيرية بالاستفهام يجعل لكل معنى من المعاني المطروقة تركيبا يحقق المقصد البلاغي له، فاندماج دلالة النفي مع دلالة الاستفهام تُولِد أسلوبا ذا وظيفة متميزة لأن الاستفهام يُلقي بدلالة التساؤل والحيرة فيعمل النفي على احتضان هذه المعالم واكتنافها ليَبلُغ بها عالم القرار، كما كان لتعبيرية النفي بالاستثناء دورًا بارزًا حيث استطاع بنوعيه الحصر والقصر النفاذ إلى عقل ووجدان السامع في آن واحد معاً، وكانت له القدرة على حمل الذهن المتلقي على تصوير الموقف واستشعاره وما فيه من معان، ومثلت ظاهرة تكرار النفي عنصرا مهما لتأكيد المعاني وتقريرها وبلوغ هذا الوجدان فالتكرار يعمل على توكيد الدلالات والقطع بها. فهذا التحول الدلالي للأساليب عند تضافرها

1- ينظر: المثل السائر، 03/3.

وتكرارها يمثل خاصية من خواص التعبير القرآني، وسمة واضحة من سماته تجعل له وقعاً في الحس يختلف عن وقع المعاني الذهنية المجردة، والتعبيرات التي لا ظل لها ولا حركة.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

دور النفي في أوضاع أبنية التراكيب القرآنية:

1 – النفي بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية في القرآن الكريم.

2 – النفي في سياق الشرط في القرآن الكريم.

3 – النفي في سياق القسم في القرآن الكريم.

تمهيد:

درس الباحثون النفي في القرآن الكريم انطلاقا من الجملة، فـالجملة هي أكبر وحدة في النّص تضمُّ مجموعة التراكيب، كما تعتبر المنطلق الذي بَنَوا عليه تحليلاتهم، وغايتنا في هذا الفصل استخراج واستخلاص الأسرار البلاغية من النص القرآني من خلال الجملة المنفية، فالقرآن الكريم «يستعمل أنماطاً من النفي استعملها العرب، وأنماطا أخرى لم تمر بخلدهم، هذا فضلا عن الأغراض النبيلة السامية، التي جاء القرآن الكريم يحققها بأساليبه المتنوّعة في النفي، والتي دونها أغراضهم وأساليبهم فيها»[1]. وقبل أن ندرس الأسرار البلاغية في النص القرآني من خلال الجملة المنفية ينبغي التمهيد لذلك بدراسة الجملة القرآنية.

الجملة القرآنية:

للمفردة القرآنية مزايا جمالية خاصة، فالفروق الدقيقة بين دلالات الألفاظ جعلت كل مفردة تختصّ بموقعها الذي تؤدي معناها فيه وبدقة فائقة، فلا تستطيع أي مفردة أن توفي المعنى الذي وفت بها أختها[2]، «لأن التعبير القرآني تعبير فني مقصود كل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعا فنيا مقصودا، ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل روعي في هذا الوضع تعبير القرآن كله»[3]. ولهذا كان في القرآن الكريم أنماطا من الجمل القرآنية حذف أحد عناصرها أو تقدم أو تأخر، لتستوقف الدارسين عندها.

فكل ما يطرأ على المفردة في تركيب الجملة القرآنية من حذف أو ذكر أو إبدال يكون لغرض مقصود[4]، لأن القرآن الكريم ينهج في ترتيب كلماته المنهج الفني الذي يقدِّم ما يُقَدَّم، لمعنى نفهمه وراء رصف الألفاظ، وحكمة ندركها من هذا النسج المحكم[5]، كما أن النظام القرآني أَسَّسَ لاتجاه جديد في بناء الجملة ، وهو اتجاه الاستغناء عن أحد أركان الجملة إذ دلت القرائن والسياق

1- عبد الرحيم عبد الجليل، لغة القرآن الكريم، ص: 270.

2- ينظر: أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن الكريم، إشراف داليا محمد إبراهيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مارس- 2005م، ص:51.

3 - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، الطبعة الرابعة1427هـ/2006م، دار عمار عمان- الأردن، ص:11.

4- ينظر: فاضل السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، الطبعة الثانية – القاهرة 1427هـ/2006م، ص: 10.

5- ينظر: أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص:94.

على المعنى المقصود دون تقدير المحذوف، فدلالة التركيب بالتعبير تكفي لبلوغ المعنى بركن واحد[1]، ومسألة التقديم والتأخير ومسألة الذكر والحذف هي انحراف لا يخرج عن النظام اللغوي العام، فهي من أهم المسائل التي بحث فيها العلماء، فهذا التحرك للتراكيب اللغوية يسهم في التحول الدلالي للسياق إذ تختلف الدلالة باختلاف مواقع التراكيب كما أشرنا في مدخل هذا البحث، وبناء على ذلك اعتمدنا في دراستنا لأبنية التراكيب للجملة المنفية على هذه المسائل، كما اعتمدنا على المستوى النحوي من مستويات اللغة في بحثنا.

فالمستوى النحوي: أي التراكيب النحوية تجعل «لكل مجموعة وظائف نحوية يرتبط بعضها ببعض لتُتِمَّ معنىً واحدا يصلح أن يشغل وظيفة نحوية واحدة أو عنصرا واحدا من عناصر الجملة، بحيث إذا أفردت هذه المجموعة وحدها لا تكون مجموعة مستقلة»[2].

ونمط الجملة المنفية في القرآن الكريم تمثّل في ذكر أداة النفي مع الجملة المنفية لأنّ النمط «أنموذج أو قالب تصاغ الجمل بحسبه، فهو الذي يرتِّب الكلمات في أمكنتها كي تخدم المعنى المقصود»[3]. والجملة المنفية هي جملة محوّلة عن الجملة النواة بواسطة قواعد التحويل، لأن الجملة النواة «يمكن بها إنتاج ما لا يحصى من الجمل الصحيحة نحويا التي تتماثل تركيبا وتختلف دلالة وهي تعد نواة كل الجمل الصحيحة... منها تبدأ، وإليها تعود ومنها تمتد، ومنها تتفرع وتتركب»[4].

ومن ذلك فإن أنماط الجملة المنفية (فعلية أو اسمية) تنتج بزيادة أداة النفي للجملة النواة، فالجملة الاسمية ذات البناء التركيبي الذي يظهر المسند إليه فيه أولا حسب ما قرره النحاة (مبتدأ + خبر)، يقول سيبويه:« هذا باب المسند والمسند إليه، وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بُدا فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه ، وهو قولك : عبد الله أخوك، وهذا

1- ينظر: كريم حسين ناصح، نظرات في الجملة العربية، الطبعة الأولى: 1425هـ/ 2005م،دار صفاء/ عمَّان، ص51،55.

2 - عبد اللطيف حماسة، النحو والدلالة-مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، 1420هـ /2000م دار الشروق القاهرة، ص77.

3- خير الله عصار، محاضرات وتطبيقات في علم النفس التربوي، الجزائر 1980م، ديوان المطبوعات الجامعية، ص53.

4- نحلة محمود أحمد، صور تأليف الكلام عند ابن هشام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية - 1999 م، ص75،93.

أخوك »[1]. تمثل أصل الجملة الاسمية وتتحول من الإثبات إلى النفي بالقاعدة التحويلية الزيادة فتصير (أداة نفي+ مبتدأ+ خبر).

كما نجد الجملة الفعلية التي تقوم على أساس إسناد الفعل للفاعل ومن ذلك يتقدّم الفعل إذ الفاعل لا يتقدم على فعله كما لا يتقدم المفعول على الفاعل[2]، وعليه تكون الجملة الأصلية للفعلية هي (فعل + فاعل + مفعول به)، وتتحول من الإثبات إلى النفي بالقاعدة التحويلية الزيادة فتصير (أداة نفي + فعل + فاعل+ مفعول به).

فتكون أنماط الجملة المنفية بحسب عمل أدوات النفي هي: (لا+ جملة فعلية أو جملة اسمية)، (ما+ جملة فعلية أو جملة اسمية)، (ليس + جملة اسمية)، (لم+ جملة فعلية)، (لن + جملة فعلية)، (لـمَّا + جملة فعلية)، (إن+ جملة فعلية أو جملة اسمية)، (لات+ جملة اسمية).

وتتفرع هذه الأنماط عن الجمل النواة إلى أشكال تفريعيه بحسب التغيرات التي تطرأ على التراكيب عن طريق القواعد التحويلية ومن أمثلة ذلك ما نجده في قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[النساء:157]. فالجملة: قتلنا المسيح عيسى ابن مريم، تحولت بعنصري التحويل زيادة أداة النفي وإحلال المفعول مع الفاعل في الفعل إلى:"ما قتلوه". فعلاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه تمثل أساس بناء الجملة التي تحمل معنًى دلالي تام، لتكون القواعد التحويلية بين التراكيب تبع لها في إفادة هذا المعنى، كما تُسهِم في امتداده وتولد جمل جديدة منساقة عنه.

فمن التفريعات الناجمة عن التغيرات التي تطرأ على التراكيب، ينتج التركيب المفرد: الذي يتم بصوغ الجملة المركبة من جملتين بسيطتين ويكون ذلك بارتباط الجملتين، أو بدمج إحدى الجملتين أو تفريعها عنها، والتركيب المتعدد: إذ تصاغ الجملة من أكثر من جملتين، ويكون بتكرار الربط أو تكرار التفريع[3]. وهذا يعني أن للغة أنظمة تُلزِم مستعمليها بالخضوع لها والسير وفق قواعدها، فتعليل جودة القول يتعلق بالإلمام بإمكانيات اللغة، لكن الذوق البلاغي وجمالية التعبير

4- سيبويه، الكتاب،23/1.

5- ينظر: ابن جني، الخصائص، 387/2.

2- نحلة محمود أحمد، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية بيروت-1981م، ص: 145،146.

تدفع إلى تمردٍ جليٍ على هذه الأنظمة وهو ميدان الإبداع حيث تظهر الفروق بين تعبير وآخر، ولأن الدراسات البلاغية تتطلب النظر في الدلالات الظاهرة والخفية للجمل وتهتم بالأسلوب الذي كان هدف عناية مختلف الاتجاهات اللغوية، فإنها تدين في قدرها على بلوغ المعنى الدلالي للتركيب النحوي لما أفادته من أسس علم المعاني والذي بدوره خرج من علم النحو، فاللفظ والمعنى يُكَونان وحدة متلاحمة لا يمكن فصلها، وحتى نبلغ المقاصد والغايات البلاغية من أسلوب النفي في النص القرآني سندرس بعض صور وأشكال أنماط الجمل المنفية في القرآن الكريم لعلنا نوفق بإذن الله في الوصول إلى أبعاده البلاغية وكشف أسراره التركيبية، فللنص القرآني الفضل التام في تلك النقلة المتميزة التي مُنِيَت بها الدراسات اللغوية العربية.

– نفي الجملة الفعلية في القرآن الكريم:

تدل الجملة الفعلية على الحدوث، تَقَدَّمَ الفعلُ أو تَأَخَّرَ، وقد تفيد الاستمرار والتجدّد بالقرائن، وهذا يكون في الفعل المضارع فقط، أما الجملة الاسمية فإنها تدلّ على الثبوت، وقد تفيد الدوام بالقرائن[1].

والسر البياني في استخدام القرآن الكريم تارة للجملة الفعلية وتارة للجملة الاسمية هو الاختلاف الدلالي بين المركبين الفعلي والاسمي، فاستئثار الجملة الفعلية دون الاسمية أو عكس ذلك يَنبُع من الواقع الوظيفي والطبيعة الدلالية لهذه الجملة، وقد وضح الزمخشري هذا السر البلاغي في الانتقاء بفطنة عالية من خلال تفسيره لقوله تعالى:﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص:18،19]، حيث يرى أن اختيار"يسبحن"على "مسبحات" هو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال، وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح، وقوله "مَحْشُورَةً" في مقابلة "يسبحن" إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء، جيء به اسما لا فعلا.

1– ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها– علم المعاني، الطبعة الثانية عشر 1429هـ/2009م، دار النفائس، عمان–الأردن، ص:94.

وذلك أنه لو قيل: وسخرنا الطير يحشرن- على أنّ الحشر يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء ، والحاشر هو الله عز وجل- لكان خلفا، لأنّ حشرها جملة واحدة أدلّ على القدرة[1].

أ- الجملة التي فعلها مضارع:

- الجملة المنفية بـ(لا) :

وردت الجملة المنفية بـ"لا" ذات الفعل المضارع في الكثير من المواضع من القرآن الكريم نحو قوله تعالى:﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة: 273]. «أي إلحاحًا وهو أن يلازم السائل المسئول حتى يعطيه، من قولهم: لَحَفَنِي من فضل لِحَافه، أي أعطاني من فضل ما عنده، والمعنى لا يسألونهم شيئاً وإن سألوا لحاجة اضطرتهم إليهم لم يُلحُوا، وقيل هو نفي لكلا الأمرين»[2]، وقد ورد في البرهان أن تسلُّط النفي على المسند المراد منه نفي السؤال من أصله، لأنهم متعفِفُون، ويلزم من نفيه نفي الإلحاف، فظاهر المعنى الدلالي من التركيب هو نفي الإلحاف في المسألة والحقيقة نفي المسألة البتة وعليه أكثر المفسرين بدليل قوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ [البقرة: 273]، فمن لا يسأل لا يُلحِف لأن نفي الأعم يستلزم نفي الأخص[3].

ويرى أبو حيان الأندلسي أن المعنى من ذلك ثبوت سؤالهم ونفي الإلحاح، وإن وقع منهم سؤال فإنما يكون بتلطُّفٍ وسِتْرٍ لا بإلحاح، ويجوز أن ينفي ذلك الحكم فينتفي ذلك القيد، فيكون على هذا نفي السؤال ونفي الإلحاح فلا يكون النفي على هذا منصبا على القيد فقط، لأن الأكثر في لسان العرب إذا نفي حكم عن محكوم عليه بقيد، أن ينصرف النفي لذلك القيد[4].

وذهب الطاهر بن عاشور إلى أن ما نُفِي عنهم السؤال المقيد بالإلحاف أو المقيدون فيه بأنهم ملحفون وذلك لا يفيد نفي صدور المسألة منهم، وما تأوله الزجاج والزمخشري من أنه نفي للسؤال والإلحاف جميعا، كقول امرئ القيس: على لا حِبٍ لا يُهتدى بمناره، يريد نفي المنار

---

[1]- ينظر: الزمخشري، الكشاف: 4/79،78.

2- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي- بيروت،1/265.

3- ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى1376هـ/1957م، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، 3/397.

4- ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، تحق صدقي محمد جميل، الطبعة:1420هـ، دار الفكر- بيروت، 2/699.

والاهتداء به، كان بقرينة أنهم وصفوا بأنهم أغنياء من التعفف، ونظيره قوله تعالى:﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: 18] أي لا شفيع أصلا، ثم حيث لا شفيع فلا إطاعة، فأنتج لا شفيع يطاع، فهو مبالغة في نفي الشفيع لأنه كنفيه بنفي لازمه وجعلوه نوعا من أنواع الكناية، فما جوزه صاحب الكشاف من أن وقوع السؤال منهم إن حدث لا يكون إلا بتلطف هو الرأي الأظهر[1]. يدل ذلك على أن السؤال غالبا ما يكون متبوعا بالإلحاح، فهو شبيه باللازم ولكن قد يكون السؤال دون إلحاح إذ ليس بالضرورة ألا تحدث المسألة دونه، وإن كانت في الغالب مقرونة به حتى صارت كاللازمة، فلا يمكن أن نعتبر "لا إلحاح أي لا سؤال" لأن نفي الخاص لا يقتضي نفي العام. وبهذا فإن تحديد حقيقة السؤال في هذا السياق من قبل المفسرين وإن اختلفوا فيه، يوضح استدراك المفسرين للوحدة النصية للتراكيب والربط بين مدلولاتها سواء عن طريق الرجوع إلى باقي تراكيب النص "يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف" أو بالمعاني الخاصة بأبنية التراكيب كاعتبار (إلحافا) قيداً يحدد حقيقة هذه المسألة.

واستخدام القرآن الكريم للفظة "إلحافا" دون غيرها أسهم في إبراز السمات الرفيعة لهؤلاء المتعففين بدقة بلاغية فائقة، فمعنى إلحافاً « أنه السؤال الذي يُسْتَخْرَجُ به المال لكثرة تلطفه، أي لا يسألون الناس بالرفق والتلطف وإن لم يوجد هذا، فلأن لا يوجد بطريق العنف أولى»[2]، وهذا وصفٌ راقٍ لحال هؤلاء، إذ أبرز استعفافهم عن السؤال بالتودد والرفق وذلك أبلغ في نفي السؤال بالنفي عنهم.

والمقصد البلاغي من هذا السياق هو التنبيه على سوء خلق من يسأل الناس إلحافا والتعريض به، ولهذا كان تقديم جملة " يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف" على جملة " لا يسألون الناس إلحافا"، فالغرض من هذا التقديم هو التنبيه على من يسأل الناس إلحافا وبيان مباينة أحد الجنسين عن الآخر في استحقاق المدح والتعظيم، ففيه مدح للمستعفف وتعريض بالْمُلِحِّ[3].

1- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 76/3.

2- أبو حيان، البحر المحيط: 700/2.

3- ينظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير:69/7.

وفي جملة " لا يسألون الناس إلحافا" قد ذكر المفعول به الأوَّل (الناس)، أما المفعول الثاني حذف تقديره (أموالا) أو (صدقة)[1]، ولهذا الحذف القرآني أبعاده الدلالية إذ لو قال (لا يسألون الناس صدقة إلحافا) لكان البعد الدلالي للمركب (إلحافا) أخف وطأة في أذن السامع مع أن التركيب في سياق النفي هذا متوجه إلى نفي قضية الإلحاف في السؤال، وما يُسأَل من الناس عند الحاجة معروف أنه المال أو الصدقة فحذفه كان لأنه معلوم. وذلك من الأساليب القرآنية البلاغية، لأن الحذف في القرآن الكريم يتم بالاستغناء عن اللفظ في موضع ما إذا عرف معناه، ليكون الحذف أوجز وأبلغ للسياق، وهو وارد في القرآن الكريم في العديد من المواضع[2].

وبذلك فإن نمط الجملة المنفية هو: لا + فعل مضارع + مفعول به أول + مفعول به ثان محذوف + حال.

واستُخدِم الفعل المضارع (يسألون) لأن السؤال أمر يتكرر ويحدث باستمرار كَون وجود الحاجة للمال من قبل الفقراء بشكل مستمر، فكان للدلالة على تجدد المسألة واستمرار بواعثها، حثا على الاستعفاف ودلالة على إبراز تجدد مثل هذه الفئة المسلمة المذكورة في الآية، تذكيراً بضرورة بذل الأموال والبحث عن المحتاجين لها.

و من ذلك تكون الجملة التوليدية الفعلية لجملة " لا يسألون الناس إلحافا" هي: يسألون الناس أموالا إلحافا. ثم تحولت بعنصر التحويل الحذف إلى: يسألون الناس إلحافا، ثم تحولت بعنصر الزيادة إلى: لا يسألون الناس إلحاف.

حيث تحوَّلت الجملة التوليدية من العمق المثبت الدال على طبيعة الإنسان الذي تدفعه الحاجة إلى سؤال النّاس صدقة بإلحاف، إلى المعنى الظاهر المنفي الدال على طبيعة فئة معينة من الناس يعرضون عن السؤال بإلحاف إشادة بهم وحثًا على خلق التعفف، فتحولت من العمق إلى السطح بالقاعدة التحويلية (الحذف) فحُذِف المفعول الثاني لتتركز دلالة السياق على مسألة الإلحاف، وبالقاعدة التحويلية (الزيادة) حيث زيدت لا النافية، ما أبان بلاغة النفي المقصودة والمتمثلة في مدح المتعفف الذي يُعرِض عن الإلحاح في المسألة، لتكون قضية الإلحاح مذمومة في

1- محمود بن عبد الرحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن، الطبعة الرابعة: 1418هـ، دار الرشيد، دمشق-مؤسسة الإيمان، بيروت، 67/3.

1- ينظر: الأخفش، معاني القرآن، 142/1.

السياق المثبت مُعَرض بفاعلها. ونلمس من ذلك تتبع الجملة القرآنية للأبعاد النفسية وتصويرها المعاني البلاغية بتراكيب دقيقة تُلقى في ذهن السامع وتتحد مع المعنى لتَقَر في موضعها الأليَق وتحقق مقصدها بلاغيا أو بيانيا.

وقد يتقدم المفعول به على الفعل في جملة النفي ولذلك أبعاده البلاغية نحو قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾[الأعراف: 191،192]. فقُدِم المفعول به في قوله " ولا أنفسهم ينصرون" للاهتمام بنفي هذا النصر عنهم، لأنه أدل على عجز تلك الآلهة لأن من يُقَصِّر في نصر غيره لا يُقَصِّر في نصر نفسه لو قدِر، والمعنى أن الأصنام لا ينصرون من يعبدونهم إذا احتاجوا لنصرهم ولا ينصرون أنفسهم إن أراد أحد الاعتداء عليها[1].

فالجملة الفعلية المنفية في هذا السياق هي ذات النمط التالي: لا + مفعول به مقدم مضاف + مضاف إليه + فعل مضارع + فاعل ضمير متصل (الواو).

ولو طبقنا كلام عبد القاهر الجرجاني «إذا قلت ما زيدا ضربت فقدمت المفعول كان المعنى على أن ضربا وقع منك على إنسان، وظُنَّ أن ذلك الإنسان زيد، فنفيت أن يكون إيَّاه»، لأفاد أن الفعل ثابت، وأن الخطأ في المفعول يعني أنهم لا ينصرون أنفسهم، ولكن ينصرون غيرها، وهذا خطأ لأن الفعل فيها غير ثابت قطعا، وأن هذه الآلهة لا تنصر أحداً ولا أنفسهم، فالعناية بنفي الفعل عن هذه الآلهة كان مقصد التقديم، لأن المهم إبراز عجز الآلهة عن نصرة نفسها وهذا مناط التشهير بها[2].

ما يعني أن انتفاء تحقيق النصر لنفسها تأكيد قطعي على انتفاء النصر لغيرها، فالمقصد البلاغي من هذا السياق المنفي هو «للتعجيب من عقول المشركين، وفيه تعريض بالرَّد عليهم لأنه يبلغ مسامعهم»[3]. لذا بلاغة الانتفاء جمعت العناية والاهتمام بالمفعول به قصد التعريض والتشهير به، والتعجب والتعريض بحال من يَنظُر العون منه.

1- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر-تونس1984م، 219/9.

2- ينظر: دلالات التركيب، ص: 188- 189، وينظر دلائل الإعجاز، 126/1 .

3- التحرير والتنوير: 215/9.

وقد أُخرِج القالب المنفي وفق تراكيب محكمة النسج، تخدم السر البلاغي بدقة، إذ نفى عنهم النفع بالفعل (ينصرون) بدل غيره «والظاهر أن تخصيص النصر من بين الأعمال التي يتخيَّلون أن تقوم بها الأصنام مقصود منه تنبيه المشركين على انتفاء مقدرة الأصنام على نفعهم، إذ كان النصر أشد مرغوب لهم»[1]، وتم صَوغُه بالفعل المضارع ودلالة المضارع على التجدد، ومنه كان تجدد نفي النصر منهم للدلالة على أنهم في الماضي ما نصروا ولا ينصرون في الآتي.

ومن خلال ذلك يتضح أن الجملة الفعلية التوليدية لـ "ولا أنفسهم ينصرون " هي :

ينصرون أنفسهم، ثم تحوّلت بعنصري التحويل الترتيب والزيادة إلى: "ولا أنفسهم ينصرون".

فهذا البناء المحكم للجملة التحويلية "ولا أنفسهم ينصرون" نُسِّق أدق تنسيق، إذ لا يحسّ المتلقي بأن تقديم المفعول به ينبو عن موضعه ولا تأخر الفعل يضيق بمكانه، فمستحيل تقديم الفعل في هذا الموضع وإن كان في كلام البلغاء المرسل يسيرا، فمن أراد المعنى البلاغي الراقي والراسخ فلن يجد مآلا غير التركيب القرآني، ولن يجد حسنا في غير هذا الأداء.

هذا عن تقدم المفعول به وقد يتقدم الجار والمجرور والظرف عن الفعل، لينجم عن ذلك كثير من الأسرار البلاغية التي تبرز عن طريق البنية التركيبة لعناصر الجملة.

كالتهويل والتشديد في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [هود: 105]، حيث قدم الظرف (يوم يأتي) على عامله (تكلم)، والتنبيه والتحذير كقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ ﴾ [السجدة: 29][2].

وقوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ يعني :«لا تكلّم نفس يوم يأتي ذلك اليوم إلا بإذن الله، وذلك من عظم المهابة والهول في ذلك اليوم وهو نظير: لا يتكلمون إلا من أذن له والتقدير: لا تكلّم نفس فيه يوم يأتي إلا بإذنه»[3]، فجاء نظم الكلام على تقديم وتأخير، إذ قدم الظرف (يوم يأتي) على عامله (لا تكلم نفس) لمقتضى تعظيم هول اليوم في موضع الكلام المتصل

4- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 217/9.

2- ينظر: أبو القاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، الطبعة الأولى 2006م، دار المدار الإسلامي، بنغازي- ليبيا، 1016/1.

3- أبو حيان، البحر المحيط: 6/ 209-210.

لأن ذلك أولى لمناسبة الغرض البلاغي المتمثل في التشديد والتهويل، فالظروف صالحة لاتصال الكلام كصلاحية الحروف العاطفة وأدوات الشرط[1].

فالجملة المنفية هي ذات النمط التالي: ظرف مقدم + لا + فعل مضارع + فاعل + إلا + جار ومجرور.

وبلاغة النفي في هذا السياق قام على إرسائها المزج بين التراكيب المكونة لهذا النمط المنفي، إذ دُلَّ على الوقت الذي نفي تكليم الناس فيه إلا بإذن بالظرف (يوم يأتي) والذي يراد به « الحين والوقت لا النهار بعينه»[2].

وباعتبار الجملة فيها حذف، والتقدير لا تكلم نفس فيه إلا بإذن الله تعالى، فالمحذوف (فيه) يُولِد التساؤل : كيف جمع بين هذه الآية وبين سائر الآيات التي تُوهِم كونها مناقضة لهذه الآية؟، منها قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾[النحل: 111]، ومنها قوله تعالى ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾[الصافات: 24]،وقوله:﴿ هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات:35،36]، فجواب ذلك من وجهين: الأول أن المنع محمول على الجوابات الحقية الصحيحة والثاني أن ذلك اليوم يوم طويل وله مواقف مُوَزَعة بين الجدال عن الأنفس، والكف عن الكلام، والإذن لهم فيتكلمون، وفي بعضها يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم[3].

وعليه فقد دُلَّ على هذا الوقت بلفظ (اليوم) فاعتبار الإذن مقيدا بالحجة واليقين والجواب الصحيح يجعل استخدام (يوم) شاملاً لكل الأحيان، فأيما موقف (حين) لا جواب صحيح فيه ينفي أن يكون في حين آخر من ذلك اليوم وبالتالي عُبِرّ عن الحين باليوم، أما الاعتبار الثاني أي بأن يوم القيامة فيه مواقف عديدة بحسب ما يقرر فيها، كانت دلالة الوقت بلفظ (اليوم) لأنه يجمع أحيانا عديدة، فتحديد الجزء بالكل أي الحين باليوم للدلالة على تعدد المواقف.

فقوله يوم يأتي بمعنى (حين) أو (ساعة) هو استعمال شائع في كلام العرب، لأن لفظ (يوم) و (ليلةٌ) يعتبر توسُّعاً على جزء من زمانهما، فالزمان يقع في النهار أو الليل، واعتبار (يوم)

1- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 163/12.

2- أبو حيان، البحر المحيط: 210/6.

3- ينظر: فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، 18/ 398.

أو (ليلةٌ) توسيعا مطلقا كان معناه (الحين) دون تقديره بمدة ولا نهار ولا ليل، ومثل ذلك قول النابغة : تخيَّرن من أنهار يومَ حليمةٍ، فأضاف أنهار (جمع نهر) إلى اليوم، ورُويَ من أزمان يوم حليمة[1].

كما أن الإتيان بالفعل المضارع في هذا السياق من شأنه أن يدل على تجدد الأزمان التي يحصل فيها المنع أو الإذن وبالتالي تعدد المواقف، تأكيدا على هول هذا اليوم.«وحُذفت ياؤه بغير جازم إذ أصله تتكلم»[2]. أمّا الفاعل (نفسٌ) فقد دُلَّ عليه باسم الجنس باعتباره شاملا لكل من أراد التكلم، وقد وردت نكرة لا معرفة (نفسٌ) لأنها متعددة المعنى فـ« النكرة المنفية تفيد العموم»[3].

ومن هذه التحليلات نخلص إلى أن الجملة التوليدية الفعلية لـ: "يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه" هي: تتكلم نفس فيه يوم يأتي بإذن الله، ثم تحولت بعنصر التحويل الترتيب إلى:

يوم يأتي تتكلم كل نفس فيه بإذن الله، ثم تحولت بعنصري الحذف والتعويض إلى:

يوم يأتي تكلَّمُ نفسٌ بإذنه، ثم تحولت بعنصر الزيادة إلى: يوم يأتي لا تكلَّم نفسٌ إلا بإذنه.

وقصارى القول هو أن الرتبة التي احتلها الجار والمجرور في هذا التركيب المحول عن جملة مألوفة في التركيب العربي البلاغي، هي الأمثل في النظم والأبلغ في المعنى فهذا الإعجاز يجعل كل الأساليب اللغوية التي تحاول بلوغ المعاني المرجوة عاجزة أمام هذا الترتيب القرآني لترجع في نهاية المطاف لهذا الاختيار وهذا الأداء، إذ ليس في اللغة كلها أدل من تراكيب القرآن.

– الجملة المنفية بـ(ما):

من الجمل التي وردت منفية بـ"ما" قوله تعالى:﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: 102]. الحال أن الملكين ما يعلمان من أحد حتى ينهياه عن العمل والكفر بسببه، وهذا النفي جيء به لتكذيب اليهود فالقصة أي لم يُنزَّل على الملكين إباحة السحر[4]،

1– ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 163/12.

2– إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، الموسوعة القرآنية، الطبعة1405هـ، مؤسسة سجل العرب، 3 /107.

3– زين الدين المصري، التصريح على التوضيح، الطبعة الأولى1421هـ /2000م ، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 204/1.

4– ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 139/1.

فالفاعل المعني في هذا السياق هو الملكان أي وما يعلم الملكان، وهذا النفي هو موجب في معناه لأن معناه: أنهما يعلمان كل واحد، إذا قالا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر[1].

والمقصد البلاغي لانتفاء التعليم كونه مقيداً بالنهي عن الكفر جاء على سبيل النصح، فتعليم الملكين امتحانا مع نصحهما لئلا يكون لهم حجة، وقد جاء التعبير بالمضارع في هذه الآية لحكاية الحال إشارة إلى أنَّ قولهما لمتعلمي السحر إنما نحن فتنة قول مقارن لوقت التعليم لا متأخر عنه، ومن ذلك عرف أنهما كانا معلمين فلم يُذكر ذلك للاستغناء عنه بمضمون الجملة، فهو من إيجاز الحذف أو هو من لحن الخطاب[2].

فالتراكيب المكونة لهذه الجملة أسهمت بشكل كبير في فهم المعنى والمغزى من هذا السياق المنفي، إذ ورد الفعل (يعلمان) مشتملا على الضمير العائد على الملكين لتبيان هوية هذين المعلمين، وصَوْغُه بالمضارع فيه استحضار للحال التي تم التعليم فيها لإدراك حقيقة السحر، وكيف تم نقله والأسباب الناجمه عنه كالكفر والفتنة.

وقوله (وما يعلمان) ثم (فلا تكفر) يدل على أن السحر يجر إلى الكفر، إذ لم يقل وما يعلمان من أحد حتى يقولا نحن فتنة فلا تتعلم، قال الزمخشري:« فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا أنه حقٌ فتكفر»[3]، فالقول (إنما نحن فتنة) الغرض منه الإخبار عن أنفسهم بأنهم فتنة فكان الإخبار بالمصدر (فتنة) للمبالغة، وما أكد هذه المبالغة الحصر الإضافي، فالمقصد من ذلك أنهما كانا يصرحان أن ليس في علمهما شيء من الخير.

والاستدلال على المتعلمين بالتركيب (من أحد) باعتباره من الألفاظ المستعملة للاستغراق في النفي العام، ومن زائدة لتأكيد استغراق الجنس، فزيدت هنا لتأكيد ذلك، بخلاف قولك: ما قام من رجل، فإنها زيدت لاستغراق الجنس، وَوُرُود حتى في قوله(حتى يقولا) للغاية، والمعنى انتفاء تعليمهما دون إعلامهما بأنهما فتنة[4]. وهذا يعني أن استغراق نفي الجنس ليشمل كل فرد يريد التعلم إذ (ما يعلمان من أحد) نفي لكل واحد وهذا أشمل وأقوى دلالة من ذكر الجمع.

1- ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 531/1.

2- ينظر: الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير: 643/1.

3- الزمخشري، الكشاف: 173/1.

4- البحر المحيط: 529/1.

فالجملة المنفية هي ذات النمط التالي:

ما + فعل مضارع + فاعل (ضمير متصل) + حرف جر زائد + مفعول به مجرور اقتضاءاً + حتى + جملة فعلية.

والجملة التوليدية الفعلية لـ "وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر" هي: يعلمُ الملكان كل واحد حتى يقولا نحن فتنة فلا تكفر.ثم تحولت بعناصر التحويل الزيادة والتعويض والحذف إلى: ما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر.

والذي نخلص إليه في ذلك أن التركيب القرآني يجعل للمعنى المتعدد هيئة يوضحها ويحدد حقيقتها، إذ استدل على من ينشر السحر بالمعلم مع اعتبار الملكين فتنة لأن معاني القرآن تشمل كل زمان وكل حال يحاكي ذات المقام المذكور فيه، واستدل على هذا التعلم بالكفر، إذ أن تعلم وتعليم السحر يجر إلى الكفر وهذا كله في سياق النفي، فالوارد بعد النفي من متعلقات الفعل الأصل فيه تعلقه بالفعل المنفي كما سبق وذكرنا، فتعليل انتفاء تعليمهما بقولهما أنهما فتنة فيه نصح خاص لمن أراد التعلم في زمنهما ونصح عام ومطلق في نبذ هذا التعلم.

- الجملة المنفية بـ (لم):

نحو قوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾ [البقرة: 247]، والمعنى «كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال»[1] أي «لم يؤت مالا واسعا، يجمع به نفوس الرجال ويغلب به أهل الأنَفَة»[2]، وهذا السياق المنفي: لم يؤت سعة من المال، يدل وينوه إلى الطباع التي كانت مركوزة في بني إسرائيل، ألا يقدم المفضول على الفاضل، واستحقار من كان غير موسع عليه، فلم يعتبروا أمر الله السبب الأقوى، بل انصرفوا إلى النسب والمال[3].

1- أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 240/1.

2- ابن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى 1418 هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت ، 490/1..

3- ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، 574/2.

ويُستدَل على احتقارهم لهذا المبعوث من تراكيب جملة النفي كونهم نفوا ملكه بالفعل المضارع المبني للمجهول لإطلاق المعاني تأكيدا على دوامها، وحتى نائب الفاعل حُذِف من قولهم تبيانا لتجاهلهم ورفضهم له كون نائب الفاعل يحل محل الفاعل.

ونفيهم لملك هذا المبعوث بـ (لم + الفعل المضارع المبني للمجهول) يدل على معرفتهم بحاله الماضي وأن لا دلالة في حاله على علامات الملك في رأيهم، قال ابن الأثير:« اعلم أن الفعل المستقبل إذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة، حتى كأن السامع يشاهده»[1]، وهذا ما توضحه وظيفة (لم) التي تجعل الفعل المضارع خالصا لحال الماضي، ولأن الفعل المستعمل مع (لم) قابل للتجدد كان نفيه بهذه الأداة اعتقادا منهم أن فقره متجدد وتملكه عليهم لا يُغنِيه «وإنَّما قالوا هذا لقصورهم في معرفة سياسة الأمم ونظام الملك فإنهم رأوا الملوك المجاورين لهم في بذخة وسعة، فظنوا ذلك من شروط الملك، وتناسوا العلم والقوة التي تحقق النصر، فبذلك يتوافر المال لأن المال تجلبه الرعية، وإن كان الملك فقيرا يزول فقره بحكمته»[2]، كما نلمس من قولهم إضافة إلى جهلهم بأمور السياسة، نوعا من الحسد والتكبر فالتعبير بالمضارع للدلالة على استمرار هذه الصفة فيهم.

ولأن (لم) آكد في النفي من (ما)، والفعل بعد (لم) مستغرق النفي بشكل قاطع، ولا يقبل التساهل لانتهاء زمنه لدرجة الشعور أن هذا التوكيد المطلق يتعدى الماضي ليغطي الحاضر والمستقبل، أما (ما) فيدل الفعل المضارع بعدها على حال من الاستقرار ولتأكيد النفي بها لابد من زيادة حرف الجر من[3]، كان النفي في هذا السياق بـ (لم) فلم يقولوا: ما يؤتى من سعة من المال، فهو بهذا قد يؤتى، وذلك يخالف فكرهم المحدود.

1- ابن الأثير، المثل السائر، تحق أحمد الحوفي بدوي بطانة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة، 145/2.

2- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 491/2.

3- ينظر:أحمد ماهر البقري، أساليب النفي في القرآن الكريم، ص: 112-113.

وتعبيرهم عن فقر هذا المبعوث إليهم بالتراكيب (سعة) و(من مال) له دلالاته، إذ مجيء سعة نكرة منونة للدلالة على افتقاره لأي مال واسع أيّاً كان نوعه إذ النكرة في سياق النفي تفيد العموم « والسعة تكون في الجسم والمال لتدل على الخير والامتداد في ذلك»[1].

أما المركب (من المال) فهو للدلالة على نوع السعة المشترط امتلاكها حيث لو قيل (لم يؤت سعة) وكفى لكان لذلك معاني عديدة للخير تندرج تحت غطاء السعة وقد ذكر بعضها في تمام الآية قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ﴾ [البقرة: 247]، فالبسطة في العلم والجسم تعتبر كذلك سعة في الخير، وتم ذكرها لتبيان الشروط الحقيقية التي يجب أن تتوفر في شخص الملك، فحرف الجر (من) تمثل دوره في إبراز جنس المال والتأكيد على نفي امتلاكه لأن (من) تدل على التبعيض إذ ليس له بعض مال واسع.

ومن خلال ذلك فإن نمط الجملة المنفية هو:

لم + فعل مضارع مبني لغير الفاعل + نائب فاعل محذوف + مفعول به + جار ومجرور.

والجملة التوليدية الفعلية لـ جملة لم يؤت سعة من المال هي:يؤتى هو سعة من المال.

ثم تحولت بعنصري التحويل الحذف والزيادة إلى: لم يؤت سعة من المال.

فالانتقال من العمق الدال على حقيقة الحال التي يُصَيِّرُ الله إليها مبعوثه ملِكًا إلى بني إسرائيل كونه اختاره لهم، إلى السطح المنفي من قبلهم، يكشف الطبيعة الركيكة لهذه الفئة من بني إسرائيل، فالوجوه المختلفة التي يتصرف فيها التركيب القرآني باختلاف المقامات يفضي بالمتلقي إلى استنباط المعاني بطبيعة التنبه والاستدراك وبدلالة العقل، لأن صَون بني إسرائيل لسانهم عن ذكر اسم طالوت احتقارا منهم، جعل من غير الممكن الاستغناء عن هذا الحذف لأن هذا الاحتقار بلغ حدا لم يستطيعوا مواراته فالمعنى هو الذي جعل الحذف ضرورة لا يمكن إلغاؤها لأن الجملة القرآنية تحاكي المعنى.

- الجملة المنفية بـ(لن):

نحو قوله تعالى:﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:53]، أي إن أنفقتم على أي حال فلَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ، وأخرج الكلام مخرج الأمر للمبالغة

1- ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 569/1.

في تساوي الأمرين في عدم القبول، كأنهم أمروا أن يجربوا فينفقوا في الحالين فينظروا هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول، ونفي التقبل يحتمل أن يكون بمعنى عدم الأخذ منهم، ويحتمل أن يكون بمعنى عدم الإثابة عليه، وكل من المعنيين واقع في الاستعمال، فقبول الناس له أخذه وقبول الله تعالى ثوابه عليه ويجوز الجمع بينهما، وقوله سبحانه: "إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ" تعليل لرد إنفاقهم، والمراد بالفسق العتو والتمرد[1].

ففي جملة "لن يُتقبل منكم" تيئيس للفاسقين من قَبُول الله عز وجل نفقاتهم تحقيرا لهم، وتأكيدا على أخذ الله لأعمال الناس بحسب نياتهم الخالصة لوجهه تعالى، ويُؤكِد هذا المعنى تضافر عدة أساليب، منها أسلوب الأمر "قل أنفقوا"، والتوكيد "إنكم كنتم قوما فاسقين"، وما يزيد هذا التوكيد جملة النفي "لن يُتقَبل منكم"، التي تحوي مؤكدين هما: (لن) الدالة على التوكيد والتأبيد، والفعل المبني للمجهول حيث تدل صيغته على إطلاق الأمر للأبد، لتتحطم آمال الكفار في نيل الجزاء والثواب، ولا شك في أن حذف نائب الفاعل يُسهِم في تمكين دلالة القطع بالحكم حيث دلت عليه جملة " أنفقوا طوعا أو كرها" أي ما أنفقتم،كما تُسهِم الحال المذكورة مباشرة "طوعا أو كرها" في توكيد رد صدقات الفاسقين ولو بذلوها. فنمط الجملة الفعلية هو: لن + فعل مضارع مبني للمجهول + نائب فاعل محذوف + جار ومجرور.

وقد تحولت من المعنى الباطن الذي يدل على الثواب الذي ينتظره الإنسان الفاسق عند بذله المال: يَتقَبلُ الله ما أنفق الفاسقون،ثم تحولت بالقاعدة التحويلية التعويض أي تعويض الفعل المضارع المبني للمعلوم بالفعل المضارع المبني للمجهول: يُتَقبل ما أنفق الفاسقون، ثم تحولت بالقاعدة التحويلية الحذف (حذف نائب الفاعل) وإحلال الجار والمجرور (منكم) بدل (من الفاسقين) لأن السياق موجه للمخاطبين:يُتقبل منكم، ثم تحولت بالقاعدة التحويلية الزيادة:"لن يُتقبل منكم"، التي تنقض أوهام من يبذل المال رياءا ولدفع الأذى عن نفسه لا يبتغي وجه الله بذلك فهذه الدلالة الظاهرة تُعتبر نفيا للدلالة الباطنة التي يُضمرها ويَعتقِدُها من لا يؤمن بالله عز

1- ينظر: شهاب الدين بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني،تحق:علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى: 1415هـ، دار الكتب العلمية- بيروت، 307/5.

وجل. وقد ورد النفي في هذه الجملة بـ (لن) و ليس (لا) لما تحمله لن من صفة التأكيد والتأبيد في نفي المستقبل.

ب– الجملة الفعلية التي فعلها ماضٍ:

– الجملة المنفية بـ (لا):

إن مجيء "لا" النافية مع الفعل الماضي غير متواتر بكثرة في القرآن الكريم كالفعل المضارع، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴾ [البلد: 11]، أي لم يشكر النعم السابقة التي منحها الله عز وجل له بالأعمال الصالحة من فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين ثم بالإيمان[1]، والعرب لا تكاد تفرد (لا) مع الفعل الماضي حتى تعيد، كقوله تعالى:﴿ فَلَاصَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾[القيامة: 31]، وإنما أفردها لدلالة آخر الكلام على معناه، فيكون قوله:﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البلد:17]، قائما مقام التكرير، فكأنه قال: فلا اقتحم العقبة ولا آمن، والكلام مَسُوق مساق التوبيخ على عدم الاهتداء للأعمال الصالحة مع قيام أسباب الاهتداء[2]. وللخطاب القرآني في هذا المقام اختيار فريد للفعل الماضي المنفي، فاقتحم على وزن افتعل وهو يفيد «التصرف باجتهاد ومبالغة وتعمل نحو اكتسب واكتتب».[3]

وبما أن العقبة تمثل الأعمال الصالحة، فعمل الصالحات اقتحام لها بما في ذلك من معاناة ومجاهدة النفس. وهذا يدل على أن تخير الفعل الماضي في جملة النفي: "فلا اقتحم العقبة " على صيغة (افتعل) بدل الفعل (قحم) أعطى دلالة إضافية تتفق والمغزى المشار إليه في الجملة، أي كثرة الاجتهاد في الخير. كما أن المعرفة تأتي بخلاف النكرة لذا جاء لفظ (العقبة) معرفا بالألف و اللام، وذلك لاستعارة خصائص الجنس فالعقبة «استعارة لهذا العمل الشاق على النفس من حيث هو بذل المال، تشبيه بعقبة الجبل وهو ما صعب منه، وكان صعودا فإنه يلحقه مشقة في

1 – ينظر: الزمخشري، الكشاف: 756/4.

2– ينظر: أبو حيان، البحر المحيط: 482/10.

3– ينظر: محي الدين عبد الحميد، دروس التصريف، 1416هـ/1995م المكتبة العصرية صيدا– بيروت، ص77.

سلوكها»[1]. ومن خصائص هذه العقبة كما ذكر في باقي الآيات هو تحرير العبيد والأسرى ببذل المال أو إطعام الطعام ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ [البلد:13،14].

وقد ذكرت هذه الخصائص دون غيرها لأن « إخراج المال في وقت القحط والضرورة أثقل على النفس وأوجب للأجر، وهو كقول الله تعالى: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [البقرة:177]، وقوله ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان:8]»[2]، والاستغراق في الجنس يطلق العنان لباقي الأعمال الصالحة، وحُذِف الفاعل من هذه الجملة للعلم أنه الإنسان الذي ينصرف عن فعل الخير. والجملة الفعلية المنفية هي ذات النمط التالي: لا + فعل ماض + فاعل محذوف + مفعول به. والجملة التوليدية الفعلية لـ (فلا اقتحم العقبة) هي: اقتحم هو العقبة.

ثم تحولت بعنصري التحويل الحذف والزيادة إلى: فلا اقتحم العقبة.

فهذا التحول للتراكيب من الجملة التوليدية المثبتة إلى الجملة التحويلية المنفية هو للتوبيخ على عدم بذل الأعمال الصالحة، للتنبيه والإشارة إليها وإلى ضرورة الاهتداء قبل فوات الأوان، ولذلك كان مستحيلا استبدال كلمة مكان كلمة في القرآن الكريم فما من مفردة لها أن تحل مكان العقبة في هذه الآية، وهذه الدقة القرآنية تتبدى لنا في مواضع وتخفى عنا في كثير وكيف لا والقرآن قد أعجز العرب وهم يومئذ على قدر من البلاغة والفصاحة.

- الجملة المنفية بـ (ما):

من النفي بـ(ما) قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ [الأنبياء: 08]؛ أي ما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الأكل والشرب بل محتاجا إلى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه، بيانا لكون الرسل عليهم السلام أسوة لسائر البشر.[3] فذلك بمثابة الإخبار عن أحكام الطبيعة البشرية«قال ثعلب والمبرد العرب إذا جاءت بين الكلام بجحدين كان الكلام إخبارا فمعناه إنما جعلناهم جسدا يأكلون الطعام»[4]. ونلمس من ذلك أن هذا الإخبار يدل على غباوة من يظن

1- البحر المحيط: 482/10.

2- التفسير الكبير:170/31.

3- ينظر: إرشاد العقل السليم، 7/6.

4- البرهان في علوم القرآن: 13/9.

غير ذلك، فهذا الإيضاح والتقرير يقصد منه التنبيه على أن من يعتقد أن الأنبياء لا يأكلون الطعام لا يفهم الحقيقة البشرية، فهو غبي لا يفهم إلا بالتصريح إذ أن من البداهة احتياج الأجساد البشرية للطعام.

فـ(لا يأكلون الطعام) تعتبر صفة لجسد، والمعنى : وما جعلنا الأنبياء عليهم السلام قبله ذوي جسد غير طاعمين، ووحد الجسد (الجسد لإرادة الجنس كله).[1]

وفي هذا السياق تهكم بالمشركين، فالجسد هو الجسم الذي لا روح فيه وهو يرادف الجثة ولأنهم لما قالوا :﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ [الفرقان :07]، لزمهم أن يكونوا قائلين بأن شأن الرسل أن يكونوا أجسادا بلا أرواح وأنهم في صور الآدميين لكنهم لا يأكلون الطعام، وأكل الطعام من لوازم الحياة وهذا يدل على أن شأن الرسل أن يكونوا أجسادا بلا أرواح وهذا حد كبير من السخافة[2]، والتعبير على الطبيعة التي خلق الله عزّ وجل عليها الأنبياء بالفعل (جعل) لأنه «لفظ عام في الأفعال كلها وهو أعم من فعل وصنع»[3] ، ففي ذلك تنبيه إلى أن الله هو خالق كل شيء، ومن بين الوجوه التي يتصرف عليها الفعل (جَعَلَ) أن يجري مجرى «إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه »[4] وهو معناه في قوله (جعلناهم)، بمعنى إيجاد أجساد البشر من الطعام كي تبقى علي قيد الحياة ، فذكر الفاعل (الله) عزّ وجل ضميراً متصلا للدلالة على أن الله هو أعلم بما أوجد، وللدلالة على أن فعل (جعلنا) يخص الله عزّ وجل وحده، فهو الذي جعلهم جسدا لا يأكلون الطعام ولذلك ورد المفعول به ضميراً متصلا بهذا الفعل، للتأكيد على الطبيعة التي خلق عليها الأنبياء.

فالجملة الفعلية المنفية هي ذات النمط الثاني:

ما + فعل ماض + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به (ضمير متصل)+ مفعول به ثاني + لا + جملة فعلية. والجملة التوليدية الفعلية لـ (ما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام) هي:

جعل الله الأنبياء جسداً يأكلون الطعام.

1- ينظر: الكشاف: 104/3.

2- ينظر: التحرير والتنوير: 19/17.

3- إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، الموسوعة القرآنية، الطبعة 1405هـ- مؤسسة سجل العرب، 105/8.

4- المرجع نفسه: 105/8.

ثم تحولت بعنصري التحويل الإحلال والزيادة إلى: ما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام.

من هذا التحويل الذي مفاده الإخبار نلمس الأحوال النفسية الملتبسة لفئة من البشر، والتي تعارض وتعاند، في حين هي على قدر من الغباء، فالخطاب القرآني يخاطب القلوب والعقول بكيفية تتلاءم مع كل مقام وترقى إلى الحد الذي يُخَاطب فيه الجاهل بمثل ما قال، ولكن تهكما واستهزاءا فأن ترد عليه مقولته بتركيب فني مختزل قمة البلاغة، وهذا دليل على أن التركيب القرآني يعكف على المعنى فيَعملُ التركيب على تأمل ظاهر وباطن الدلالات التي تحملها عناصره، لتتوهج بإماضات تكشف الاختلاجات الخفية في النفس الباطنة لتمنحها لمسة بلاغية، فأن يُخبَروا أن الأنبياء أجساد تأكل الطعام تهكم بتلك العقول والنفوس التي تحظى بمكانة بين الناس أو تلك التي تتوهم أنها عالمة.

– نفي الجملة الاسمية في القرآن الكريم:

– الجملة المنفية بـ(لا): ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ **فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[البقرة: 38]. في هذه الصياغة نفى الله عزّ وجل الخوف والحزن على من يتبع هداه، فقدم المبتدأ (خوف) على (الجار والمجرور) المتعلق بمحذوف خبر المبتدأ المقدر بـ(موجود)[1].

وذلك للاشتغال بفكرة الخوف والتركيز عليها من قبل الإنسان، فعند الرجوع لما قبل هذه الصيغة قوله تعالى: ﴿ **قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [البقرة:38]. يتجلى من خلال ذلك أن حكم الهبوط من الجنة هو حكم يعم الناس كلهم فالمراد بـ(اهبطوا) هو آدم وحواء وذريتهما ولأنهما أصل الإنس جعلا كأنهما الإنس كلهم. فكان التوحيد بعد الهبوط حاصلا شرط إتباع الرسل والكتب المنزلة، لذا جاءت جملة جواب الشرط (فمن تبع هداي) جوابا على الشك في تلك الرسل[2]. فكان مجيء المسند إليه (خوف) تاليا لأداة النفي لإفادة التأكيد على نفي الخوف على من يتبع هدى الله، فتعلق المسند (عليهم) بمحذوف خبر المسند إليه (خوف) للاشتغال بهذا الموقف أي الخوف، ولهذا والى أداة النفي لتأكيد اختصاصه بالنفي.

---

1 – ينظر: الجدول في إعراب القرآن،108/1.

2– ينظر: الكشاف، 1/ 128-129.

فصيغة (لا خوف) في هذه الآية هي نفي جنس الخوف عموما وهي بشارة ووعد لمن يتبع هدى الله وإنذار لمن لم يتبع[1]. وفي ذلك تحقيق لدلالة التأكيد التي يركز عليها المعنى فهذا التقديم للمسند إليه يلعب دورا فعالا في توكيد نسبة الخوف للخبر المحذوف والذي أسهم بغيابه في إبقاء الأولوية لهذا المقدم.

فتقديم المحدث عنه يقتضي تأكيد النبأ وتحقيقه، وذلك يستعمل في المواضع التي تحتاج إلى توكيد، كأن يجيء الكلام فيما سبق فيه إنكار منكر أو أن يجيء فيما اعترض فيه شك أو أن يعبر به عن الوعد والضما ن.[2]

أما باقي الآية والمتمثلة في (ولا هم يحزنون) فقد نفى الله عزّ وجل الحزن عمن يتبع هداه دون أن يخص نفيه عن سائر الخلق، وذلك لورود المسند إليه (هم) متقدما عن الخبر (جملة يحزنون)، ولو كان المسند (يحزنون) قد قدم على المسند إليه (هم) لأفاد ذلك نفي الحزن عموما ولكن الله سبحانه وتعالى اقتصر نفي الحزن على من آمن واتبع الهدى وخصه بذلك، يقول أبو حيان الأندلسي:« ولا هم يحزنون إشارة إلى اختصاصهم بانتفاء الحزن، وأن غيرهم يحزن ولو لم يشر إلى هذا المعنى لكان: ولا يحزنون كافيا».[3]

إن لتقديم المسند إليه أثر واضح في السياق يجعل الذهن المتلقي ينشغل بالتفكير في المسند إليه (هم) والحضور الواضح له إذ هو من اختُصَ بالنفي، في حين يعتبر فاعلا معنويا للفعل (يحزنون) الذي رسخ هذه الناحية البلاغية بتأخره عن المسند إليه وانشغاله به.

وقد ورد في القرآن الكريم كثير من الصور والأشكال المنفية للجملة الاسمية بـ (لا) بهذا الشكل دون أن تكون الإفادة منها التخصيص كقوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[الأنبياء: 39-40]، فالصيغة المنفية التي قدم فيها المسند إليه في هذه الآية قوله (ولا هم ينظرون) على سبيل (ولا هو يحزنون).

1- ينظر: التحرير والتنوير، 1/ 444.

2 - ينظر: دلائل الإعجاز، 133/1.

3 - البحر المحيط: 323/1.

وذهب صاحب كتاب "دلالات التراكيب" إلى أنّ قولهم (ولا هم ينظرون) «لا وجه للاختصاص فيه لأن الساعة حين تأتي لا تمهل أحدا فليسوا وحدهم المختصين بعدم الانظار أي الإمهال والذي يأتي بغتة ولا يستطاع رده هو الموت، وقالوا هو العذاب، الذي استعجلوا به وكل ذلك لا وجه للقصر فيه، والتقديم فيه للتقوية وتأكيد أنهم في هذه اللحظات لا يمهلون كما أمهلوا في الدنيا حين استعجلوا بعذاب وقالوا متى هذا الوعد»[1]، فمن ذلك نفهم أن المراد من تقديم المسند إليه (هم) في هذه الآية هو تأكيد نفي الإمهال من الله عز وجل للكافرين لا قصر نفي النظر إليهم، فهذا التأكيد هو للتهويل ولشدته على الكافرين، لأن النفي في الحقيقة يفيد العموم والشمول، فالحكم يقوم على سواهم لكنه عليهم أشد ولهذا كانت فائدة التقديم للتأكيد.

ونجد عبد القاهر الجرجاني يرى بأن تقديم المسند إليه واليا لحرف النفي من شأنه أن يفيد إثبات ووجود الفعل بحسب مقتضيات السياق، فالقول: ما أنا قلت هذا الشعر ولا قاله أحد من الناس، يفيد أن الفعل ثابت وموجود، فهذا القول غير صحيح لأن نفي قول هذا الشعر و نفي أن يكون أحد من الناس قاله ، يفيد إثبات فعل بغير فاعل وهذا محال[2].

لذا فصيغة (ولا هم ينظرون) تدل على أن موالاة المسند إليه لأداة النفي تفيد أن الفعل ثابت وموجود مع العلم أن نفي النظر لا يقتصر على الكفار وحدهم فالإفادة بهذا التقديم ليست الاختصاص، ولو كان كذلك لأفاد قصر النظر عليهم إثبات الفعل لغيرهم أي أن هنالك من يمهلون ولكن الموت حين يحضر لا يُؤَخر ولا يُمهِل فالفعل غير ثابت لغيرهم «ولا هم ينظرون أي لا يمهلون لتوبة ومعذرة، واعلم أن الله تعالى إنما لم يعلم المكلفين وقت الموت والقيام لما فيه من المصلحة لأن المرء مع كتمان ذلك أشد حذرا وأقرب إلى التلاقي»[3].

و نمط الآية: فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون هو: لا + مبتدأ + خبر (جار ومجرور) + عاطف + لا + مبتدأ + خبر (جملة فعلية).

والجملة التوليدية الاسمية لـ :لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هي:خوف موجود عليهم وهم يحزنون، ثم تحولت بعنصر الحذف والزيادة إلى: فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

1- محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، الطبعة الرابعة 1429هـ/2008م، مكتبة وهبة، ص:185.

2- ينظر: دلائل الإعجاز، 125/1.

3- مفاتيح الغيب: 22/ 146.

فتركيب جملة النفي هو تركيب محول من جملة توليدية نواة لتتحول عن طريق القاعدتين التحويليتين (الحذف والزيادة) إلى الجملة التحويلية، وهذا التحويل كائن في المعنى لأن الخوف حالة مثبتة موجودة في غريزة الإنسان فهو دائم الحرص مترقب لما ينتظره في المستقبل، فنُفي عنه بإتباع الهدى بشارة وترغيبا في الإتباع، لأن البنية العميقة المتمثلة في الخوف القائم والمتربص بالإنسان عامة تشترك في أصل المعنى الذي حملته البنية المحولة وهو نفي الخوف عن المتبعين، ما يعني أن مسألة الخوف قائمة لولا تحقيق هذا الشرط، أي الإتباع؛ ولولا تبيان الله عز وجل الهدى لبني آدم. كما أن التحويل الحاصل في الجملة المتممة لهذا المعنى (ولا هم يحزنون) تجسد الحالة التي تنتاب الإنسان بعد الخوف؛ وهي الحزن، فقدم المسند إليه هم للتأكيد على اختصاص متبعي الهدى بنفي الخوف عنهم ولاحقه الحزن.

فالأسلوب القرآني يضع الألفاظ وضعا دقيقا، لهذا وردت لفظة (خوف) بدل الفعل (يخافون) وقد ورد الفعل بعدها (يحزنون) وفي السياق نفسه، لأن دلالة الاسم على الثبوت، ويدل الفعل على الحدوث والتجدد، ومن ذلك كان الخوف صفة ثابتة في الإنسان، و إنما يصرف بهدى من الله، أما الحزن فقد دل عليه بالفعل (يحزنون) للدلالة على تجدد حدوث الحزن، الذي قد يصيب الإنسان في ظرف ما، ولذلك نفاه الله عن المهتدين بالفعل المضارع للدلالة على نفي دائم له « المراد بيان دوام انتفائها لا بيان انتفاء دوامها كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام»[1].

ولهذا كان تقديم الخوف على الحزن في هذه الآية؛ لأن نفي الخوف أسبق وأولى لنفس الإنسان من نفي الحزن حيث «قدم عدم الخوف على عدم الحزن، لأن انتفاء الخوف فيما هو آت آكد من انتفاء الحزن»[2]. وحُذِف خبر المبتدأ المقدر بـ(موجود) حيث جيء بالجار والمجرور للدلالة عليه، لتبقى المسافة الدلالية بين (الخوف) و(عليهم) دون حاجز، وسريعة التأثير في السامع، فالحذف عند الاستيفاء أبلغ من الذكر.

1- أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 93/1.

2- ينظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير ، 274/1.

أما الاستدلال على من يتبع الهدى بالجار والمجرور (عليهم) لأن حرف الجر (على) مختص بالفوقية، فيؤتى به للرفع من منزلة المستدل عليه به، ولهذا خص به الأنبياء في القرآن الكريم، فالكتب السماوية منزلة عليهم دون غيرهم.[1]

وكثير من الأغراض البلاغية للنفي أبرزها القرآن الكريم بشكل أبهر البلاغيين والمفسرين في الآية الكريمة: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ [الصافات: 47].

في جملة (لا فيها غول) نفى الله عز وجل عن خمور الجنة اغتيال العقول كما تغتالها خمور الدنيا وفيه تفضيل لها، فنفى الله عزّ وجل الفساد عن خمر الجنّة لأن الغَول يعني الهلاك والفساد[2]. ولما كان تقديم الظرف يفيد التفضيل والاختصاص المنفي عنه، قدم الجار والمجرور المتعلق بالخبر المقدم (فيها) ليفيد تفضيله واختصاص نفي الفساد عنه، لأن تأخير الظرف يقتضي النفي أصلا من غير تفضيل كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: 02]، فؤُخر الجار والمجرور (فيه)، لأن القصد من موالاة الريب لأداة النفي هو نفي الريب عنه وإثبات أنه حق وصدق[3].

وهذا يعني أن النفي حين يدخل على المسند الجار والمجرور المقدم يدل على اختصاص النفي بهذا المقدم. والسِّر البلاغي في تقديم الجار والمجرور (فيها) هو التعريض بخمور الدنيا، فمعناه أنها على الخصوص لا تغتال العقول اغتيال خمور الدنيا، وأن خمور الدنيا فاسدة فيها غَول، ولهذا امتنع تقديم الظرف على الاسم في قوله (لا ريب فيه) لأن تقديم الجار والمجرور في هذه الحال يفيد التعريض في الكتب السماوية الأخرى، وهذا ليس غرض القرآن الكريم وإنما قدم الاسم (ريب) ليختص بنفي الريب عن القرآن الكريم.[4]

وفي الجملة الثانية من الآية " ولا هم عنها ينزفون" ، نفى الله عزّ وجل في هذا السياق عن خمر الجنة أي نوع من أنواع الفساد التي يحدثها خمر الدنيا كالمغص أو الصداع أو خمار أو عربدة،

1-ينظر: الكرماني، أسرار التكرار في القرآن، تحق عبد القادر أحمد عطا، تعليق أحمد عبد التواب عوض،دار الفضيلة،79/1.

2- ينظر: الزمخشري، الكشاف، 43/34/1.

3- ينظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 179/2.

4- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: 235/1.

فينزفون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف بمعنى يسكرون[1]، وكان تقديم الغول لأنه معظم مفاسد الخمر وجنسها الرئيسي أي التهلكة، على جملة (ينزفون) لأنها فرع من الفساد.[2]

في تركيب جملة النفي هذه نفى الله عز وجل السكر عن شاربي خمر الجنة بالفعل المبني للمجهول (يُنزفون) بدل ذكره اسماً، فأصله الغَول وقد ذكر اسما قبله وفي نفس السياق، وذاك لأن ذكر الفعل بدل الاسم راجع إلى الإفادة المقصودة من تقديم المسند إليه على المسند فهذا الفعل جعل التقديم يفيد تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي أي اختصاص خمر الجنة بانعدام النزيف.

وبناء الفعل للمجهول وفي هذا الصدد، نلمس من خلاله تلك العلاقة الوثيقة القائمة بين نائب الفاعل المذكور في الآية وبين الذات الفاعلة المبتغى بلوغها والتعظيم من شأنها عند الله فكان من ذلك تقديم المسند إليه، ويبقى التماسك بين التراكيب في القرآن الكريم من مميزاته الضخمة فكل مفردة إلا ولها معناها الواسع في السياق فلا يمكن الاستغناء عن أي حرف في جمله وإلا اختل المعنى ومن ذلك الجار والمجرور (عنها) إذ لا يتم المعنى بحذفه.

«فمعنى (عنها) مجاوزين لها، أي لا يقع لهم صداع ناشئ عنها فجيء بلكن السببية للدلالة على أنه لا يعتريهم نزف بسببها كما يحصل للشاربين في الدنيا».[3]

لنلمس من ذلك نفيا لجنس الغَول من أصله عن خمر الجنة أولا، ثم نفي أي شكل من أشكال الفساد عنه ثانيا، ونفي أي شكل من أشكال الفساد كان بنفي أي سبب يمكن أن تحمله خمر الآخرة ليؤدي إلى أحد هذه الأشكال المفسدة، فهو نفي بأدق التفاصيل التي يمكن أن تعتري العقل البشري جرى بنفي الأصل والفرع والمسبب الجامع بينهما.

وهذا التماسك الذي نستشفه في هذا الوصف القرآني لخمر الجنة الناجم عن التماسك بين تراكيب الآية،أكده حرف العطف (الواو) الذي جمع بين هذه التراكيب المنفية لأن جملة (ولا هم ينزفون) معطوفة على جملة (لا فيها غول). فالجملتين صارتا في سياق واحد مترابط مؤكد

1- ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 333/26.

2- ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 191/7.

3- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير:294/27.

بواسطة حرف العطف، ولحرف العطف أهمية وتأثير يحدثه في حال النفي« إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها التأكيد المعنى»[1]. فنمط الآية: لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون هو:

لا + خبر مقدم +مبتدأ + عاطف +لا + مبتدأ + جار ومجرور +خبر (جملة فعلية).

والجملة التوليدية الاسمية "لا فيها غول، ولا هم عنها ينزفون":

هي: غول في خمر الجنة، يُنزف المؤمنون عن خمر الجنة.

ثم تحولت بعناصر التحويل الزيادة والترتيب والتعويض إلى:لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون.

فتحولت الآية من الدلالة على الإخبار عن خمر الجنة ووصفها المثبت إلى الدلالة على الإخبار المنفي، عن طريق القواعد التحويلية ، فهذه التآليف التركيبية للآية تحمل في جوهرها دلالات ومعاني تطل من أول التركيب وهذا ما ولده السر البلاغي عند تقديم الخبر ليتبادر إلى الذهن ما يقدح في كون حال هذه الخمر هو التفضيل، فالنفي متجه نحوها من بدايه السياق ليذكر بعد ذلك الوصف الذي جر التعريض لخمر الدنيا. وانتظام العلاقة المعنوية بين عناصر التركيب (لا فيها غول) والتركيب (ولا هم عنها ينزفون) كونها علاقة كل من جزء باعتبار الغول أصل النزيف بالمعنى، أنتج الدلالة العامة للآية وهي نفي الفساد وأي نوع منه، وعليه فإن حكم البنية التركيبية للجملة القرآنية هو الذي يجعل للعناصر مواضعها المحددة.

- الجملة المنفية بـ (ما):

﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود:191].

في هذا السياق نفى قوم شعيب عليه السلام أن يكون عزيزا عليهم « أي لا تعز علينا ولا تكرم، حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم، وإنما يعز علينا رهطك، لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا، وقد دل إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل»[2]، بذلك يتضح أنَّ نفي العزة عن شعيب من قبل قومه مختص به فقط فقد تم إثباتها لرهطه وهذا الاختصاص الذي بيَّنه الزمخشري هو في الحقيقة مستمد من دلالة السياق العامة«

1- الكشاف: 608/3.

2- المصدر نفسه: 2 /424.

كأنه قيل: وما أنت علينا بعزيز، بل رهطك هم الأعزة علينا، ولذلك قال في جوابهم (أرهطي أعز عليكم من الله) ولو قيل: ما عززت علينا، لم يصح هذا الجواب»[1].

وإفادة الاختصاص التي كشف عنها الزمخشري في هذا السياق عارضه عليها القزويني فهو يرى أن إيلاء حرف النفي للضمير إذا لم يكن الخبر فعليا ليس بالضرورة يفيد الحصر، فإن قيل: الكلام واقع فيه، وأنهم الأعزة عليهم دونه فكيف صح قوله" أرهطي أعز عليكم من الله".[2]

لكن القزويني ورغم معارضته للزمخشري إلا أنه خلص إلى جودة التحليلات الدلالية للسياق التي يجود بها الزمخشري فقد انتهى إلى المعنى الخاص بقوله أرهطي أعز عليكم من الله في مقارنته للمعنى الذي ذهب إليه السكاكي والمعنى الذي ذهب إليه الزمخشري يقول «قال السكاكي معناه "من نبي الله" فهو على حذف المضاف، وأجود منه ما قاله الزمخشري: وهو أن تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله، فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى إلى قوله: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: 81]».

ويرى الطاهر بن عاشور« أن تقديم المسند إليه على المسند المشتق لا يفيد بذاته التخصيص، وقد يستفاء من بعض مواقعه معنى التخصيص بالقرائن، وليس في قوله تعالى:﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:167] ما يفيد التخصيص ولا يدعو إليه».[3]

ولكن في قوله وما أنت علينا بعزيز كان الخبر المحذوف بعد لولا يقدر بما يدل على معنى الكرامة بقرينة قولهم : ما أنت علينا بعزيز، وقوله: أرهطي أعز عليكم من الله، فنفيهم أن يكون عزيزا وإنما عزة الرجل بجماعة تعين أن وجود المانع من رجمه وجود خاص (التكريم والتقديم).[4]

وهذا التحليل للسياق عن طريق القرائن من قبل الطاهر بن عاشور يدل على التنبه لوحدة السياق لبلوغ الدلالة في النص القرآني فالاختصاص الذي دل عليه الزمخشري لا يختلف مع الاختصاص المستفاد من القرائن . واستدلال الطاهر بن عاشور بقوله تعالى : "وما هم بخارجين

1- المصدر نفسه: 424/2.

2- ينظر: القزويني، الإيضاح، 70/2.

3- التحرير والتنوير: 101/2.

4- ينظر: المصدر نفسه، 149/12.

من النار" راجع إلى كون الإفادة الحاصلة في تقديم المسند إليه على المسند في هذه الآية هي التأكيد على الحكم والتقوية لا إفادة الاختصاص إذ لا توجد قرينة سياقية تبين ذلك.

من هذه التحليلات يتبن لنا أن تقديم المسند إليه والخبر فعلي يفيد الاختصاص، ويفيد التوكيد إذا كان الخبر مشتقاً، أو التخصيص بدلالة القرائن السياقية لذلك كان قوله (ما أنت علينا بعزيز) لا ما عززت علينا و« قد قرن الخبر بالباء الزائدة لتحقيق النفي فحصل في الكلام تقويتان وجيء بالحال قبل الخبر، أو بالجملة المعترضة بين المبتدأ والخبر لتعجيل المسرة وإظهار أن الله أنعم عليه بالبراءة من هذين الوصفين»[1]، فنمط الجملة هو: ما + مبتدأ + جار ومجرور + عنصر تأكيد جار + خبر مجرور اقتضاءً بالباء.

وعليه يتضح أن الجملة التوليدية الاسمية لـ(ما أنت علينا بعزيز) هي: أنت عزيز علينا.

ثم تحولت بعنصري التحويل الترتيب والزيادة إلى: ما أنت علينا بعزيز.

وهذا يُبرِز الأسلوب القرآني الراقي في طرح الدلالات عن طريق التنسيق المنظم بين التراكيب، فحتى عند حذف حرف الجر الزائدة فقط نلمس الفرق في الأسلوب والمعنى إذ لو قال: (ما أنت علينا بعزيز) لكان البعد التأكيدي للنفي أخف، ولو قدم وقال (ما أنت بعزيز علينا) لكان فيه تباطؤ في التماس المسرة وإظهار البراءة، ولكن قُدِم الجار والمجرور (علينا) على الخبر المنفي لتبيان أن هوان شعيب عليه السلام إنما هو هوان على قومه فقط لا على الله ولا على المؤمنين.

- الجملة المنفية بـ (إن):

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف:31]. ورد النفي في هذه الآية بـ (إن) في قوله تعالى :" إن هذا إلا ملك كريم" حيث نفت النسوة السوء عن سيرة يوسف عليه السلام، فشُبِه بالمَلَك الكريم والمَلَك كريم بسيرته لا بصورته فقط، فنفيت دواعي البشر من الشهوة والحرص عنه ويوسف عليه السلام أثبت ضد ذلك أي حالة المَلَك وهي غض البصر وقمع النفس عن الميل إلى المحرمات، فدل التركيب المنفي في هذه الآية على اختصاص الملائكة بدرجة فائقة على درجة البشر[2].

1- التحرير والتنوير:57/27.

2- ينظر: مفاتيح الغيب، 436/2.

والغاية البلاغية من هذا النفي تتمثل في التبيين والتأكيد، فاحتمال التبيين لأنه يمتنع أن يخرج من جنس البشر ولا يدخل في جنس آخر، لأن إثبات الملَكية له تعتبر تبيينًا لجنسه وتعيينًا له، وأما التأكيد لأنه إن لم يكن ملَكا لم يكن بشراً، فإذا قيل في العرف لإنسان : ما هذا بشراً،كان تعظيما له وتعجُباً مما يشاهد من حسن الخلق، فالغرض أنه ملَك بطريقة الكناية[1].

فمن ذلك نفهم أن توجيه النفي هو نحو جنس البشرية ليوسف عليه السلام وإثبات صفات الملَك له، فالقول "إن هذا إلا ملَك كريم" الأصل فيه هو: هذا ملك كريم «نحو إن هو إلا رجل الأصل هو رجل»[2].فكان التأكيد على سمو أخلاقه وتبيانها، وإثبات اختصاص الملَك بالرفعة حتى شبه به يوسف الصديق، وقُدِم الاسم الموصول (هذا) للاهتمام به والتأكيد على أنه المقصود بالنفي تعظيما له وذكر التركيب (ملك كريم) بعده ليمثل الجنس العام الذي يختص بنفي السوء عنه، فذكرت (إن) مع (إلا) للدلالة على أن أخلاق يوسف عليه السلام لا توصف إلا بأخلاق الملائكة، فالتركيب النحوي للجملة انعكس بوضوح على معناها.

والجملة التوليدية الاسمية لـ (إن هذا إلا ملك كريم) هي : ملك كريم يوسف.

ثم تحولت بعناصر التحويل الترتيب والإحلال والزيادة إلى: إن هذا إلا ملك كريم.

لِيُلاحظ من ذلك أن السمة الخاصة بمركب النفي (إن) هي العمل على التأكيد فـ« النفي بها أوكد من النفي بما ودليل ذلك قوله تعالى:" ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم"، فقد ورد فيها نفيان الأول بـ (ما) والثاني بـ(إن) لتوكيد صورة الملك الكريم ليوسف»[3].

- الجملة المنسوخة النافية:

الأداة المتمحضة لهذا النوع من النفي هي (ليس)، وقد وردت في القرآن الكريم في عدة سياقات نحو قوله تعالى:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة:177]. البِرُ

1- ينظر: عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، طبعة 17، 1426هـ/2005م، ص:2-292.

2- محسن علي عطية، الأساليب النحوية ، الطبعة الأولى1428 هـ/2007م، دار المناهج:عمان، ص200.

3- المرجع نفسه: ص200.

كل فعل مرضٍ، فنفى الله عزّ وجل أن يكون البر إتباع القبلة فحسب، لكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب و النبيين وما بيّنه الله واتّبعه المؤمنون.[1]

«وهذا أشبه بالظاهر إذ لا تخصيص فيه ،كأنه تعالى قال: ليس البر المطلوب هو أمر القبلة، بل البر المطلوب هذه الخصال التي عدها ».[2]هذه الدلالات ناجمة عن الدلالات اللغوية للتركيب التي أسهم في بلوغها السياق العام للجملة، فالمعنى نابع من إيحاء القصد الدلالي للاسم (البر).

والفرق بين رفع أو نصب (البر)، أن الرفع (البرُّ) هو نفي لجنس البر عن هذا الفعل ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ [البقرة:189]، والقرينة لنفي الجنس هي قوله:﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ [البقرة:189] ولم يقل في حالة النصب (واستقبلوا أي جهة شئتم) والمقصود في كلا الحالتين إظهار البر العظيم.[3]

يمكن أن نخلُص من هذا إلى أن مجيء لفظة (البر) في هذه الآية معرفة لا نكرة إذ لم يقل (ليس براً أو ليس برٌّ) راجع للدلالة المعنى الخاصة بها في السياق، ففي كلتا الحالتين نصباً أو رفعاً هي تدل على حال البر العظيم، أي الإيمان بالله لا أي بر يختص بالأفعال الظاهرة كاستقبال القبلة، فاستقبال القبلة هو بر جزئي من البر الكلي، وتغير حركة (البر) من الضمة إلى الفتحة يقتضيه سياق القول ما يعني اقتضاء دلالة النفي هي التي أثرت في الحركة، لأن ضمها أو نصبها لا يغير من المعنى في التركيب المنفي وإنما يكون بحسب مقتضيات النفي.

كما أن نفي البر عن تولية الوجوه قبل المشرق والمغرب يدل على أن نفي البر لا للاختصاص إذ هو جزء من البر وإنما للتأكيد على ضرورة الإيمان بالله والأخذ بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنفي البر عن تولية الوجوه يعني أن النفي منصب على تولية الوجوه لا البر في حد ذاته، لكن تقديم نفي البر على الفعل كان للاهتمام بمسألة ظنون الناس في حقيقة البر والتأكيد على نفي هذا الاعتقاد.

1- ينظر: عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،تحق: محمد عبد الرحمن المرعشلي 1 الطبعة الأولى-1418هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 121/1.

2- مفاتيح الغيب: 211/5.

3- ينظر: التحرير والتنوير، 197/2.

ونمط هذه الجملة الاسمية هو: ليس + اسم ليس + خبر (جملة مصدرية)،و الجملة التوليدية لجملة (ليس البرَّ أن تولوا وجوهم قبل المشرق والمغرب) هي:البرُّ أن تولوا وجوهم قبل المشرق والمغرب.
ثم تحولت بعنصري التحويل الزيادة وتغيير الحركة الإعرابية إلى:
ليس البرَّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب.
«والجملة التوليدية في مرحلة من مراحل التحويل قد نفي فيها الفعل فكانت:
البرُّ ليس أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب. وقدم عنصر النفي (بالترتيب) للاهتمام وتوكيد النفي، لأن العرب إذا عنيت بشيء قدمته».[1]

لقد جاء التصرف القرآني بالسياق وفق نظرة شاملة، إذ يتضح هذا الاتساع الشمولي من خلال الانتقال بمعنى البر في الجملة التوليدية من الخاص (تولية الوجوه قبل المشرق والمغرب) إلى العام وهو الإيمان بالله وعمل الصالحات، فتَحَرُّك عناصر التركيب لتنتقل من نفي الفعل إلى نفي الاسم هو تحرك منظم يخدم المقاصد البلاغية التي هدف السياق لإخراجها، فالنظم القرآني حطم النظرة المعيارية للدراسات بمختلف أشكالها، لأن بواباته العلمية هي على الدوام مرحلة من مراحل التجديد التي تُطَوِع العلوم لخدمتها.

- النفي بـ (لات):

وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ [ص:03]. أي «نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة، والحال أن ليس الحين حين مناص أو فوت ونجاة من ناصه أي فاته لا من ناص بمعنى تأخر»[2]، ففي هذا السياق نفى الله عزّ وجل أن يكون وقت معاينة العذاب في النار والمناداة بالاستغاثة وقت فرار من ذلك العذاب وهو كقوله :﴿ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [غافر:84][3].
فهي ذات النمط التالي:
لات + مبتدأ محذوف + خبر (حين مناص).

1- التكوينات النحوية: ص232.
2- أبي السعود، إرشاد العقل السليم،214/7.
3- ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، 366/26.

وهذا النفي المتعلق بالحال، هو نفي مستفاد من دلالة التركيب، فـ(حين) أي الحين وقت بلوغ الشيء وحصوله وهو مبهم المعنى ويتخصص بالمضاف إليه (حين مناص)، فحين يأتي على أوجه: للأجل: ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس:98]، وللسنة نحو قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾[إبراهيم:25]، وللساعة نحو: ﴿حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[الروم:17]، وللزمان المطلق نحو: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان:1]، وإنما فسر ذلك بحسب ما وجد قد علق به[1]، فجاء النفي بـ (لات) تنبيها على الساعة أو المدة كأنه قيل ليست الساعة أو المدة حين مناص[2]،

ومن ذلك كان ورود النفي بـ (لات) في هذا السياق بدل (ليس) رغم تقارب المعنى بينهما، لأن القول "ولات حين مناص" تعني لم يعد الوقت وقت فرار، فقد انتهى الأمر تماما، ولو قيل: ليس حين مناص، فالمعنى أن هذا الوقت ليس وقت فرار، وربما يأتي وقت الفرار أولا يأتي مطلقا فهي نفي في الحال، ولهذا المعنى خصصت (لات) كيف تفي الزمن فقط، أما ليس فتفي الزمن وغيره، تحمل معنى تركيبي يحس من خلاله بالحسرة والتمني.[3]

وباعتبار (لات) وحدة لغوية واحدة ليست مركبة، فإن الجملة التوليدية الاسمية لـ(ولات حين مناص) هي: الحين حين مناص، ثم تحولت بعنصري التحويل الحذف والزيادة إلى: ولات حين مناص. فالجملة التوليدية تحولت من العمق إلى السطح بواسطة الصيغ اللغوية: (لات) و (حين مناص) التي حولت التركيب من معناه المثبت إلى المعنى المنفي بواسطة قاعدتي التحويل الزيادة والحذف.

إن تخيرّ القرآن الكريم للتراكيب في الجمل المنفية بديع المظهر بعيد الغاية، يلوح في الأفق بأبلغ المعاني المقصودة، إذ تخير في نفي زمن الفرار (لات) بدل (ليس) أو (لا) فهي تختص بنفي الأزمان دلالة على نفي منح فرصة لهؤلاء المعذبين في النار، وأن وقت الفرار من هذا العذاب ليس هو هذا الوقت؛ بل هو الوقت الذي أُمهِلوا فيه في الدنيا ساعات طوال من عمرهم في الحياة

1- ينظر: الموسوعة القرآنية، 156/8.

2- ينظر: المرجع نفسه، 515/8.

3- ينظر: البقري، أساليب النفي في القرآن، 100.

الدنيا، وقد قُرنت (لات) بالواو (ولات) دلالة على الحال، لتدل عليه دون إطناب فالواو واو الحال، فهم نادوا في حال لا حين مناص لهم .

وحَذْفُ الاسم (الحين) في هذه الآية له أبعاده الدلالية، فقد كان لتأكيد حالة التحسر والندم دون جدوى في هذا الوقت، فالخبر أولى بإبراز هذه الأحوال والتخبير عن هيئتها ويوقِعُ في السمع دلائل نفسية، فذكره دون المبتدأ في هذا السياق نلمسُ من خلاله تهويلا وتحذيرا لمن معه سَعة من الوقت لعله يستغلها أي (ولات حين مناص) تدل على أن «لا فرج لما أصابهم، فليحذر هؤلاء أن يدوموا على عزمهم وشقاقهم، فيصبهم ما أصابهم»[1].

ومن خلال تحليلات المفسرين يتضح لنا أن الجملة القرآنية تعمد في الاستغناء عن أحد العناصر التركيبية بانتقاء العنصر الذي يحقق الاكتفاء الدلالي للسياق، إذ اكتفى بذكر الخبر الذي يحقق معنى الوصف، وفي هذا تنبيه لذهن المتلقي ومنحه دائرة موسعة من التفكير الحر الذي يوقظ وعيه ويجدد تفكيره، فهذا التغييب للمبتدأ فيه استحضار للمتلقي وتحقيق للاستجابة من قبله.

- الجملة المنسوخة ذات الصبغة الإثباتية:

من الأدوات المتعينة للإثبات "ما كاد" وقد وردت في قوله تعالى : ﴿ **فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ** ﴾[البقرة:71]. فجملة النفي الاثباتي (وما كادوا يفعلون) تحمل دلالة استثقال لاستقصائهم واستبطائهم، وأنهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحون البقرة التي أمرهم الله بذبحها على لسان رسولهم، فما كادت تنتهي سؤالا تهم، وما كاد ينقطع خيط إسهابهم فيها وتعمقهم.[2]

ومعنى الجملة باحتماله الحال، أي ذبحوها في حال تقرب من حال من لا يفعل، يشير إلى أنهم ذبحوها مكرهين أو كالمكرهين لِما أظهروا من المماطلة، وهذا يكون وقت الذبح ووقت الاتصاف بمقاربة انتفائه وقتا متحدا بحسب المقامات الخطابية، أما احتمال الاستئناف من الجملة

1- أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ، الطبعة الأولى: 1420هـ/200م . مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 709/1.

2- ينظر: الكشاف، 152/1.

فيدل على اختلاف الزمنين ، أي فذبحوها عند إتمام الصفات، وكان شأنهم قبل ذلك شأن من لم يقارب أن يفعل.[1]

فمعنى الجملة المنفية في هذا المقام أيا كان احتماله الحال أو الاستئناف، يدل على أخذ بني إسرائيل لأمر رسول الله بإكراه وتسويف، فالتركيب النحوي للجملة أسهم في بلوغ المقصد البلاغي منها إذ الحال أو الاستئناف كلا الحالتين دل على المماطلة والعمل المكره والقيام بالفعل بعد أن أوشكوا على عدم القيام به.

ومن فخامة البلاغة القرآنية أن جاء النفي بقوله (ما كادوا) لاستحضار التعنت وقيامهم بالأمر بعد جهد كبير «فإن الذي يقتضيه اللفظ إذا قيل: لم يكد يفعل وما كاد يفعل ، أن يكون المراد أنّ الفعل لم يكن من أصله ، ولا قارب أن يكون، ولا ظُنّ أنّه يكون. وكيف بالشك في ذلك؟ وقد علمنا أنَّ كاد موضوع لأن يدلّ على شدة قُرب الفعل من الوقوع، على أنه قد شارف الوجود، وإذا كان كذلك ، كان محالا أن يوجب نفيه وجود الفعل، لأنه يؤدي إلى أن يوجب نفي مقاربة فعل الوجود وجوده، وأن يكون قولك : ما قارب أن يفعل مقتضيا على البت أنه قد فعل»[2].

ومن ذلك يظهر الأسلوب القرآني الفخم ، إذ نفى مقاربة ذبحهم للبقرة بالفعل كاد مع أنه قد جزم قيامهم بالفعل في قوله: فذبحوها، وذلك يطلق العنان للتفكير في طريقة التزامهم أخد الفعل المأمورين به مع ملازمة الظاهر أي القيام بفعل الذبح، ولكن بعد مقاربة ألا يكون بشدة فذلك يدفع السامع إلى الشعور بأن القيام بالفعل قارب ألا يكون ، فيشعر أن القيام بالذبح من قبلهم كأنه لم يكن، وهذا الشعور مآله إلى قيامهم بالأمر مكرهين، ومن يقوم بالفعل المأمور عليه من الله عز وجل مكرها مُسَوِفاً في نفسه حرج ، الأحرى ألا يُحمد على ذلك. وقوله (يفعلون) بصيغة المضارع يجعل السامع يستحضر الحال التي كانوا يماطلون فيها ويجددها، فالخطاب القرآني لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، بل يوف كل موقف مستحقاته، فذِكر عدم مقاربتهم للقيام بالفعل يكشف إعراضهم ويجعل المستمع يحس ويشعر بمضايقتهم لرسول الله (موسى عليه الصلاة

1- ينظر: التحرير والتنوير، 557/1.

2- دلائل الإعجاز: 276/1.

والسلام) فما كان تسويفهم ولجاجتهم وعدم امتثالهم لأوامر الله على لسان رسوله لِيَمُر دون تنويه به وتذكير به، وإن كانوا قد ذبحوها فِعلا، ولكن بعد ماذا؟ بعد أن كادوا لا يفعلون.

ونمط الجملة الفعلية المنفية هو:

ما + فعل ماض + اسم كاد (ضمير متصل بالواو) + خبر كاد (جملة فعلية).

والجملة التوليدية الفعلية لـ (ما كادوا يفعلون) هي: كادوا يفعلون.

ثم تحولت بعنصر التحويل والزيادة إلى : ما كادوا يفعلون.

فالقرآن الكريم أخرج هذا الخطاب القرآني بأسلوب يتماشى مع حال الفاعلين في الآية ويجسد هده الحال بدقة، إذ انتقل من العمق المنفي إلى السطح المثبت وبأسلوب النفي، وهذا من إعجاز القرآن الكريم لا غير، إذ القول كادوا يفعلون يثبت عدم قيامهم بالفعل وهي الجملة النواة لجملة (ما كادوا يفعلون)؛ لأن إثبات مقاربة الفعل ينفي وقوع الفعل، أما القول (ما كادوا يفعلون) فهو نفي لمقاربة وقوع الفعل أي إثبات وقوعه حيث « إذ انتفت مقاربة الفعل انتفى عقلا حصول ذلك الفعل ودليله " إذا أخرج يده لم يكد يراها " ولهذا كان أبلغ من أن يقال "لم يرها" لأن لم ير قد يقارب الرؤية، وأما إذا كانت المقاربة مثبتة فلأن الإخبار بقرب الشيء يقتضي عرفا عدم حصوله وإلا لكان الإخبار حينئذ بحصوله لا بمقاربة حصوله».[1]

ومن الآيات المتضمنة للجملة المنسوخة ذات الصبغة الإثباتية "ما برح" نحو قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ** ﴾ [طه: 61]. جعل بنو إسرائيل في جوابهم لهارون عليه السلام رجوع موسى عليه السلام إليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل، لكن لا على طريق الوعد بل بطريق التعليل والتسويف[2]، والظاهر من حالهم أنهم لم يجعلوا رجوعه عليه السلام، إذ ظنوا ذهابه بلا رجعة[3]، ومن ذلك كانت دلالة الفعل المضارع (نبرح) في جملة النفي هذه على المستقبل وحسب، بعيداً كان أو قريبا؛ أي وقت ما عاد الرسول. فكان تموقع حرف الغاية (حتى) قبل اشتراطهم رجوع موسى عليه السلام، على سبيل الغاية، فإن رجع سنرى في أمرنا اعتزال

1- محي الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، الطبعة الرابعة1415 هـ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص-سورية481/5.

2- ينظر: إرشاد العقل السليم، 37/6.

3- ينظر: الألوسي،روح المعاني، تح:علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى1415هـ دار الكتب العلمية- بيروت، 559/8.

الاعتكاف على العجل كأنهم قالوا : لا نقبل ما تقول ولكن نقبل قول موسى، ولو كان في نفوسهم شيء من تعظيم قول موسى عليه السلام لما عبدوه وعصوا أمر التوحيد، ولكن قالوا هذا تسويفا وتعليلا كي يدعهم هارون عليه السلام وكفرهم لا أكثر.

فقولهم (لن نبرح) خص بالإثبات كقولهم (لا أزال) لأن برح وزال اقتضيا معنى النفي و (لن) للنفي والنفيان يحصل من اجتماعهما إثبات، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ ﴾ [الكهف:60][1].

ومعنى (لن نبرح) أي سنظل على هذا الحال، كون معنى نبرح حسب ما تتعلق به، فهي كما ورد في القرآن للمكان والإقامة في قوله:﴿ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ [يوسف: 80]، وللحال في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ ﴾ [الكهف: 60] أي لا أبرح السير[2]. فهكذا أخبروا عن حبهم للعِجل (لن نبرح عليه عاكفين) بمعنى لن نزال مقيمين على عبادته. فإن قلت: لا أبرح إن كان بمعنى لا أزول من برِح المكان فقد دل على الإقامة وعلى السفر، وإن كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر[3].

وعليه فإن نمط الجملة الفعلية المنفية هو:

لن + فعل مضارع ناقص + اسم (نبرح) محذوف + جار ومجرور + خبر (نبرح).

ولأن (لن) تحمل صفة التأكيد والتأبيد في نفي المستقبل كان القول: لا نبرح عليه عاكفين، مع اعتبار المعنى يقتضي الحال، يدل على تضمن قولهم معنى المستقبل الحاضر وبعودة موسى عليه السلام سيتركون عبادة العجل على سبيل الوعد بخلاف ما تضمنه النفي بـ(لن). والسياق القرآني لا يتخير الألفاظ بدقة وحسب، ولكن يتخير الصيغة الخطابية ككل، التي تتماشى والحال الذي يحقق المغزى والهدف للخطاب المنفي، فتعبير قوم موسى على حال عبادتهم بقولهم (عاكفين) و«العكوف هو الملازمة بنية العبادة»[4] يتوافق مع إفادة الاستمرار للفعل وملازمة المسند

1- ينظر: الموسوعة القرآنية، 47/8.

2- ينظر: متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم-1997م، 9364/15.

3- ينظر:الكشاف، 731/2.

4- التحرير والتنوير: 80/9.

إلى المسند إليه أي: نحن مستمرون في اعتكافنا على العجل، إذ كل من الفعل (لن نبرح) والخبر (معتكفين) يدل على الاستمرار في الكفر وملازمته، قال الجرجاني:«فإذا قلت (زيد منطلق) فقد أثبت الانطلاق فعلا له، من غير أن تجعله يتجدد، ويحدث منه شيئا فشيئا، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: (زيد طويل) و (عمرو قصير)، فكما لا تقصد هاهنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط، وتقضي بوجودهما على الإطلاق كذلك لا تتعرض في قولك: (زيد منطلق) لأكثر من إثباته لزيد. وأما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك، فإذا قلت:(زيد هاهو ذا ينطلق) فقد زعمت أن الانطلاق يقع جزءا فجزءا، وجعلته يزاوله ويزجيه»[1].

فالتعبير (لن نبرح) من قبل بني إسرائيل يدل على تجدد اعتكافهم واستمراره.

والجملة التوليدية الفعلية لـ (لن نبرح عليه عاكفين) هي: سنبرح نحن على العجل عاكفين.

ثم تحولت بعنصري التحويل الحذف والتعويض إلى: سنبرح عليه عاكفين.

ثم تحولت بعنصري التحويل الزيادة وتغيير الحركة الإعرابية: لن نبرح عليه عاكفين.

إن التعبير في الخطاب بـ(لن نبرح عليه عاكفين) أي بظاهر المعنى، هو وليد السياق المضمر في نفوس هؤلاء العاكفين أي البنية العميقة (سنبرح نحن على العجل عاكفين) التي تحمل نفس دلالة الخطاب الموجه، وإنما استخدم النفي للتسويف والتعليل في الكلام فقط، إلا أن هذا التسويف لم يمنع من أن يحمل النفي نفس دلالة الإثبات من قبل عبدة العجل، فخِطَابُهم بالنفي إنما هو تلاعب في استخدام الأساليب، وهذا يدل على طبيعة بني إسرائيل الظالمة، فحتى في كلامهم الذي يحمل دلالة النفي لم يستطيعوا أن يخفوا شدة كفرهم ، فالأسلوب القرآني بإخراجه العجيب للأساليب وتوظيف أخيَر الصيغ لخدمة المعنى، يكشف الأبعاد النفسية لطبيعة المتكلم ويفسح المجال للمتلقي بإطلاق الأحكام لمثل هذه المعاملات.

ونستنتج من هذا التحليل المتعلق بتحويل الجملة من التوليدية إلى التحويلية، أن البنية الظاهرة التي تدل على النفي قد تضمنت معنى البنية العميقة التي تدل على الإثبات، فالتحويل في هذه الجملة قد تم على مستوى الصيغ الخطابية فقط لا على مستوى المعنى فكان بتحويل مركب مكان مركب يحمل الدلالة نفسها ليدل النفي على الإثبات، فصيغة "لن نبرح" تفيد الدلالة على

1- دلائل الإعجاز: 174/1.

الاستمرار وهي دلالة أكدتها العناصر الأخرى في الجملة "عاكفين حتى يرجع إلينا موسى" التي تؤكد المعاناة التي تكبدها رسولا الله عليهما السلام في محاولتهما جعل بني إسرائيل يعزفون عن الكفر استجابة منهما لأمر الله، خاصة وأن موسى عليه السلام غاب عنهم امتثالا لأمر الله عز وجل، فبنو إسرائيل حادوا عن السبيل القويم حين عبدوا العجل وحين خاطبوا هارون عليه السلام هكذا.

النفي في سياق الشرط:

يعتبر أسلوب الشرط من الأساليب البلاغية المهمة والفعالة في توجيه الخطاب، ووجوده في الجملة يشكل دعامة قوية ومتينة في التركيب، فمفهوم الشرط هو«قرن أمر بآخر مع وجود أداة شرط، بحيث لا يتحقق الثاني إلا بالأول، نحو:إن تدرس تنجح»[1].

وتقييد الفعل بالشرط مثل: أكرمك إن تكرمني، له اعتبارات وحالات تقتضي تقييده به لا تعرف إلا بمعرفة مابين أدواته، فالشرط في عرف أهل العربية قيد لحكم الجزاء مثل المفعول به ونحوه، لأن القول: إن جئتني أكرمك، يجعل الجزاء أي : أكرمك وقت مجيئك إياي، لا يُخرج جملة الشرط باعتبارها التقييد عن تصريفها الخبري أو الإنشائي قبل أن تقيد بالشرط[2].

هذا هو الأصل وقد يخرج الشرط عن ذلك فلا يكون الثاني مسببا عن الأول ولا متوقفا عليه، نحو قوله تعالى: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [الأعراف: 176]، فلهث الكلب غير متوقف على الحمل عليه وهذا على سبيل ذكر الصفة فقط[3].

فـ «المجازاة لا يجب فيها أن يكون الجزاء موقوفا على الشرط أبدا ولا أن يكون الشرط موقوفا على الجزاء أبدا بحيث يمكن وجوده ولا أن تكون نسبة الشرط دائما إلى الجزاء نسبة السبب إلى المسبب بل الواجب منها أن يكون الشرط بحيث إذا فرض حاصلا لزم مع حصوله حصول الجزاء سواء كان الجزاء قد لا يقع من جهة وقوع الشرط»[4].

---

1 – موسوعة اللغة العربية: 86/6.

2 – ينظر: التفتازني، مختصر المعاني، الحاشية لشيخ الهند محمود حسن، الطبعة الأولى 1431هـ/2010م مكتبة البشرى، كراتشي– باكستان، 266/1.

3 – ينظر: معاني النحو، ص 50.

4 – الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 355/2.

وتكوين الجملة الشرطية متعلق باختصاص دخولها على الفعل (أداة شرط+فعل الشرط + جواب الشرط) وفعل الشرط هو الفعل الأول الذي يتعلق عليه حدوث الجزاء، فيقع فعل الشرط ماضيا ومضارعا، نحو قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم:19]، وقوله: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾[1].

وفي بيان أدوات الشرط ووظيفتها مع اعتبار الفروق الوظيفية بين هذه الأدوات نجد أدوات جازمة لفعلين مضارعين كـ: إن، إذ ما، من، مهما، حيثما، أي، كيفما. وأدوات غير جازمة مثل : إذا، لو، لولا، لوما، أمّا، كلّما [2].

والجملة الشرطية في شكلها النمطي البسيط المتميز لا توجد في العربية إلا في أحوال قليلة، فهي وثيقة الصلة بمكونات لغوية أخرى تتوسع من خلالها، كالتوسيع عن طريق الحال والبدل والعطف، كما أنها مرتبطة بأنماط تعبيرية أخرى منها الاستفهام والقسم، ومن القضايا المهمة في تركيب الجملة الشرطية الربط بالجزم أو بالفاء[3].

وهذا يُخوّل للخطاب اللغوي في سياق الشرط بذل تشكيلات أسلوبية ذات دلالات تخدم السياق بسبيل أيسر وأشد امتدادا. ومن خلال ذلك سنسعى إلى البحث في قضية استخدام النفي في سياق الشرط لمحاولة بلوغ القالب العام الذي يتجلى أسلوب النفي عن طريقه في هذا السياق، لعلنا نوضح المآرب البلاغية التي نستشفها من الوظيفة الأسلوبية لهذا التداخل بين الأنماط في القرآن الكريم، لذا سنختار أمثلة من آيات الذكر الحكيم نستنبط منها بعض أغراض ورود النفي في سياق الشرط سواء في جملة الشرط أو في جملة جواب الشرط، فأدوات النفي احتلت مواقع متباينة بين جملة الشرط وجوابه فأيما موقع يحل به النفي من جملة الشرط إلا وله غايات دلالية وجمالية.

1 – ينظر: معاني النحو، 52/4.

2 – ينظر: موسوعة علوم اللغة العربية، 86/6.

3 – ينظر: أبي أوس الشمسان، الجملة الشرطية عند نحاة العرب ، تقديم محمود فهمي حجازي، الطبعة الأولى 1401هـ/1981م، مطابع الفحوى عابدين، ص 10-11.

ومما قيد بالشرط غير الجازم قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾[الأنبياء: 45]. لا يسمع الصم الدعاء في كل الأحوال سواء كان دعاء مبشر أو منذر ولهذا فإن تقييد نفي إسماع الإنذار للصم هو إشارة لهؤلاء المنذرين، فاللام النافية في هذا السياق هي للعهد لا للجنس، والأصل: لا يسمعون إذا ما ينذرون، فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إذا أنذروا[1].

وذلك لبيان شدة الصمم والإعراض فجاء التعبير المؤكِد على ذلك بقوله (الدعاء) الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام، فالإنذار عادة يكون بأصوات عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه فإذا لم يسمعوها فصممهم لا غاية وراءه وهو نحو قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:42][2]، فالنفي الذي أتى متقدما في جملة الشرط أدّى دورا فعالا في توكيد المعنى فـ (لا) التي تسبق الفعل المضارع تعطي دلالة على الإطلاق للصفات التي تقدمها الجملة الفعلية معها أي الإعراض وما يجاريه من استهزاء وتكبر، وهذا الإطلاق يدعم معاني الإنذار المقابل بالإعراض ويزيد من تحققها في قناعة المتلقي.

وتقديم جواب الشرط الذي يحمل دلالة عدم السماع بوقت الإعراض عند سماع الإنذار أي جملة الشرط كان لتفظيع إعراضهم عن الإنذار لأنه إعراض يفضي بهم إلى الهلاك فهو أفظع من عدم سماع البشارة أو التحديث[3]. فالمعنى الذي يسهم فيه تقديم جملة جواب الشرط المنفية هو إظهار التعنت الزائد والذي يدفع إلى التيئيس من إمكانية بلوغ هؤلاء الأصماء رشدهم، ففي الوقت الذي يعمد فيه الرسول إلى إنذارهم يعرضون بحال أورثهم الصمم، لنلمس من ذلك أن الأسلوب القرآني حشرهم في زاوية ضيقة لا يستطيعون الإدراك بعدها.

ولأن السمع هو الإدراك الأول المصاحب لتكوين الإدراكات المختلفة ذُكر"ولا يسمع الصم الدعاء" أولا دلالة على أنهم يسمعون وآلة السمع لديهم صالحة للعمل إلا أنه سماع لا فائدة منه، ثم جملة الشرط بعدها " إذا ما ينذرون" للدلالة على التغافل والانصراف عن الإنذار والتحذير،

1 – ينظر: الكشاف، 119/3.

2 – ينظر: إرشاد العقل السليم، 70/6.

3 – ينظر: التحرير والتنوير، 79/17.

لأن هذا التصرف الوارد بعد سماعهم للإنذار هو الذي جر إليهم الصمم العقلي والقلبي ولذلك تأخرت عن الجواب[1].

فالنفي في هذا السياق حمل دلالة جزاء من يتغافل عن إنذار الرسول له وقد ورد فعل النفي مضارعا في هذا السياق للدلالة على الاستمرار، فإنذار الرسول لهم مستمر وتغافلهم وصممهم متجدد، ووقت صمم المنذرين متعلق بإنذار الرسول لهم ومن ذلك كان نفي السمع مقيدا بوقت الإنذار لأن إذا ما هي « أداة شرط وهي ظرف و(ما) خصصتها بالاستقبال بعد أن كانت تستعمل للمضي كثيرا وللاستقبال قليلا»[2]، وعليه فإن دلالة الفعل المضارع المنفي تتوافق والفعل المضارع في جملة الشرط في هذا السياق تأكيدا للحال الفظيعة التي بلغها المعرضون عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما نلمس اشتداد لهجة التقريع على المستوى اللغوي من خلال تضافر التراكيب وتعالقها فوضع الظاهر موضع المضمر أي (الصمم) حيث وُصف به هؤلاء المنذرين، هو للدلالة على تصامهم وإعراضهم، وتقديم الجواب على الشرط للتأكيد على اتصافهم بالصمم كما نلمس من هذا التقديم مواساة للرسول صلى الله عليه وسلم، وبأن هذا الإعراض نابع من حال الصمم الفائض فيهم وأنه قد أدى واجبه بالإنذار فالخلل فيهم.

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[البقرة: 87]، بمعنى أن مدار الرد والقبول لرسل الله عز وجل من قبل بني إسرائيل هو مخالفة أهواء أنفسهم وموافقتها لمنهاج الحق الذي يبعث به الرسل[3].

والهوى غالبا ما يستعمل فيما ليس بحق ولهذا أُسند الهوى إلى النفس في قوله (بما لا تهوى أنفسكم) ولم يسند إلى الضمير المخاطب لأن النفس يسند إليها الأفعال السيئة، وعليه كان جواب الشرط (استكبرتم) فهو نتيجة الجهل بالنفس المقارن للجهل بالخالق وذلك لما كانوا عليه

1 – تفسير الشعراوي: 9551/1.

2 – معاني النحو: 77/4.

3 – ينظر: إرشاد العقل السليم، 1/ 127.

من طبيعة الاستكبار الذي هو محل النقائض ونتيجة الإعجاب، فاحتقروا آخر رسل الله وخاتهم لأن الاستكبار منهم كان يتكرر بتكرر مجيء الرسل إليهم[1].

لذا كانت جملة النفي في هذه الآية العمود الأساس لمعناها إذ تبين حقيقة الشرط الذي يقابل به بني إسرائيل الرسل وهو مخالفة أهوائهم، فهذا الفعل يتكرر منهم ولهذا ورد في هذه الجملة المستأنفة بأداة الشرط كلما فهي «تفيد التكرار من دون أن تكرر»[2]، ولعل التعبير عنه بالمضارع باعتباره الدلالة الرئيسية في رفض الرسل، فالمضارع يفضي إلى التجدد والاستمرار ومنه كان مجيء الرسل يتكرر وتجدد الرفض يتكرر معه رغم ورود فعل الشرط قبله ماضيا (جاءكم) وفعل الجواب بعده ماضيا، فالجملة المنفية التي توسطت هاذين الفعلين أحدثت حالة استحضار لحال بني إسرائيل الماضية مع رسلهم من تكذيب واستكبار وأفادت استمرارها القائم، وبينت الشرط الأساسي الذي يصُوغُونه للأخذ بما جاءت به الرسل، فالفعل (تهوى) يتضمن ويستلزم الفعل (استكبرتم) إلا أن هذا الاختلاف في الحال يمنح إلهاما ذهنيا يجزم بوقوع الجزاء أي الاستكبار الذي يتولد عن إتباع الهوى.

ولذلك اقترن الشرط بالاستفهام (أفكلما) للتعجيب من طغيانهم ومقابلتهم جميع الرسل في جميع الأزمنة مقابلة واحدة مرتبطة بأهوائهم النفسية وأنها سجية في الجميع إذ ساوى فيها الخلف السلف فهو توبيخ لسلوك عدم الالتزام[3].

لنلمس المعالجة القرآنية لحقيقة هذا الرد وطبيعة هذه النفوس الهاوية عن طريق جملة النفي، والتي منحت الاستفهام الإنكاري التوبيخي بابا مفتوحا على المصرعين الماضي والحاضر، فأيما محل تحل فيه جملة النفي إلا ولها بصمتها التي تميزها فيه، فهي بمثابة الطريق الرابط بين جملة الشرط وجوابه إذ أحدثت المزيد من اللوحات الإخبارية عن حال هؤلاء للوصول إلى جواب متوقع في ذهن السامع من خلال الأفكار المسبقة عنده عن حالهم، فلا يتفاجئ بما يصنعون لأنهم معتادون على هذا الصنيع مع جميع الرسل ومن يربط الحق بأهوائه لا عجب في أن يستكبر عنه.

---

1 – ينظر: البحر المحيط: 482/1.

2 – الأساليب النحوية:347.

3 – التحرير والتنوير: 595/1.

ومن النفي الوارد في سياق الشرط غير الجازم قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: 17]، أي بمصدق لنا في هذه المقالة على عدم تقصيرنا في أمره، ولو كنا عندك وفي اعتقادك موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف عليه السلام، فكيف وأنت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا[1]، فقولهم (وما أنت بمؤمن لنا) خبر مستعمل في لازم الفائدة، وهو تنبيه بأنهم صادقون ويعلمون أن أباهم لا يصدقهم فيه، فلم يكونوا طامعين بتصديقه إياهم، والتقدير: وما أنت بمؤمن ولو كنا صادقين في نفس الأمر أي نحن نعلم انتفاء إيمانك لنا في الحالين فلا نطمع أن نموّه عليك[2]. ولو الشرطية في مثل هذه المواقع تبين ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له، فإدخالها على أقوى الاحتمالات يدل على شدة منافاة الجزاء له، ليظهر بثبوته أو انتفائه معه، ثبوت أو انتفاء هذا الاحتمال مع غيره من الأحوال[3] .

ما يبرزه الخطاب من خلال تقديم جواب الشرط المنفي هو تجريد ذهن المتلقي من أي متعلق معنوي قد يدفع نبي الله يعقوب عليه السلام إلى تصديق أبنائه، وقد استلزم ذلك طريقة تركيبة محكمة فاستخدام أداة الشرط (لو) لأن فيها من النفي ما يدعم النفي الذي يحدثه حضور الأداة (ما) المتصدرة لجملة الجواب، وتقديم الجزاء جاء لمعرفتهم وعلمهم بأن أباهم لن يصدقهم فهو على سبيل الإخبار، وبما أن (لو) الشرطية تقتضي امتناع وقوع الجزاء لامتناع وقوع الشرط، جاء وروده قبل الشرط للتأكيد على انتفاء تصديقه لهم بأي حال من الأحوال وأشدها لو كانوا صادقين، واستخدام (لو) الشرطية مع (ما) النافية كان فيه ما يدعم دلالة النفي المتصدر لجملة الجواب، ليحدث بذلك نفي مضاعف التأكيد لحال عدم تصديقهم فهذا التضافر بين أداة النفي وأداة الشرط أكسب جملة الشرط التي تحمل الطابع المنفي قوة دلالية وجمالية تمثلت في نفي تصديق يعقوب عليه السلام لأولاده بقيد اتصافهم بالصدق، وهذا التقييد للنفي في الحقيقة هو تقييد عام

1 – ينظر: إرشاد العقل السليم، 259/4.

2 – ينظر: التحرير والتنوير، 237/12.

3 – ينظر: إرشاد العقل السليم، 295/4.

لا يتعلق بهذا الشرط وإنما كانت دلالته أن وقوع هذا الشرط في نفس أبيهم غير وارد فهم عنده كاذبون ولو صدقوا ومن ذلك كان وقوع الجزاء غير وارد.

فالمراحل الدلالية التي مر بها هذا السياق أكسبته هذه الدلالة القوية التأكيدية إذ المعنى الباطن لهذه الآية هو: كنا صادقين، أنت بمؤمن لنا. حيث أن هذا السياق المثبت الذي يدل على أنهم يتصفون بالصدق والذي يدعم صدقهم بكلا الجملتين التأكيديتين في تصورهم هم لأنه منفي في تصور أبيهم، عند تحويله إلى السياق المنفي المقيد بالشرط يصير نفيا تأكيديا، فأن يصفوا أنفسهم بالصدق يستلزم أن يؤمن لهم أبوهم، وبالتالي عدم تأمين يعقوب عليه السلام لهم نفى ترجيح نظره في أمر صدقهم ولهذا قُدم الجواب " وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين" على جهة الإقرار لا على جهة الرجاء حيث امتنع المعنى الشرطي في الماضي ما اقتضى عدم تحقق معناه في الزمن السابق والزمن اللاحق.

ومن أمثلة الشرط الداخل على جملة النفي الفعلية قوله تعالى:﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ** ﴾ [البقرة 24].

لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرفون أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به ليعثروا على الحقيقة ويميزوا الحق من الباطل قال لهم وتحداهم بأن يعارضوه، فبتبيان أنه معجوز عنه صرح الحق عن محضه فوجب التصديق والإيمان، فالإعلان بأنهم لم يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله دليل على إثبات النبوة وإعجاز القرآن[1].

وفي هذه الآية انتقل الأمر من التهكم والتعجيز بالإتيان بسورة من القرآن إلى الرشد والنصح، إذ ليسوا بقادرين على المعارضة، فمعنى (فإن لم تفعلوا فإن لم تأتوا) حيث عبر عن الإتيان بالفعل والفعل يجري مجرى الكناية[2]، وجيء بـ(إن) الشرطية التي الأصل فيها عدم القطع مع أن عدم فعلهم قطعي بقرينة مقام التحدي والتعجيز والقصد من ذلك إظهار هذا الشرط في صورة النادر مبالغة في توفير دواعيهم على المعارضة، بطريقة الملاينة والتحريض واستقصاء لهم في إمكانها على

1 - ينظر: الكشاف، 101/1.

2 - ينظر: البحر المحيط، 173/1.

سبيل المجادلة الحسنة، ومن ذلك حذف مفعول (تفعلوا) إذ يدل عليه السياق أي فإن لم تفعلوا ذلك أي الإتيان بسورة مثله[1].

إن النفي الوارد في هذا السياق منح الصبغة الشرطية مدلولها الأسمى إذ المعنى الدلالي الذي تلقي به أداة الشرط (إن) يفضي إلى «المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها والموهومة والنادرة»[2]، مع أن فكرة الإتيان بمثل هذا القرآن هي قطعية النفي، فكان المجيء بـ(إن) الشرطية على وجه المعنى النادر للكشف عن توافر دواعي المعارضة وأنهم غير مصرفون عنها بل هي موجودة فإن استطاعوا فليفعلوا، وهنا يتجسد دور النفي الدلالي إذ قوله (لم يفعوا) يدل على عدم القدرة القطعية على التحدي في الماضي للتذكير بهذا العجز، وحذف المفعول به للفعل (تفعلوا) المقدر بـ(ذلك) يجعل التحدي مفتوحا على كل الاحتمالات سواء سورة ﴿ **فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ** ﴾:[البقرة:23]،أوعشر سور ﴿ **قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ** ﴾[هود:13]،أوبمثله ﴿ **لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ** ﴾ [الإسراء:88] ، ولو ذكر المفعول لكانت فسحة التحدي الحاصلة قد تقلصت، وبعد ذلك يأتي النفي بـ(لن) والمجيء بهذا النفي ينعكس على معنى (إن) الشرطية التي تدل على النادر فإن (لن) تمنح النفي التأبيد والقطع وبهذا يكون الشرط النادر غير محتمل الوقوع لما تحمله (لن) من معاني التأكيد والتأبيد، وبالتالي فيه تيئيس بالإتيان بمثل القرآن ولهذا فإن وقوع الشرط بـ (إن) مكان (إذا) التي تحمل منى المقطوع بحصوله إذ «الأصل في (إن) أن تستعمل للمشكوك فيه و (إذا) للمقطوع بوجوده »[3] لم يحدث أي خلل في المعنى وإنما منحه دلالة النادر للتأكيد على أن القرآن معجز في ذاته وأن دواعي التحدي وإمكاناته قائمة، ليبقى القطع بانتفاء الإتيان على عاتق النفي الذي حمل هذه المسؤولية على أكمل وجه.

وفي هذا التذكير بالعجز الآنف والقطع التأبيدي المستقبل لهذا العجز عن طريق الجملة المنفية سبيل إلى نصح وإرشاد هؤلاء المعارضين، إذ الماضي يمنح دلالة قطعية بعدم الحدوث والمستقبل (لن تفعلوا) يمنح المتلقي مجالا للتدبر في هذا الشأن المجزوم بعدم القدرة عليه، ثم يقول

1 – ينظر: التحرير والتنوير، 342/1.

2 – معاني النحو:66/4.

3 – المصدر نفسه: 69/4.

(فاتقوا النار) محذرا وناصحا، فهذه الدلالات الفخمة الراقية تشعر بأن الغرض من هذا النفي ليس التعجيز المحض وإنما حمل النفوس على اتقاء العذاب بعد الإيقان بهذا العجز. فاعتبار نفي القدرة على الإتيان شرطا لاتقاء النار هو في الحقيقة شرط مجزوم وواقع آنفا وقادما وهو ما بيّنه النفي لأن حذف أداة الشرط (إن) يوضح هذا القطع: لم تفعلوا، لن تفعلوا، اتقوا النار، فهذه المعاني الباطنة تدل على القطع وإنما سيق على سبيل الشرط موعظة.

ومن النفي الذي احتل مواقع خاصة من جملة الشرط قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: 144] .

والمعنى وما محمد إلا رسول قد من قبله الرسل فسيخلو كما خَلَوا، فالفاء في قوله (أفإن مات) معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) على معنى التسبيب، والاستفهام (أفإن) لإنكار أن يجعلوا خلوا الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد هلاكه بموت أو قتل[1]. فالجملة الخبرية المستهلة بأداة النفي (ما) تشير إلى أن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كسائر الرسل وتنفي عنه أن يكون خالدا ولا يخلوا كما خلت الرسل قبله، فهو مقصور على الرسالة لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك[2]، فهذه الجملة المنفية عتب لمن ظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كغيره من الرسل، إذ ليس بقاء الرسل شرطا في بقاء شرائعهم، ولهذا كانت الجملة الشرطية مستهلة بالاستفهام الإنكاري التوبيخي الذي يعتب على بعض من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصيبهم الهلع حين قيل لهم أنه قُتل[3].

فهذا الكلام هو لرد اعتقاد من يعتقد انتفاء خُلوّ الرسل، ومن ظن أنه لا يموت وأن الرسل لا تخلوا قيل له : ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، والجملة المنفية التي مفادها الإخبار تصدير يذكر بالحقيقة البشرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه كغيره من الرسل تمهيدا لإنكار الانقلاب عن خطاه عند موته أو قتله، وما أفاد هذا العتب قوله(وما محمد إلا رسول) لأن القول

1 – ينظر : الكشاف، 423/1.

2 – ينظر: إرشاد العقل السليم، 92/2.

3 – ينظر: البحر المحيط، 362،363/3.

(محمد رسول قد خلت من قبله الرسل) يصح ولكن صَوغه بالنفي فيه تعجيب وتذكير عتبي ببشرية رسول الله صلي الله عليه وسلم وتنويه بأن حاله كمقتضى حال باقي الرسل.

لأن تذكيرهم بأنه رسول كسائر الرسل مع علمهم بذلك على سبيل العتب والإنكار الذي أفاده دخول الاستفهام على الجملة الشرطية كون حالهم يقتضي هذا المقصد البلاغي فقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب فيستعمل له الثاني إفرادا، فإنه صلى الله عليه وسلم مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبرأ من الهلاك، فنزل استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه[1]. ومن خلال ذلك تتضح الخاصية الوظيفية لتركيب الجملة الاسمية المنفية إذ حملت كل من دلالة الإخبار والعتاب والتعجب والتذكير.

أما قوله تعالى: ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الشاكرين « أي ومن يرجع عن جهاده ومكافحته الأعداء فلن يضر الله شيئا بما فعل، بل يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب وحرمانها من الثواب»[2]، فبهذا تكون حكم إرشاد من الله تعالى للعباد أن يكونوا بحال قوي وإيمان صادق لا يهتز بفقدان أولياء الله وقادة الإسلام فهو موعظة لمن تسول له نفسه الانقلاب.

إن هذه الجملة الشرطية عامة في أن كل من انقلب على عقبيه فلا يضر إلا نفسه ولا يلحق من ذلك شيء لله تعالى، وهو ما يتجلى من خلال جواب الشرط المتمثل في الجملة الفعلية المنفية (فلن يضر الله شيئا)[3]، فهذا الجواب للدلالة على النفي القطعي بمعنى أدنى شيء من الضر، ففي الفعل المضارع تحذير من وقوع الارتداد عند موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وقع ما حذرهم الله منه بعد وفاته إذ ارتد كثير من المسلمين وفي ذلك إنباء بالمستقبل[4].

ومن خلال هذه الجملة المنفية نستطيع أن نلمس الغاية البلاغية إذ انتقل الخطاب من الماضي الذي نقل فيه خبر قتل رسول الله صلة الله عليه وسلم حيث عُتِب المسلمون على انقلابهم بسماعهم الخبر،إلى المستقبل الذي يعمم حالة التوبيخ لكل من ينقلب على الحقيقة التي يؤمن بها،

---

1 – ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، 236،237/2.

2 – المراغي، تفسير المراغي، الطبعة الأولى1365هـ/1946م،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 88/4.

3 – البحر المحيط: 364/3.

4 – ينظر: التحرير والتنوير،113/4.

وهذا الفعل المضارع المنفي (لن يضر) يفيد التأبيد والثبات وفيه تذكير على أن الضر الحاصل إنما يجره الإنسان لنفسه لا أكثر وتعالى الله عما يصفون فهذا السياق الشرطي (من ينقلب على عقبيه) الذي يعمل على الإخبار ينتقل بالجملة الفعلية (لن ينظر الله شيئا) إلى النصح والإرشاد لإنقاذ النفس من الضر الناجم عن هذا الانقلاب، والجمل التوليدية التي تعتبر معاني حقيقية للجمل المتحولة إما في الواقع الدلالي أو في فكر المعني بالتركيب (المُخَاطَب) من شأنها أن توضح هذه الغايات البلاغية: محمد رسول قد خلت من قبله الرسل، مات محمد، قتل محمد، انقلب المسلمون على أعقابهم، ينقلب المسلم على عقبيه، يضر الله شيئا.

فجملة (محمد رسول قد خلت من قبله الرسل) تعتبر النمط التركيبي التي تولدت عنه الجملة المنفية والتي حققت دلالة العتاب وهذه الأخيرة تنسجم مع جملة الشرط(أفإن مات أو قتل) حيث تفيد الإنكار والتوبيخ، وتم الاستدلال على كل مسلم ينقلب بـ(من) الشرطية لإفادة العموم والنصح الشامل، كما أن الاستدلال بضر المسلم المنقلب نفسه فقط بالجملة (فلن يضر الله شيئا) فيه بيان أن الله غني لا حاجة له بإخلاص أحد وإنما في ذلك صلاح للإنسان، حيث أن سلب الإيجاب من الجملة (يضر الله شيئا) يحقق الغاية البلاغية للآية والمتمثلة في تفخيم الجزاء ويحدث انسجام بين جملة الشرط وجوابه.

وقد يقع النفي جوابا لشرط محذوف كقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: 17]، لما كسر المسلمون أهل مكة وقتلوا وأسروا في غزوة بدر أقبلوا على التفاخر فقيل لهم (فلم تقتلوهم) والفاء جواب شرط محذوف تقديره: إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم[1]. ونفي الماضي بـ (لم) الداخلة على الفعل المضارع (فلم تقتلوهم) جاء على حسب الإيجاب لفظا، فنفى فعل القتل عنهم ولم يصرح بإثباته بالقول (إذ قتلتموهم) للمبالغة في هذا[2].

1 – ينظر: الكشاف، 206،207/2.

2 – البحر المحيط: 295/5.

فحذف فعل الشرط في هذه الآية للاختلاف في جهة الفعل، إذ أضيف القتل إليهم على جهة الكسب والمباشرة ونفاه عنهم باعتبار التأثير، ونفي الفعل بإحدى الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى[1].

وعليه فإن الفعل المنفي يدل على انتفاء صدور القتل من قبل المسلمين، ولا ينفي وقوع الفعل فقوله (فلم تقتلوهم) رغم أن فعل القتل مثبت يفضي إلى نفي قتلهم بضربات المسلمين وحدها، فجملة الجواب في هذه الآية قد حملت دلالة الشرط المحذوف الذي يفيد اعتقاد المسلمين صدور القتل منهم وينفيه.

وهذا الحذف للشرط عُدل به عن الافتخار بقتل المشركين، فكانت الدلالة عليه بنفيه عنه وإثباته لله عز وجل، فيد الله هي التي ضربت تلك الضربة القاضية والمسلمون لم يكونوا إلا أسباب ظاهرة، وفي ذلك إشعار بأن الله سبحانه مع المجاهدين[2].

لنلمس من ذلك فاعلية النفي إذ وقع جوابا لشرط محذوف ودل على معنى هذا الشرط المحذوف، لأن نفي تأثير الضرب يدل على إنكار حدوث الفعل نتيجة الاعتقاد بتأثيره، فعدل علن ذكر الشرط لما في الجواب من تنويه إليه، ليبقى المعنى الراسخ في الذهن هو وقوف الله عز وجل مع المجاهد المتيقين بأن النصر من الله عز وجل، وأن حقيقة بلوغ الفعل بتأثير منه.

وهذه الآية تجسيد وتصوير لا لحال المسلمين في غزوة بدر فقط وإنما لحال المسلمين في سائر الأزمان فالمعاني الباطنة لهذه الآية تنوء بذلك: افتخر المسلمون بقتل المشركين، قتل المسلمون المشركين، الله قتل المشركين.

فهذه المعاني تمثل الحالة التي يتصف بها المنتصر والشعور الذي يخالجه عند سداد ضرباته، فالافتخار ناجم عن تمام الفعل ولكن جملة (الله قتل المشركين) لا تنسجم مع جملة (قتل المسلمون المشركين) إذ لا يثبت الفعل على الجهتين ولهذا كان الشرط للدلالة على انتفاء حدوث الفعل إلا بتأييد من الله عز وجل فالتقاء الشرط والنفي حقق ذلك، وبقاء النفي جوابا لشرط محذوف أدى وظيفته الدلالية المتمثلة في النهي عن الافتخار والأمر بالأخذ بالأسباب، فهذه سمة القرآن الكريم التجدد

1 – ينظر: البرهان في علوم القرآن، 59/2.

2 – ينظر: عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي– القاهرة، (د.ط.ت)، 581/5 .

والديمومة لأنه صالح لكل زمان ومكان لتكون بذلك عبرة لا مجرد عتاب والعبرة تكمن في عموم الخطاب.

ومن النفي الوارد في سياق الشرط الذي حذف جوابه قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ** ﴾ [الأحقاف: 11]. إن قوله (فسيقولون) يعتبر مسببا عن العامل المحذوف في(إذ) لدلالة الكلام عليه والتقدير: وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم، فسيقولون إفك قديم، فهذا المضمر صح به الكلام[1]، وحُذِف الجواب في هذا السياق لأن القول (فسيقولون) المسبب لذلك الجواب المحذوف ناشئ عن العناد ويمتنع أن يعمل في(إذ فسيقولون) لحيلولة الفاء الرابطة، وليعاند زمان (إذ) وزمان (سيقولون)[2]، فمعنى الآية: وإذ لم تحصل هدايتهم بالقرآن فيما مضى فسيستمرون على أن يقولوا هو إفك قديم إذ لا مطمع في إقلاعهم في المستقبل[3]، لأن (إذ) ظرف زمان يفيد المضي غالبا[4]،ومعلوم أن الفعل المضارع المسبوق بـ (لم) يفيد المضي فهذا يوحي بأن قولهم في المستقبل (هذا إفك قديم) ناجم عن قولهم لذلك في الماضي وأنهم مستمرون في القادم بقول ذلك، لنلحظ من هذا التدافع بين الماضي والمستقبل دلالة النفي العاملة في السياق بشكل وظيفي، يعمل على إطلاق العنان لفكر المتلقي، فطعنهم للقرآن من قبل بتلك الأوصاف المزعومة من أنه سحر ومفترى تجسد مزايدتهم في الطعن بأن يقولوا إفك قديم.

ومجيء جملة الشرط المنفية مفتتحة بأداة الشرط (إذ) بدل (إذا) لأن «(إذا) أوسع زمنا من (إذ) فإنها تكون ظرفا للاستقبال وزمنه أطول من المضي لأن المستقبل دائما أطول وأفسح من الماضي الذي انتهى»[5]، فدلالة (إذ) التي تمنح إفادة المضي أي أنهم لم يهتدوا به آنفا دعمها النفي بـ (لم) كونها تُصَيِر حال المضارع إلى الماضي فزاد معنى التأكيد المستقبل كونه ناتجا عن حال الماضي، وتتم هذا المعنى الفاء الرابطة فارتباط المسبب بـ (إذ) «إذا كان الجواب لا يصلح أن يقع

1 – ينظر: الكشاف، 301/4.
2 – ينظر: البحر المحيط، 438/9.
3 – ينظر: التحرير والتنوير، 23/26.
4 – معاني النحو: 76/4.
5 – المرجع نفسه: 79/4.

شرطا فإن صلح وقوعه فلا يجب ربطه بالفاء»[1]، وهذا يدل على أن جملة (سيقولون هذا إفك قديم) لا يصلح أن يكون شرطا لأن هذا القول ناتج عن العناد والطعن في القرآن الكريم «حيث قُدم الظرف في الكلام على عامله أشرب معنى الشرط وهو إشراب وارد في الكلام وكثير في إذ ولذلك دخلت الفاء في جوابه هنا في قوله: فسيقولون»[2].

فبالنظر إلى الأبعاد الدلالية لهذه الآية يمكن إدراك الاختيار التأثيري للأسلوب على مستوى السياق ليحقق تفاعل المتلقي بدرجة عالية، إذ أُتي بالفعل المضارع (سيقولون) ليصور حادثا وقع وانتهى، ألا وهو الطعن في القرآن الكريم وهذا الاستخدام لجواب الشرط يتناسب وفعل الشرط المنفي الذي يصور ذات الحال، فاختيار المضارع هنا يوحي بأن الغاية للخطاب القرآني هي الاهتمام بمسألة الاهتداء بالقرآن الكريم أكثر من الاهتمام بأقوال المعارضين الذين ظلوا يهجونه، وهو بذلك يثبت على أنه حين أنزل على الرسول ودخل دائرة المنافسة العربية في ميدان البلاغة شغل البلغاء وحملهم على الانبهار به فبدل أن يهتدوا به لما أعجزهم راحوا يطعنون فيه فالفعل (سيقولون) يعطي شعورا بالإلحاح المستديم على مجاراته وتؤكد جملة الشرط المنفية بـ (لم) هذا التفرد في الميدان البلاغي والفكري أعمق تأكيد.

النفي في سياق القسم:

تُفِيدُ الإشارات التي أدلى بها النحاة والمفسرون في فهم دلالة أسلوب القسم في اللغة، وتُعِينُ على تأمل خصوصياته البلاغية في النص القرآني، فالقسم لغة كما ورد في اللسان« أقسم بالله تعالى واستقسمه به وقاسمه، حلف له»[3] والحلف معناه «اليمين وأصله العقد بالعزيمة والنية»[4]، وذكر الرازي أن الحاجة لذكر الحلف تحصل عند انقسام الناس عند سماع الخبر إلى مصدق به ومكذب به، فيعمل القسم على تأكيد الخبر وإحالة الصدق إلى القسم الذي اختير بواسطة الحلف واليمين[5].

1 – فاضل السامرائي، معاني النحو: 103/4.

2 – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 23/26.

3 – ابن منظور، لسان العرب، مادة "قسم"، الطبعة الثالثة 1414هـ دار صادر، بيروت،406/5.

4 – المصدر نفسه، مادة "حلف": 9/ 53.

5 – ينظر: الرازي، التفسير الكبير، 112/13.

فهو« يمين يقسم بها الحالف ليؤكد بها شيئا يخبر عنه من إيجاب وجحد»[1].

يُفهم من هذا أن أسلوب القسم مؤكد للكلام، وهذا التأكيد يأتي لإزالة الشك في الخبر فيؤكده في الإثبات أو النفي. ويعتبر القسم من الأساليب الكثيرة الاستعمال في القرآن الكريم إذ يمكن أن نميز في القسم نوعان:

– قسم صريح: وهو ما يستدل به بحرف القسم أو فعل القسم كقوله تعالى:﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ [الأنعام 109].

–قسم غير صريح: وهو ما يقسم فيه بالاستعمال الفعل مقدرا نحو قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران 186][2].

وعدت جملة القسم مكونة من جملتين جملة القسم وجملة جواب القسم فنجد ابن جني يقارن بينه وبين أسلوب الشرط إذ يقول:«يكون قولنا قام زيد كلاما فإن قلت شرطا: إن قام زيد، فزدت عليه "إن" رجع بالزيادة إلى النقصان فصار قولاً لا كلاما ألا تراه ناقصا ومنتظرا للتمام بجواب الشرط، وكذلك لو قلت في حكاية القسم: حلفت بالله أي كان قسمي هذا، لكان كلاما لكونه مستقلا ولو أردت به صريح القسم لكان قولا من حيث كان ناقصا لاحتياجه إلى جوابه»[3].

انطلاقا من الدلالة العامة لأسلوب القسم سنحاول الكشف عن الدلالة القرآنية للنفي في سياقه، لأن القسم يعتبر عنصرا تأكيديا في التعبير البلاغي لحمل المخاطب على التصديق، وبالتالي فلابد أن يكون للنفي دور يسهم في توكيد المعاني وتقريرها في ذهن المتلقي إذا ورد في سياقه، ولاشك في أن إدراك المعنى الذي يُسفِر عنه النفي في هذا الصدد يتطلب فهم السياق ككل، وبما أن القسم ينقسم إلى صريح وغير صريح سنتتبع بعض الأنماط القسمية التي يندرج فيها النفي في كل من النوعين.

---

1 – ابن سيده، المخصص، تحق خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولى 1417هـ/1996م، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة الأولى، 4 /71.

2– ينظر: معاني النحو، 4/539،538.

3– الخصائص:1/20.

– النفي في سياق جملة القسم الصريح:

يأتي القسم بأحد الأفعال المختصة بالقسم فمن الأفعال أشياء فيها معنى اليمين، يجري الفعل بعدها مجراه إذ يُعَد القول: والله، ذلك قولك أقسم لأفعلن، وأشهد لأفعلن، فيكون تركيب جملة القسم فعل القسم نحو: أقسم، وحروف تعدي الفعل إلى المقسم به ومن ذلك القول: على عهد الله لأفعلن فعهد مرتفعة، وعلى مستقر لها، وفيها معنى اليمين[1].

وتتنوع أدوات النفي المستخدمة في سياق القسم في القرآن الكريم فـ« من أول الظواهر التي لفتت أنظار العلماء دخول (لا) على القسم في عدة آيات»[2].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة:38،40]. والمعنى فلا أقسم « أي فأقسم على أن (لا) مزيدة للتأكيد وأما حمله على معنى نفي الاقسام لظهور الأمر واستغناءه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم بقوله تعالى بما تبصرون »[3]، وقد ذكر الزمخشري أن مجيء (لا) مع القسم لغير هذا المعنى (أي التأكيد) في الإثبات، لا يأبى مجيئها في النفي ، لأن (لا) لما زيدت مع القسم وإن لم يكن المقسم به، دل على ذلك على أنها إنما تدخل فيه لتأكيد القسم، فإذا دخلت حيث يكون المقسم عليه نفيا، تعين جعلها لتأكيد القسم، فقوله (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) يأبى استواء النفي والإثبات فيه[4].

تبدو الغاية من استخدام الفعل الماضي (أقسم) هي التأكيد، لأن الفعل الماضي يفيد القطع بوقوع الحدث، إذ تُفضِي دلالة هذا القسم إلى تأكيد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وإثبات النبوة له، ويدعم هذا التأكيد مجموعة من القرائن التي تؤكد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وتفند التُهم التي لاقاه بها المشركون من أنه قوله شاعر وقول كاهن، ومن هذه القرائن الفعل المضارع (تبصرون) المثبت والفعل المضارع المنفي (لا تبصرون) متصلا بالواو الفاعلية المختصة بالفعل والحاضرة وقت الخطاب، وقد ورد مكررا مرتين ما يؤكد إنزال الوحي إلى الرسول صلى الله

1– ينظر: سيبويه، الكتاب، 101/3و503.

2– حسين نصار، القسم في القرآن الكريم، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد – الظاهر، الطبعة الاولى، 1421هـ–2000م، ص 51.

3 – إرشاد العقل السليم: 27/9.

4 – ينظر: هامش الكشاف، 528/1 وص529.

عليه وسلم وتجدده، وهو الأهم في تفنيد أقوال المعارضين، ومادام القسم بكل ما يبصر الإنسان وما لا يبصر فإن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق في إثبات وتأكيد دعوته وصموده أمام من يحاول تحدي القرآن الكريم، وقد ساهمت الوسائط النحوية في توكيد صدق الرسول وقدرته على الاستمرار في التحدي، وهذا واضح في الجملة التأكيدية (إنه لقول رسول كريم) التي تظهر استحالة أن يكون هذا القول قول شاعر أو كاهن فاستخدام (لا) لنفي المضارع (تبصرون) تزيد من لجهة التحدي فكأنه يقول إن كان في شعرائكم من يستطيع أن يأتي بمثله فليفعل وإلا فعليه الإيمان بأنه مُنَزل من عند الله عز وجل، فهذا الاستدلال الخطابي يُثبِت العجز أمام فخامة البلاغة القرآنية، كما يُظهِر استصغارا لشأن المعارضين والمكذبين الذين هم أضعف وأعجز على التحدي إذ لم يستطيعوا طول هذه المدة.

وهكذا فإن جملة القسم التي تتوسط النفي إذ وقعت بين أداة النفي (فلا أقسم) وجملة النفي (بما لا تبصرون) تحدث المزيد من التوكيد، من خلال موقع أداة النفي وموقع الفعل وزمنه الذي يفتح المجال أمام أسلوب النفي ليعمل على تحقيق دلالة الجمل المنفية لتثبت الحدوث وتجدده.

وهناك من العلماء من ذهب إلى أن (لا) في هذا السياق نافية ففي قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الواقعة :75]، يقول الفراء في وظيفة لا هنا:« هي نفي، والمعنى ليس الأمر كما تقولون، ثم استأنف (أقسم)، وقد يقول الرجل: لا والله ما كان كذا فلا يريد به نفي اليمين بل يريد به نفي كلام تقدم أي ليس الأمر كما ذكرت بل هو هكذا»[1]، فالفراء يفسر مجيء القسم بالرد على قول المشركين مبتدأ بلا النافية، ردا لكلام قد مضى، ولو حذفت(لا) النافية التي وردت قبل استئناف القسم، كان استئناف القسم بمثابة القسم الذي يقع جوابا لذلك الكلام الماضي.

أما الماوردي فقد ذكر لذلك وجهان أحدهما: أنه إنكار أن يقسم الله بشيء من مخلوقاته فتكون بهذا (لا) صلة زائدة، ومعناه أقسم، أما الوجه الثاني: أنه يجوز أن يقسم الخالق بالمخلوقات

1 – ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ- 1964م، 223/17.

تعظيما من الخالق لما أقسم به من مخلوقاته فيكون قوله (فلا) راجع إلى ما تقدم ذكره، ومعناه فلا تكذب ولا تجحد ما ذكرته من نعمة وما أظهرته من حجة ثم استأنف كلامه فقال: أقسم بمواقع النجوم[1].

وذهب الرازي إلى أن الرأي المعقول هو اعتبار (لا) نافية على أن في الكلام مجازا تركيبيا، وتقديره أن نقول: (لا) في النفي هنا هي مثل (لا) في قول القائل: لا تسألني عما جرى علي، يشير إلى ان ما جرى عليه أعظم من أن يشرح أي المراد تعظيم الواقعة لا النهي، فمثل هذا موجود في القسم من وجهين: إما لكون الواقعة في غاية الظهور فيقول: لا أقسم لا يريد به القسم ونفيه وإنما يريد الإعلام بأن الواقعة ظاهرة، والوجه الثاني يعني أن قوله (فلا أقسم بمواقع النجوم) أي الأمر أظهر من أن يقسم عليه أو يشك فيه[2].

يتضح من خلال ذلك أن الاتساع الدلالي لأسلوب النفي وتأقلمه مع أسلوب القسم يُسهِم في إدراك المعنى المقصود للجملة، فإنه يمكن النظر إلى أن جملة النفي في هذا السياق إما للتأكيد على الاقسام بمواقع النجوم لعظمتها وتفخيمها عند الله عز وجل وإما لنفي القسم بمعنى أن الله لا يقسم بشيء من مخلوقاته فهي جواب لكلام مضى، ما يعني أن هذا الأسلوب يؤتى به إما لتأكيد النبأ المقسم عليه فيصير ظاهرا لا يحتاج إلى قسم ولتعظيم المقسم به إذ لا يحتاج بهذا إلى تفخيم وإنما أقسم به للتأكيد، وإما أن يؤتى به لنفي القسم.

ونجد الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ [البلد: 2،1]، يرى أن في هذا القول لم يقصر الأمر على النفي دون الإثبات إذ لقى قوله (لا أقسم بهذا البلد) بقوله ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد: 4] ولهذا فإن (لا) النافية زيدت للتوكيد، كما أن جواب القسم هذا يدل على أن حلول الرسول صلى الله عليه وسلم به في الحاضر والمستقبل مؤانسة له[3].

يقسم الله عز وجل في هذه الآية بالبلد الذي يقيم به الرسول صلى الله عليه وسلم لحظة الخطاب، والذي يتحقق حضوره وإقامته به بقوله (وأنت حل بهذا البلد) وهو حضور فعال يسعى

1 – الماوردي، النكت والعيون، تحق ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، 462/5.

2 – ينظر: مفاتيح الغيب، 425/29–426.

3 – ينظر: الكشاف، 659/4.

الخطاب القرآني من خلاله إلى تأكيد فاعلية الرسول صلى الله عليه وسلم فيه وعمله على تطهيره كما يؤكد على مكانته المقدسة كما قدس هذا البلد الحرام عند الله عز وجل ، ويدعم ذلك مجموعة من الوسائط التعبيرية، ففي الآية الأولى يقسم الله عز وجل بالبلد الأمين وهو البلد الذي به الكعبة الشريفة مؤكدا على قداسته وهذه القداسة تزداد بحلول الرسول صلى الله عليه وسلم به، كما نلمس استخدام الأسلوب التأكيدي (لقد خلقنا الإنسان في كبد) إذ يزيد في تأكيد المعاني ككل والتي تسهم في رسم تفاصيل خلق الإنسان لتعمل على إثبات النتيجة الحتمية لمآله وقدرة الله عز وجل عليه، واستخدام الأفعال الماضية (أقسم، لقد خلقنا) التي تفيد القطع بحدوث الأفعال للقطع بقدرة الله عز وجل في جواب القسم، نلمس من خلالها الاستخدام المكثف للأساليب التأكيدية والتي تقدح في مجال تأكيد المقسم به وإثبات جواب هذا القسم.

ومن القسم الوارد في القرآن الكريم بالفعل (حلف) قوله تعالى:﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴾ [النساء : 62].

أي يحلفون ما قالوا ما نُقل إليهم مما يورث إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم فـ (يحلفون بالله) هي حال الذين جاؤوا الرسول صلى الله عليه وسلم وقولهم (إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا) عنوا بها: ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق، فلا تؤاخذنا بما فعلنا[1].

وفي هذه الآية تنديم لهؤلاء المنافقين بما يجر عليهم النفاق من شر وشؤم، وأن عاقبة هذا الالتواء إنما هو الخزي والخذلان، وأنهم حين يحيق بهم مكرهم السيئ واحتكامهم إلى غير كتاب الله عز وجل ورسوله، يفزعون إلى الرسول بوجوه وقاح لا حياء فيها ويحلفون كذبا ما أرادوا إلا الصلح، وهذا عذر غير مقبول لأن خلافهم متعمد[2].

يظهر اعتداد المنافقين بأنفسهم بشكل واضح منذ مجيئهم الرسول صلى الله عليه وسلم إذ يستهلون قولهم بالحلف الكاذب، الذي يوحي من خلال استخدام الفعل المضارع (يحلفون) على استمراره وتجدده فيه، والذي يظهر هذا الحلف كاذبا استخدام لفظ الجلالة مقسما به (بالله) لأن إيمانهم بالله لو كان صادقا لما احتكموا لأحد غير رسوله، ثم يعمدون إلى إثبات صدقهم بنفي

1 – ينظر: إرشاد العقل السليم، 196/2.

2 – ينظر: التفسير القرآني للقرآن، 824/3.

نواياهم السيئة كجواب مقسم عليه(إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا) ليقرروا من خلاله براءتهم كما أقروا في جملة القسم بإيمانهم، ويسهم الموقع الذي احتلته جملة القسم في الآية باعتبارها حال لمن جاءوا الرسول في تأكيد حالة الخذلان التي لاقاها المنافقون جراء مكرهم، كما يُؤَكد التواؤهم من خلال جملة الجواب المنفية (إن أردنا) والتي تفيد النفي القطعي بأنهم ما ابتغوا غير الصلح، وهذا حاول المنافقون إثبات الولاء للرسول صلى الله عليه وسلم بمزاعمهم الماكرة التي لا يجاريهم فيها أحد ولا يملك أحد من البشر أن يعرف حقيقتها لولا بلاغة القرآن الهادفة والتي تضع لكل مقام خطابا يصور ويكشف حقيقة الخفايا النفسية الباطنة، فجملة (ثم جاءوك) تثبت رجوع المنافقين للرسول صلى الله عليه وسلم بعد الفزع الذي أصابهم قطعا لأن مجيئهم قطعي إذ استدل عليه بالماضي، ثم الحلف الكاذب من قبلهم والذي انتقل فيه إلى زمن المضارع لإثبات حال الفزع المستديمة بهم حيث حاولوا بهذا استمالة الرسول صلى الله عليه وسلم وإثارة شفقته عليهم، ثم مجيء جملة النفي مزيلة كل شك في أن ما أرادوه يستحق أن يشفع لهم عنده، ولهذا فإن تغليظ القسم باستخدام (يحلفون بالله) حاولوا من خلاله تأكيد القطع بلهجتهم المتوسلة نفاقا، وأسهم النفي من خلال وقوعه مقسما عليه في اكتناف دلالة القطع الذي لا يتخلله زيف لمحاولة تأكيد صدقهم المزعوم وهذا الالتواء اللغوي من قبلهم وإن كان محكم التركيب قد أظهر حقيقته الخطاب القرآني، فإصرار الأسلوب القرآني اتباع المنهج النفسي وجعل الغايات النبيلة والسامية دستور الفصل في الخطاب جعل من أسلوب القسم الذي يؤتى به للتأكيد السبيل إلى كشف الحقيقة بل وانتقاله من تأكيد الخبر لصالح القائلين إلى وسيلة تؤكد كذب هؤلاء وتكشف مكرهم من خلال التراكيب وهذا من بلاغة القرآن لا غير.

ومن النفي الوارد في سياق القسم الصريح قوله تعالى:﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم:44].

معناه أولم تكونوا أقسمتم على إرادة القول، وفيه وجهان: أن يقولوا ذلك بطرا وأشرا، لما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه، وأن قالوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا، وما لكم

جواب قسم، وإنما جاء بلفظ الخطاب بقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل: مالنا من زوال، فكان معناه أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزلون بالموت والفناء[1].

فلما ذكر قبل هذه الجملة طلبوا الذين ظلموا من ربهم تعين أن الكلام الواقع بعدها يتضمن الجواب عن طلبهم فهو بتقدير قول محذوف، أي يقال لهم، وقد عدل عن الجواب إلى التقرير والتوبيخ لأن ذلك يستلزم رفض ما سألوه، وافتتحت جملة الجواب بواو العطف تنبيها على معطوف عليه مقدر هو رفض ما سألوه والتقدير: كلا أولم تكونوا أقسمتم[2].

يظهر القسم في هذه الآية بصورة غير تقليدية، إذ استخدم الاستفهام الإنكاري سابقا لفعل القسم توبيخا على هذه الحال، لأن هذا القسم يحمل نوعا من المبالغة التي تظهر في صورة تحد غير لائق تؤكده جملة النفي (مالكم من زوال) وقد حذف جواب القسم وحلت محله جملة النفي لإظهار التعنت والجهل الذي بقوا عليه واقسامهم المؤكد على البقاء في الحياة الدنيا، فكان حذف الجواب لتأكيد عدم تحقيق الاستجابة، وقد تضافرت الوسائط الأسلوبية في تأكيد هذا التيئيس إذ تقدمت جملة الاستفهام الإنكاري القسم ف (لم) النافية تجعل حال المضارع قطعي الحدوث في الماضي وهذا التقديم للنفي يمنح بعدا دلاليا عميقا يتمثل في حدة اللهجة المستخدمة في النفي، ومع وجود النفي بعد فعل القسم فغن لهجة النفي تشتد أكثر، ما يدعم صحة المعاني المطروحة ويقطع الشك في هذا التأكيد التيئيسي، كما أن جملة النفي هذه تدل على التحدي الصريح من قبل هؤلاء على خلودهم، وهنا تجلى دور الاستفهام الإنكاري الذي وبخ به هؤلاء على تعنتهم فكأنه يتقطع السبل أمامهم كي لا يرجوا نجاة ولا ينتظر جوابا، وهذا التأكيد على عدم الإجابة هو ما تقطع به الجملة المنفية(من قبل) التي تتقدم جملة النفي إذ كان لكم قبل هذا الحال إصرار على عدم بلوغه، ويدعم ذلك العطف الذي يسهم في حالته هذه إلى إضافة حال سلبية وهي الجواب (كلا) أي الرفض إضافة إلى إبراز صفة الجهل القائم في أذهان هؤلاء والذي ثبت على مستوى صياغة القسم على عدم الزوال، لأن جملة (مالكم من زوال) تقطع بثبوت تلك

1 - ينظر: الكشاف، 565/2.

2 - ينظر: التحرير والتنوير، 248/13.

الصفة فيهم ومن هذا نلمس خذلان الآمال الدنيوية للمقسمين على عدم الزوال لما تعلقوا بها معتقدين الخلود.

فنستشف من هذا التضافر بين النفي والقسم محافظة على لهجة التوبيخ التي تؤكدها جملتا النفي، ويدعهما حذف جواب القسم الذي يثير فضول المتلقي ويفتح المجال أمامه ليتوقع مضمون الجواب، ما يزيد الشعور بالخشية من عذاب الله، الذي يبدو غامضا في هذا السياق ولكنه معروف في ذهن الإنسان الواعي بقضاء الله والعالم بأحوال النار.

النفي الوارد في سياق القسم غير الصريح:

من النفي الوارد في سياق القسم غير الصريح والذي يقدَر فيه فعل القسم في القرآن قوله تعالى:﴿ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾ [الأنعام: 23].

عبر عن جوابهم بالفتنة لأنه كذب ووصفه تعالى بروبيته لهم للمبالغة في التبرؤ من الإشراك، فقالوا (ربنا) على النداء لإظهار الضراعة والابتهال في استدعاء قبول المعذرة وإنما يقولون ذلك مع علمهم بأنهم بمعزل من النفع وحمله على معنى ما كنا مشركين وما علمنا في الدنيا أننا على خطأ، ولا ينبغي الاعتقاد أن لهم عذرا، أما مقدرهم على الاعتذار في الجملة فقد أبطلها قوله تعالى:﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾[الأنعام: 24]، فإنه تعجيب صريح من إنكارهم صدور الشرك عنهم في الدنيا[1]، ففي هذه المواجهة كشف لهم عن التهمة، وعن تلبسهم بها، دون أن يستمعوا إلى الحكم وإلى العقوبة التي يُؤخذون بها[2].

في الجملة القسم غير الصريح (والله ربنا) يقسم المشركون في الآخرة على عدم إشراكهم بالله عز وجل في الدنيا إذ وصفوه بقولهم (ربنا) لتوكيد مصداقية نسبة تلك الصفة لله تضرعا منهم ولتأكيد نفيهم الشرك الصادر عنهم في الدنيا، فعندما يأتي هذا الفعل (الإشراك) على صيغة فاعلين أي مشركين فإنه يؤدي مزيدا من الدلالة على تنصلهم من فعل الشرك وإتباعهم التوحيد الذي دُعُوا إليه في حياتهم الدنيا، ونفي أن يكونوا أشركوا بـ (ما) النافية يدعم جملة الإنكار الواقعة جوابا للقسم، غير أن وصف الله عز وجل لحال هؤلاء بالفتنة يقيد حرية الاعتذار المطلق ويجعل

1 – ينظر: إرشاد العقل السليم، 120/3.

2 – التفسير القرآني للقرآن: 153/4.

ادعائهم الكاذب عرضة للتعجب، فلا ينالون جزاءاً وإنما يتكون في طي الانعدام فلا يعلمون ما يُفعل بهم.

وجملة النفي التي تتقدم جملة القسم (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا) تشترك في المعنى التأكيدي على كذبهم مع جملة النفي (ما كنا مشركين) التي تعتبر تلبسا إنكاريا يدل على انعزالهم التام عن النفع بهذا الكذب الغريب، كما أن حذف فعل القسم (أقسوا والله ربنا) كان للاهتمام والاشتغال بفكرة التوحيد والتحسر على الابتعاد منها في الدنيا واعترافا منهم بسوء الشرك، ولالتماس العفو من الله عز وجل وهم بعيد من ذلك، فهذه الجمل تصب في بَوْتقة واحدة وهي محاولة إسقاط التهمة عن أنفسهم، ولكن هيهات للكاذب أن ينجوا، وهو الحكم الرباني الذي يقضي بالحق، فجزاؤهم ورد حتى قبل أن ينبذوا التهم عن حالهم إذ ذكر بأن محاولة الإنكار ونفي الجريمة هي فتنهم وهي بمثابة الحد الأقصى الذي بلغوه بكذبهم الصريح. فدلالة المعنى العام للآية تم من خلال تلك العلاقة المتناسقة بين جملتي النفي وجملة القسم.

وقد يتضافر أسلوب الشرط مع أسلوب النفي ليدعمه في بلوغ المعنى الدلالي للقسم نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[الأعراف: 23].

جزم آدم وحواء عليهما السلام بأنهما يكونان من الخاسرين إن لم يغفر الله لهما، إما بطريق الإلهام أو الوحي، وأما بالاستدلال على العواقب بالمبادئ، وقد أكدا جملة جواب الشرط بلام القسم ونون التوكيد إظهارا لتحقيق الخسران استرحاما واستغفارا من الله تعالى[1].

فهذه الآية تعتبر جوابهما واعتذارهما، لما كان منهما فقد ظلما أنفسهما بارتكاب المعصية فهما في معرض الهلاك والخسران إن لم يغفر الله لهما لمّا أكلا من الشجرة[2].

الملاحظ أن استخدام القسم (لنكونن) كجواب للشرط يُحقِق غاية آدم وحواء في إثبات الندم والتوبة، وسبق الاعتراف بعاقبة من يعصي الله عز وجل بجملة الشرط التي تحمل دلالة الخضوع لحقيقة الإذناب ومن ثمة الاستغفار دعم لهذه التوبة، فالشرط بـ(إن) يأتي مؤكدا حصول الخسران بعدم حصول المغفرة، فلولا مغفرة من الله لكانا من الخاسرين، لأن القسم التأكيدي

1 – ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 8 /67.

2 – التفسير القرآني للقرآن: 382/4.

(لنكونن) يقضي بالقطع العام الدلالي للخسارة فلا سبيل للنجاة بعد ذلك إلا بمغفرة من الله، وما يؤكد هذه الدلالة العامة هو جملة النفي (لم تغفر لنا وترحمنا) لأن (لم) تجعل خلاصة الزمن إلى الماضي بمعنى أن الله عز وجل عالم بمعصيتهما وهما يرجوانه الصفح وخسارتهما قائمة على أمل منهما ألا يتحقق هذا النفي بمعنى أن يغفر الله لهما، ففي هذه الآية يؤكدان أن الله عز وجل هو صاحب المغفرة والرحمة ويستحق أن يتذللا إليه راجين عفوه لا كما فعل إبليس حين استكبر ولم يقر بذنبه لمّا أمره الله عز وجل بالسجود لآدم.

فهذه الأساليب المتناسقة أسهمت في توكيد هذه المعاني وإقرارها فـ (إن) الشرطية الداخلة على جملة النفي (لم تغفر لنا) تُؤذِن بالجواب القسمي الذي ينبغي انتظاره، وتؤكد جملة الجواب (لنكونن من الخاسرين) المباينة الشديدة بين حالتيهما وقت ارتكاب المعصية وحالتهما بعد ارتكابها، فهما لم يمتثلا لأمر الله إذ نهاهما أن يقربا تلك الشجرة، ولَمَّا لم يستجيبا لذلك كانا ظالمين وهذه المعصية ثابتة منهما هذا ما تؤكده جملة القسم، لكن الذي يتغير ويتجدد هو (إن لم تغفر لنا وترحما) فالجملة الفعلية تؤكد أن المغفرة والرحمة من الله عز وجل للتائبين وتتجدد بتجدد استغفارهم وبمشيئة من الله، وهنا يتجسد دور جملة الجواب إذ تأتي جازمة وقاطعة بأنهما سيخسران إن لم يتحقق الشرط لا في تلك اللحظة ولا في المستقبل، ذلك ما ينبو به جواب الشرط المؤكد بلام القسم ونون التوكيد، فالمعنى الدلالي العام لهذه الآية يأتي نتيجة اتحاد الشرط والنفي والقسم.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى:﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم:46].

قوله: لئن لم تنته لأرجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير، فمعناه والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لأرجمنك بالحجارة وقيل باللسان، واهجرني مليا بمعنى احذرني واتركني زمنا طويلا[1]، ولام القسم في قوله (لئن) موطئه للقسم تأكيدا لكونه راجمه إن لم

1 – ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 268/5.

ينتهي عن كفره بآلهتهم، وجملة واهجرني مليا عطف على جملة لئن لم تنته لأرجمنك وذلك أنه هدده بعقوبة آجلة إن لم يقلع عن كفره وبعقوبة عاجلة وهي طرده وقطع مكالمته[1].

حيث تتنوع الوسائل المؤكدة في هذه الآية بدءا باللام الموطئة للقسم يليها الشرط التأكيدي بجملة النفي (لم تنه) والتي تفيد تأكيد النفي، إلى القسم وجوابه المؤكد بنون التوكيد الثقيلة (لأرجمنك) ثم العطف المؤكد لجواب القسم (واهجرني مليا)، ولكن الدور الأبرز بين هذه الوسائط المؤكدة هو المدلول الذي تُلقِي به جملة الشرط المنفية (لم تنته) فهذه الجملة تقطع بما تقطع به اللام الموطئة للقسم وإن الشرطية من عدم امتثال إبراهيم عليه السلام لأمر أبيه بالانتهاء عن الكفر بآلهته، فاستخدام هذه المؤكدات التي تدل على حدة اللهجة التي خاطب بها ابنه تهديدا وتحذيرا منه تنبو عن إصراره على الكفر في حين يُصِر نبي الله إبراهيم عليه السلام على دعوته إلى التوحيد، فاستَخدَم هذه اللهجة بعد أن أيقن أنه لن يكف عن احتقار آلهته، إذ الفعل المضارع المنفي بـ(لم) يؤكد بصورة قاطعة وقوع إساءة رسول الله لهذه الأصنام، وكان النفي بـ (لم) موافقا لإفادة التهديد الذي حذر منه، إذ هذا القطع الحاصل جر العقوبة الحاصلة له وهي جواب القسم (أرجمنك) الذي يحمل دلالة المبالغة في التهديد المؤكد بالجملة المعطوفة (واهجرني مليا)، فنشعر من هذا أن والد إبراهيم عليه السلام اضطر إلى استخدام هذه الطريقة العنيفة في القسم ليؤكد صدق ولائه لآلهته وجدية معاقبة من يَطالها بسوء أيًا كان. وهذا التأكيد على الحمية الثائرة للأصنام أسهم العطف في إبرازها بشكل كبير إذ أضاف الحدث الذي تحمله الجملة الأولى وهو العقوبة الآجلة إلى الحدث الذي تحمله الجملة الثانية أي العقوبة العاجلة، ما يجعل المعنى أعمق في ذهن المتلقي ويُبرِز الغاية التي يُحقِقُها اتحاد القسم والنفي.

ومن الواضح أن جملة جواب القسم تصلح لأن تكون جوابا للشرط ولهذا حُذِف جواب الشرط فجملة (أرجمنك) تفي بالغرض وهذا الاكتفاء هو استعمال حيوي فقد جاء الشرط بـ(إن) والتي تُفِيد أن ما حدث غير متوقع الحدوث مع أن كفر إبراهيم عليه السلام بالأصنام قد صدر منه، فهذا الاستعمال للشرط فيه تعجيب من حال عدم الانتهاء ما يعني أنه كان يتوقع أن ينتهي ويعبد الأصنام مثله، وهنا يتجلى دور النفي بـ(لم) الذي قطع وجزم بوقوع الحدث، ليكون جواب

1 – ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 16/119-120.

الشرط هو جواب القسم الذي نال العناية من خلال القطع بضرورة الرجم، وذلك يؤكد على حقيقة التهديد وشدته ويدفع ذهن المتلقي للتركيز على معنى الجواب ومدى فظاعته إذ يحمل مجموعة من المدلولات التي تجعل المتلقي يُدرك شدة الغضب الذي انتاب والد إبراهيم عليه السلام فمعنى لأرجمنك «لأرمينك بلساني، يريد الشتم والذم، ومنه الرجيم المرمي باللعن، أو لأقتلنك، من رجم الزاني، أو لأطردنّك، رميا بالحجارة وأصل الرجم: الرمي بالرجام»[1].

لنلحظ من هذا الشحن الحيوي للجمل تأثيرا انفعاليا يعمل على بلوغ عمق الإحساس الباطن لصاحب الخطاب، وما ذاك إلا أن الأسلوب القرآني ينتقي أخير الأساليب ويُوظِف أدق التراكيب التي تُحرِك الذهن المتلقي ليتفاعل مع الخطاب ويشارك بكيانه في تحديد الصواب، وإن كان قد تبين الرشد من الغي فإن القرآن الكريم لا يُغيب العقل المفكر والمتدبر.

وفي ختام هذا الفصل ومن خلال النظر في الجملتين الفعلية والاسمية المنفيتين في القرآن الكريم يمكن القول بأن النصوص القرآنية يندمج فيها كلا النوعين اندماجا يقوم على تشكيل البنية النصية ككل، ويكشف المعنى الدلالي الشامل للنص، فتوجيه الخطاب بمختلف المواد اللغوية يُؤدِي إلى خلق الدلالة الموحدة للنص، كما يُسهِم التضافر بين أسلوبي الشرط والقسم مع أسلوب النفي في زيادة الطاقة التأثيرية للجمل القرآنية، ذلك أن المزج بين هذه الأساليب يفتح الباب أمام المعاني والدلالات الفاعلة لتأكيدها وتحقيقها فالحشد اللغوي المتين يُسهِم في استيعاب المعاني المطروحة، و يُؤدي دورا تكميليا لفهم النص القرآني إذ يعمل على توكيد المعاني والقطع بها كما يسهم في بلوغ الأثر النفسي لدى المتلقي.

وهكذا فإن علاقة الجمل المنفية بالأساليب المختلفة وبالقضايا المطروحة تبلور السمة المفتاحية لفهم النص القرآني الذي يحتضن هذه الأساليب ويُحوِل استجابة المتلقي إلى وسيلة يفهم بها المعنى الشامل للخطاب القرآني.

1 – الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 20/3.

الخاتمة

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة بالبحث والتمحيص أساليب النفي في الخطاب القرآني معتمدة على استقصاء واستخراج أبنية التراكيب القرآنية، حيث يتميّز النّص القرآني بقدرته الإعجازية على انتقاء التراكيب المتلائمة مع المعاني، وفي هذا الانتقاء شحذ لذهن المتلقي، ذلك أن تفاعل المتلقي هو ما يفتح الباب أمامه لفهم هذا النص ويمنحه فرصة ليحيا في ظلاله، لذا وَضَعَتْ الدراسة في مقدمة أغراضها تمييز المقاصد البلاغية للجمل القرآنية المنفية، وبالعودة إلى فصول الدراسة السابقة يمكن تحديد أهم النتائج التي توصلنا إليها في النقاط الآتية:

– قدَّم أسلوب النفي في الخطاب القرآني بتراكيبه ودلالاته ولوحاته الفنية صورة متكاملة عن المعنى في النص القرآني الذي يعتمد الجمل المنفية المختارة بدقة، لتمييز تفصيلات الواقعة المحكية في مجملها.

– أظهرت التراكيب المنفية في القرآن الكريم أن الاختلاف النوعي لأدوات النفي يُخضِع التراكيب لنظام نحوي خاص، فتصدر هذه الأدوات للتركيب يجعل معنى النفي يهيمن على الجملة ومنها يتحقق النفي الكلي والذي بدوره يَسُوق إلى الجملة معاني دلالية عديدة بحسب الوظيفة الدلالية للأدوات وإن كانت في شكلها العام تشترك في معنى النفي.

– اتَّضح من تحليل الجمل المدروسة أن قواعد التحويل الخاصة بالنظرية التوليدية التحويلية تكتسب مرونةً من خلال التعامل بها في الجمل القرآنية، التي تنسجم مع بعضها لتشكل وحدة نصية، ولابد من التعامل مع النّص القرآني باعتباره وسيلة لتطبيق هذه القواعد، فاستنباطها من الجمل القرآنية يستدعي فهماً وتدبُّراً لأحوال النَّص كما وجدنا في أمهات التفاسير، وهو رقيٌّ في التفكير اللغوي، بما يُثْبِتُ أنَّ نشوءَ النظريات اللسانية الحديثة هو في الحقيقة مسبوقٌ برؤى فكرية متناثرة من قبل اللغويين العرب.

– أخذت ظاهرتا التقديم والتأخير والذكر والحذف طابعا تحويليا خاصا في الجملة المنفية فيما تخرج إليه من معان بلاغية عديدة كالتخصيص والاهتمام، والتعريض والمدح، والتهويل والتشويق، فهذا العدول في جمل النفي يعمل على توجيه الخطاب القرآني لإضافة معان تصويرية وبلاغية تُضفِي على النص قيمته الإعجازية.

– تبدو ظاهرة التحويل الدلالي في أساليب النفي للخطاب القرآني مَلْمَحاً أسلوبياً فريداً، فتعبيرية النفي بالاستفهام والاستثناء تجعل التعبير حيّاً موحيا يُخَاطِبُ عُقُولَ المتلقين وقلوبَهم فيؤثر فيها، إذ البنية النصية القرآنية أوسع من تقييدها بتراكيب معيّنة أو حصرها وفق دائرة أسلوبية محسوبة المساحة، وهذا ما يجعل النص القرآني يخرج بدلالات أغزر وأغنى.

– يُشَكّلُ التضافرُ بين أسلوب النفي وأسلوبي الشرط والقسم دعامة تركيبية قوية على المستوى الأسلوبي، فهذا يُسْهِمُ بقدر كبير في توكيد المعاني وتقريرها ويمنح قيمة دلالية تحافظ على المقصد البلاغي للخطاب القرآني، فتنوع الوسائط التعبيرية المستخدمة في جمل النفي في القرآن الكريم من الشرط إلى القسم إلى الاستفهام والاستثناء، يؤدي دوره الفاعل في خدمة المعاني المطروحة ودعمها.

– تكرار النفي يؤدي دورا وظيفيا مهما في توكيد الدلالات كما يعمل على التأثير في انفعالات المتلقي بالمعاني المطروحة ويسهم في كشفها.

– يُسهِم أسلوب العطف بشكل فعَّال في ترابط النص وتماسكه، ويدفع المتلقي تدريجيا لإدراك السياق الكلي للنص، فأسلوب العطف يقف في مقدمة المُرَكَبَات التي تعتمد على التكرار في جمل النفي لتوضيح المعاني وتجليها.

– تأمل العدول اللغوي الذي تحويه الجمل المنفية في القرآن الكريم والتضافر التعبيري الذي تتضمنه بعض سياقات النفي، يكشف المقصد البلاغي للآيات فالتراكيب القرآنية تحمل ذلك الوجه البلاغي الذي يُعِين على بلوغ الغايات القرآنية.

– تُوحِي التراكيب القرآنية ومن خلال ملاحظة مفرداتها أن الدلالات الأساسية للتراكيب في اللغة تتغير وتأخذ معاني جديدة فلا يحمل التركيب ذات المعنى الذي نصادفه في بعض استعمالاته اللغوية، وذلك راجع لتلك القيم والعلامات التي يُدلي بها النسج القرآني للتراكيب والتي تحتاج فهمًا ذا مستوى تحليلي متقدم، ذاك أن الاستعمال القرآني بشكله التركيبي يتولى بلوغ الوجدان عن طريق هذه اللغة والتي تجعل للتركيب شكلا خاصا ناجما عن المعنى البلاغي المنساق عنه، فيختلف معنى التركيب باختلاف المقصد البلاغي، وبالتمحيص في الآيات القرآنية يتضح أن أي انحراف لتراكيب الجملة عن مواقعها الأصلية له شأن كبير في التأثير على المعنى وتوكيده.

– تقرر لنا من خلال ملاحظة عمل تعبيرية النفي مع الأساليب المختلفة أن الخطاب القرآني يُولي أهمية لتناول الفكر للمعنى وتناول الوجدان له فيدمجهما، حيث أن تأثير التراكيب على المعاني يجعل الجمل المتضافرة تُشكل لُحمة فكرية تُعبر عن أفكار مؤثرة، لأن الأفكار تُمثل تلك الوحدات التي تُكَون المعنى وبالتالي المقصد الذي يتبدى للمتلقي ويُحرِك وجدانه، فيتناول كل من المعنى بفكره ووجدانه.

– صلب البحث من قبل المفسرين في الجمل المنفية يقوم على إعادة المعاني إلى العلاقة القائمة بين التراكيب وهذه المعاني لبلوغ غاياتها البلاغية، فاندماج المنهج النحوي مع المنهج البلاغي ولد النظرة الشمولية الهادفة من قبل المفسرين، فكانوا حجر الأساس في الكشف عن علاقة التركيب بالمعنى الدلالي.

– أبان البحث أن المفسرين الأوائل خاصة من عهد الزمخشري ومن لحقه، أسسوا لاتجاه جديد يعمل على دراسة الخطاب القرآني وفق نظرة شاملة تلم بالنص ككل، فالانطلاق من النص القرآني من قبلهم رسم لمنهج نصي في الدراسات اللغوية.

– برهنت جهود البلاغيين والمفسرين أن علم المعاني مبحث مهم لبلوغ المعنى الدلالي الشامل للنص من خلال دراسة تراكيبه النحوية والنظر إليها نظرة نصية متكاملة، فهذا الاحتواء للجانبين النحوي والبلاغي يسهم في تحديد المعايير النصية للدراسات اللغوية العربية.

– ظهر من خلال البحث في النصوص القرآنية أن تلك النظرات والإشارات التي توصل إليها المفسرون، تفتح السبيل لدراسة وتحليل النصوص اللغوية المختلفة على ضوء ما قدموه،كما تجعل لأسلوب النفي بابا واسعا يتميز ويتفرد به كباقي الأساليب فعُمق ما توصل إليه جماعة المفسرين في دراستهم للنفي متعلق بالأسرار الفريدة التي تحويها تراكيبه.

وفي الأخير فإن الخطاب القرآني بإعجازه غير المتناهي كان الفتح الذي أسفر عن هذا الفهم المبكر لخصائص الأسلوب من قبل المفسرين، فلم يعتمدوا الجانب النحوي دون البلاغي أو عكس ذلك بل جمعوا الجانبين إضافة إلى الجانب التفسيري وما يقوم عليه من أسس ليشكلوا رؤية فكرية متكاملة.

الفهارس

فهرس الشواهد

القرآنية

السورة والآية	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾	02	131
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨ ﴾	8	45
﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾	09	90
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴾	12-11	
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ١٣ ﴾	13	67
﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾	23	152/151
﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤ ﴾	24	47 / 48 / 151
﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣ ﴾	33	71 / 68
﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾	38	127
﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾	38	127
﴿ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٤ ﴾	64	57
﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ ﴾	67	64

﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ﴾	68	136
﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾	71	136 / 96
﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾	71	140
﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾	74	47
﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	76	69
﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾	85	67
﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾	87	148
﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾	100	64
﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾	102	118
﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾	167	134
﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ ﴾	173	84
﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾	177	136
﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾	177	125
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ	180	10

﴿ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾		
﴿ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ ﴾	189	137
﴿ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾	189	137
﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ ﴾	197	19
﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾	210	63
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ ﴾	219	64
﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ ﴾	237	27
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ ﴾	243	74
﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ ﴾	247	118
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ ﴾	247	122
﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ ﴾	272	10
﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ ﴾	272	45
﴿ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾	273	79
﴿ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾	273	112
﴿ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ ﴾	273	112 / 79
﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ﴾	275	14
﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ ﴾	286	30

		سورة آل عمران
97	19	﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾
67	23	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾
67	25	﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾
84	62	﴿ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾
45	78	﴿ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾
45	108	﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾
67	124	﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾
142	144	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾
82	147	﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾
45	159	﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ ﴾
68	165	﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾
51	182	﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾

﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾	186	158
سورة النساء		
﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ٦٢ ﴾	62	162
﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾	81	134
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾	82	67
﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧ ﴾	87	33
﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾	95	60
﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧ ﴾	117	53
﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ ﴾	157	110
﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩ ﴾	159	53
سورة المائدة		
﴿ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾	33	27
﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ ﴾	91	63
﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴾	99	81
﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ	116 ، 117	85 / 69

		أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾
سورة الانعام		
165	23	﴿ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾
165	24	﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾
93	29	﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾
88	36	﴿ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾
101	50	﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ ﴾
102	52	﴿ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ ﴾
158	109	﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَا ﴾
56	111	﴿ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾
72	143	﴿ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾
سورة الأعراف		
82	05	﴿ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾
72	12	﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ ﴾

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾	23	166
﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ ﴾	33	84
﴿ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١ ﴾	51	29
﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ ﴾	61 ،60	41
﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾	82	92/ 82
﴿ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾	97	64
﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾	172	74
﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ﴾	176	145
﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾	191،192	115
﴿ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ ﴾	195	41
سورة الأنفال		
﴿ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡ ﴾	17	155
﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ	12-11	35

ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ﴾		
سورة التوبة		
﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ ﴾	29	104
﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾	39	53
﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾	40	53
﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾	51	79
﴿ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴾	55/54	87
﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾	53	122
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾	107	49
سورة يونس		
﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾	02	72
﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾	51	64

﴿ وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾	98	138
سورة هود		
﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾	08	52
﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾	13	152
﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾	47	53
﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾	105	116
﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾	120	35
﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾	191	133
سورة يوسف		
﴿ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾	17	149
﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾	31	135 / 45
﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾	35	50
﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾	33	50
﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾	92	68 / 67
﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ ﴾	80	142

سورة الرعد		
﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ ﴾	16	63
﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾	19	87
﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩ ﴾	39	35
سورة إبراهيم		
﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾	2-1	9
﴿ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾	19	145
﴿ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ ﴾	25	138
﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧ ﴾	27	35
﴿ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴾	44	164
سورة الحجر		
﴿ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢ ﴾	32	72
﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٣٢ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٣٣ ﴾	32،33	71
﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ٥٨ ﴾	58	73
﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٩ ﴾	59	73

﴿ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾	60	73
{أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ}	70	73
سورة النحل		
﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾	77	59
﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾	83	29
﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾	102	32
﴿ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا ﴾	111	117
سورة الاسراء		
﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا ﴿٣٧﴾ ﴾	37	5
﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾	39	69
﴿ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ ﴾	40	33
﴿ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾	40	68
﴿ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾ ﴾	52	53
﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾	67	47
﴿ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾	74	35

﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾	88	152
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾	89	93
سورة الكهف		
﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾	05	50
﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾	49	39
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾	60	142
﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾	72	67
﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾	72	68
﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾	103	63
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾	110	41
سورة مريم		
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾	4	46
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾	19/.18	86
﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾	20	32
﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾	26	49

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ ﴾	44	09
﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾	46	168
﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ ﴾	65	62
﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١ ﴾	71	53
﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ٧٧ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٧٨ ﴾	78–77	55
سورة طه		
﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ ﴾	17	67
﴿ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴾	61	142
﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ ﴾	71	64
﴿ وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴾	113	135
﴿ وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴾	113	95
﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴾	/118 119	98
سورة الانبياء		
﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ ﴾	19	18
﴿ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ ﴾	65	45
﴿ وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١ ﴾	111	53

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ ﴾	26	57
﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾	98	63
﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ ﴾	62	68
﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾	08	125
﴿ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٤٠ ﴾	40-39	128
﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾	45	146
﴿ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴾	42	147/146
سورة المؤمنون		
﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٢ ﴾	26	
﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٢ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ٦٣ ﴾	63 – 62	58
﴿ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٠ ﴾	70	58_57
سورة النور		
﴿ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ ﴾	35	96
سورة الفرقان		
﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۙ ﴾	07	126
﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾	41	18

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ﴿٤٥﴾ ﴾	45	74 / 71
سورة الشعراء		
﴿ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾	23	67
﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾	24	64
﴿ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾	28	64
{أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ}	165	73
{وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ}	166	73
سورة النمل		
﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾	14	29
﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾	37	40
﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾	41	67
﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾	80	88
سورة الروم		
﴿ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴾	17	138
﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾	29	77

سورة العنكبوت		
﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾	02	70
سورة لقمان		
﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾	27	56
سورة السجدة		
﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾	13	56
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	22	62
﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ ﴾	29	116
سورة الأحزاب		
﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾	37	44.43
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾	40	62
سورة فاطر		
﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ ﴾	37	60

سورة يس		
﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩ ﴾	29	53
﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٥٣ ﴾	53	53
سورة ص		
﴿ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣ ﴾	03	54
﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴾	03	138
﴿ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ ﴾	8	47
﴿ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾	19/18	111
سورة الصافات		
﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعٞ ﴾	18	79
﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾	24	117
﴿ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ﴾	36،35	84
﴿ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴾	47	131
﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ١٤٩ ﴾	149	33
﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣ ﴾	153	68
سورة غافر		
﴿ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾	84	138

سورة فصلت		
﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴾	18	113/112
﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾	35	80
سورة الزخرف		
﴿ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴾	11	121
﴿ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ ﴾	19	33
سورة الزمر		
﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾	09	87
﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾	36	75
سورة الاحقاف		
﴿ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴾	11	156
﴿ فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾	25	91
﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾	35	76
سورة محمد		
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾	24	67
سورة الحجرات		

﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾	14	47
﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا ﴾	19	33
سورة ق		
وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾	29	45
﴿ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴿٣٠﴾ ﴾	30	63
سورة الطور		
﴿ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	15	33
سورة النجم		
﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾	9	59
﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾	39	83
سورة الرحمن		
﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾	60	67
سورة الواقعة		
﴿ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴾	44-43	96
﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾	75	160
سورة الحديد		
﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾	23	17
سورة المجادلة		
﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ ﴾	2	45

سورة الجمعة		
﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾	3	47
سورة الجن		
﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ ﴾	25	53
سورة القيامة		
﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ ﴾	31	44
﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾	31	92
﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾	31	124
﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾	36	72
﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾	75	
سورة الحاقة		
﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾	40-38	159
سورة الانسان		
﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾	01	138
﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾	08	125
سورة نوح		
﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾	06	81

سورة المرسلات		
﴿ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾	16	74
﴿ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾	31-30	96
﴿ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ﴾	36/35	117
سورة النازعات		
﴿ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾	18	63
سورة الانفطار		
﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾	17،18	100
سورة المطففين		
﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	15	55
سورة الطارق		
﴿ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴿٤﴾ ﴾	04	53
سورة الأعلى		
﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ ﴾	16 – 14	57
سورة الغاشية		
﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ ﴾	1	62
سورة الفجر		
﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴿٤﴾ ﴾	4	32

﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٖ ٥ ﴾	5	63
سورة البلد		
﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾	4	162
﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ١١ ﴾	11	40
﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴾	11	124
﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴾	14،.13	124
﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	17	124
﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾	2-1	162
سورة التين		
﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨ ﴾	8	64
سورة العلق		
﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ ﴾	06	55
﴿ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ ﴾	15	46
سورة العاديات		
﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٞ ﴾	8	10
سورة الماعون		
﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ ﴾	01	64
سورة الكافرون		
﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦ ﴾	سورة الكافرون	99

فهرس الشواهد

الشعرية

أول البيت	الشاعر	الصفحة
أَوَ كُلَمَا وَرَدَت عُكَاظُ قَبِيلَةٌ	طَريف بن تميم العَنْبري	08
لَئِنْ بَعَثَتْ أُمُّ الحُمَيدَيْنِ	أحد الأعراب في الجاهلية	26
وبيضاء من أهل المدينة لم تذق	الفرزدق	26
لا عيب فيهم غير أنَّ سيوفهم	النابغة الذبياني	40
فإن أكُ مأكولا فكن أنت آكلي	الممزق العبدي	45
على لا حِبٍ لا يُهتدى بمناره	امرئ القيس	103
تخيَّرن من أَنهار يومَ حليمةٍ	النابغة الذبياني	109

قائمة المصادر والمراجع

) المصادر و المراجع

*القرآن الكريم

أولاً: المصادر

(أ)

* **الأبياري إبراهيم بن إسماعيل :**

1–الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب،الطبعة الثانية ،1405هـ.

- **ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين :**

2–المثل السائر،تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي بطانة ،دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة.

- الأخفش ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت 215هـ) :

3– معاني القرآن،تحق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي–القاهرة،الطبعة الأولى1411هـ–1990.

- **الأستراباذي ، رضي الدين محمد بن الحسن (ت 686هـ) :**

4– شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1405 هـ1985م .

- الأشموني ، أبو الحسن علي نور الدين (ت 929هـ) :

5 –.شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (منهج السالك) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1419هـ1998 م .

- **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عمر البغدادي(ت 1270هـ) :**

6– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،تح: علي عبد الباري،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1415هـ .

---

(1) لا يُعتدُّ بكلمة " ابن " و " أبو " و" أل " ، ويكون ترتيب أسماء الأعلام القدماء بحسب ما اشْتُهروا به من ألقاب أو كنى ، والمحدَثِينَ بحسب الكنى .

- **الأنصاري، جمال الدين بن هشام(ت761هـ) :**

7- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق : محمد البقاعي ، دار الفكر العربي للطباعة ، بيروت ، لبنان (د/ط) .

8- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق وشرح : عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية، الكويت، ط1، 1423هـ2002م .

(ت)

- التنوخي محمد بن محمد :

9-الأقصى القريب في علم البيان، القاهرة: **1327**هـ.

- **التَفتازني، وشيخ الهند محمود حسن :**

10- مختصر المعاني، مكتبة البشرى، كراتشي- باكستان، الطبعة الأولى **1431** هـ **- 2010** م.

(ث)

- **الثعالبي محمد بن مخلوف :**

11- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبدالموجود، دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى **1418** هـ.

- **الثعلبي ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت 427هـ):**

12- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: **الأستاذ نظير الساعدي** دار إحياء التراث العربي،بيروت،الطبعة الأولى**1422**هـ/**2002**م.

(ج)

- **الجراحي إسماعيل بن محمد :**

13- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تح: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة الأولى، **1420**هـ **- 2000**م، المكتبة العصرية-بيروت.

- **الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت 471هـ) :**

14- دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، الطبعة الثالثة: **1413**هـ **- 1992**م، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة.

15- هامش المفتاح في الصرف ، تح: علي توفيق الحمد ،كلية الآداب ، جامعة اليرموك ،إربد (عمان) مؤسسة الرسالة -بيروت.

- **ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ) :**

16- الخصائص ، تحقيق : محمّد علي النجّار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ط3 ، 1407هـ1987م

(ح)

- **ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد :**

17- الإحكام في أصول الأحكام ، تحقيق : أحمد شاكر، دار الكتاب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 1405هـ

- **الحنبلي أبو البقاء احمد بن محمد :**

18-شرح الكوكب المنير، تح: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الطبعة الثانية: 1418هـ - 1997 م، مكتبة العبيكان، الرياض.

- **ابن حنبل ، أحمد بن محمد (ت 241هـ) :**

19- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- **الحنفي أبو العز علي بن محمد :**

20-شرح العقيدة الطحاوية، تح: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، الطبعة العاشرة: 1417هـ - 1997م، مؤسسة الرسالة – بيروت.

- **أبو حيان ، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي(ت 754هـ) :**

21- البحر المحيط ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،1422هـ 2001م .

(خ)

- **الخباز احمد بن الحسين :**

22- توجيه اللمع ، شرح كتاب اللُمع في العربية لأبي الفتح عثمان بن جني، تح: فايز زكي محمد دياب، الطبعة الثانية: 1428هـ/2007م، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

(ذ)

- **الذبياني النابغة،**

23-ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتعليق: حنا نصر الحتّي، دار الكتاب العربي،بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1411هـ/ 1991م.

(ر)

- **الرّازي ، فخر الدين محمد بن عمر(ت 606هـ) :**

24–المحصول، ، دراسة وتحقيق: طه جابر فياض العلواني، الطبعة الثالثة: 1418 هـ – 1997م ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

25 – مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي–بيروت، الطبعة الثالثة1420هـ.

26–نهاية الايجاز في دراسة الإعجاز،تحق: نصر الله حاجي مفتي أوغلى، دار صادر–بيروت،الطبعة الأولى1424هـ–2004م.

- **الرؤاسي وكيع بن الجراح :**

27– نسخة وكيع عن الأعمش، تح: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائين ،الطبعة الثانية، 1406 هـ، الدار السلفية – الكويت.

- **ابن رشيق أبو علي الحسن القيرواني:**

28–. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة: الخامسة، 1401 هـ – 1981 م، دار الجيل، بيروت، لبنان.

(ز)

- **الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ) :**

29–البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر،ط 1376،1هـ1957م .

- **الزركلي ، خير الدين (ت 1410هـ) :**

30– الأعلام: الطبعة الخامسة عشر – أيار / مايو 2002 م، دار العلم للملايين. بيروت، لبنان .

- **الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر(ت 538هـ) :**

31– أساس البلاغة ، تح: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، 1419 هـ– 1998 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

32– المفصل في صناعة الإعراب ، تح: د. علي أبو ملحم ،الطبعة الأولى، 1993 ، مكتبة الهلال – بيروت.

33–.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، وعلي محمد معوّض ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1407هـ .

(س)

- **السبكي أبو الحسن علي :**

34– الإبهاج في شرح المنهاج ((منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي))، طبعة: 1416هـ/ 1995 م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

35–عروس الأفراح ، تحق: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان،الطبعة الأولى1422هـ–2001م.

- **أبو السعود العماد محمد بن محمد :**

36- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان.

- **السعدي عبد الرحمن بن ناصر:**

37–تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ، الطبعة الأولى: 1420هـ/200م . مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- **السكّاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمّد (ت626هـ) :**

38– مفتاح العلوم، تعليق: نعيم زرزور، الطبعة الثانية،1407هـ–1987م دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان

- **سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ) :**

39–لكتاب، تحقيق وشرح: محمد عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3 ، 1408هـ1988م.

- **ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل:**

40–المخصص، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة الأولى ، 1417هـ–1996م.

- **السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911هـ) :**

41– الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيمالطبعة: 1394هـ/ 1974 م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

42– شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، القاهرة: 1358هـ/1939م،

43– همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية – مصر.

(ص)

- **الصبان، أبو العرفان محمد بن علي :**

44– حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، الطبعة الأولى 1417 هـ –1997م، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان،

(ط)

- **الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ) :**

45– جامع البيان في تأويل القرآن، تح: محمود محمد شاكر ، مراجعة: أحمد محمد شاكر ، الطبعة الأولى، 1420هـ – 2000 م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

(ع)

- العدواني عبد العظيم بن ظافر بن أبي الأصبع :

46– تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

- ابن العربي ابو بكر محمد بن عبد الله :

47–أحكام القرآن، ، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة، 1424 هـ – 2003م ، مدار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

- العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت 395هـ) :

48–ا الفروق اللغوية ، تح وتعليق: محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

- ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله (ت 769هـ) :

49–شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة، العشرون 1400 هـ – 1980 م ، دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه.

50– شرح الكافية الشافية، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، الطبعة الأولى ، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة.

- العلوي يحيى بن حمزة ،

51– الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، الطبعة الأولى1423هـ،

- العيني بدر الدين محمود

52– عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،

(ف)

- ابن فارس ، أبو الحسين أحمد (ت 395هـ) :

53– الصاحبي في فقه اللغة، االناشر محمد علي بيضون، الطبعة الأولى 1418هـ–1997م.

(ق)

- ابن قتيبة ، أبو محمّد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ) :

54– تأويل مشكل القرآن، تحق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان،د.ط.ت.

- **القرطبي ، أبو عبد الله محمّد بن أحمد (ت 671هـ) :**

55- الجامع لأحكام القرآن ،تحق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة، الطبعة الثانية **1384** هـ،**1964**م.

- **القزويني جلال الدين :**

56- الإيضاح في علوم البلاغة، ،تحقيق:محمد عبد المنعم خفاجي ،دار الجيل،بيروت،الطبعة الثالثة.

(م)

- **ابن مالك ، جمال الدّين محمد بن عبد الله(ت 672هـ) :**

57-تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تحقيق: محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، **1967**م .

- **الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(ت: 450هـ)**

58- النكت والعيون، تح: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

- **المُبرّد ، أبو العبّاس محمّد بن يزيد(ت 285هـ) :**

59- المقتضب ، تحقيق : محمّد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان (د/ت) .

- **المرادي ، الحسن بن قاسم(ت 749هـ) :**

60-: الجني الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، الطبعة الأولى، **1413** هـ - **1992** م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- **المصري زين الدين :**

61- التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،الطبعة الأولى**1421**هـ**2000**

- **المدني صدر الدين علي بن أحمد :**

62- أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شاكر هادي شكر، النجف الأشرف: **1388**هـ/ **1953**م.

(ن)

- **النكري القاضي بن عبد النبي بن عبد الرسول :**

63- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الطبعة الأولى، **1421**هـ - **2000**م. دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، لبنان.

(ي)

- **ابن يعيش ، موفق الدّين يعيش بن علي (ت 643هـ) :**

64- شرح المفصّل ، تقديم ووضع الهوامش: بديع إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط**1**، **1422**هـ**2001**م.

ثانياً : المراجع

(أ)

- **إبراهيم مصطفى :**

65- إحياء النحو ، تقديم محمد حماسة عبد اللطيف، القاهرة مكتبة الآداب،**2013**م.

- **أحمد مطلوب :**

66- معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، طبعة **2007**، مكتبة لبنان ، ناشرون.

- الاستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي، روح البيان، دار الفكر – بيروت،(د.ط.ت).

- **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عمر البغدادي(ت 1270هـ) :**

67-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان (د/ط.ت)

. **إميل بديع يعقوب :**

68- معجم الإعراب والإملاء، الطبعة الثالثة: **1986**م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

موسوعة علوم اللّغة العربية، الطبعة الأولى:**1427**هـ/ **2006**م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(ب)

- **بدوي احمد احمد :**

69- من بلاغة القرآن الكريم، ،إشراف داليا محمد إبراهيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع مارس– **2005**م.

- **البقري، أحمد ماهر :**

70- أساليب النفي في القرآن، الطبعة الثانية: **1989**م ،دار المعارف، مصر،

(ت)

- **تمام حسان :**

71– اللغة العربية معناها ومبناها، الطبعة الخامسة 1427هـ – 2006م، عالم الكتب،

(ج)

- **الجويني ، عبد الملك بن عبد الله :**

72– البرهان في أصول الفقه، تح: صلاح بن محمد بن عويضة ، الطبعة الأولى: 1418 هـ – 1997 م ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(ح)

- **حسن غزالة :**

73– ا لأسلوبية والتأويل والتعليم، ،كتاب الرياض مؤسسة اليمامة الصحفية –1998م.

- **حسين خمري :**

74– نظرية النص ، الدار العربية للعلوم ناشرون– الجزائر، الطبعة الأولى1428هـ/2007م.

- **حسن كاطع :**

75– التكوينات النحوية للمجاز المرسل ،دار الكتب العلمية–بيروت،الطبعة الأولى 2008م.

- **حسين نصار :**

76– القسم في القرآن الكريم، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد – الظاهر، الطبعة الاولى، 1421هـ–2000م.

- **حماسة محمد عبد اللطيف :**

77–النحو والدلالة – مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1420هـ2000م .

- **– الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز :**

78– شرح العقيدة الطحاوية، تح: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، الطبعة العاشرة: 1417هـ – 1997م، مؤسسة الرسالة – بيروت

(خ)

- **خطابي محمد :**

79– لسانيات النص ، ص 16،11،المركز الثقافي العربي–المغرب،ط2–2006م.

- **الخطيب، محمد الهادي الطرابلسي:**

80– تحاليل أسلوبية' دار الجنوب للنشر: تونس: 1992،

(د)

- **الدرويش محيي الدين:**

81- إعراب القرآن وبيانه، الطبعة الرابعة**1415** هـ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص-سورية.

(ر)

- **رجاء عيد :**

82- لبحث الأسلوبي معاصرة وتراث، ،الإسكندرية: منشأة المعارف**1993**م.

- **الرافعي مصطفى صادق :**

83- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي –بيروت- لبنان، الطبعة الثامنة، **1425**هـ- **2005**م.

- **رفيدة إبراهيم عبد الله :**

84- النحو وكتب التفسير، الدار الجماهرية، ليبيا، الطبعة الثالثة،**1399**هـ-**1990**م.

رمضان عبد التواب :

85- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،،مكتبة الخانجي بالقاهرة: **1417**هـ/**1997**م.

(ز)

- **زكريا ميشال :**

86-الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ،المؤسسة الجامعية ، بيروت ، لبنان ، ط**2** ، **1986**م .

(س)

- **السامرائي فاضل صالح :**

87- التعبير القرآني ،دار عمار عمان- الأردن، الطبعة الرابعة**1427**هـ/**2006**م

88- معاني النحو ، الطبع الأولى: **1420**هـ/ **2000**م، دار الفكر ، عمان، الأردن

- **السعران محمود :**

89- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية-القاهرة **1997**م.

90-اللغة والمجتمع : رأي ومنهج ، دار المعارف ، فرع الإسكندرية، مصر، ط**2**، **1963**م .

- **سلام محمد زغلول :**

91- أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن**4** هـ، دار المعارف-مصر، الطبعة الثانية،**1961**م.

- **(ش)**

- **شكري عياد :**

92- اتجاهات البحث الأسلوبي، ترجمة وإضافة الرياض-دار العلوم،الطبعة الأولى**1958**م.

- **شكري المبخوت :**

93– إنشاء النفي، مركز النشر الجامعي– تونس،**2006**م.

- **الشمسان أبو أوس ،**

94– الجملة الشرطية عند نحاة العرب ، تقديم محمود فهمي حجازي، الطبعة الأولى **1401**هـ/**1981**م، مطابع الفحوى عابدين.

- **الشعراوي محمد متولي :**

95– تفسير الشعراوي.، مطابع أخبار اليوم–**1997**م

(ص)

- **الصعيدي عبد المتعال :**

96– بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، طبعة **17**، **1426**هـ/**2005**م،

– الطرابلسي، محمد الهادي ،

97- تحاليل أسلوبية' دار الجنوب للنشر: تونس: **1992**،

(ع)

- **ابن عاشور محمد الطاهر :**

98– تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر، تونس ، **1984**م .

- **عباس حسن فضل:**

99–البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، **1989**م.1

100– النحو الوافي، الطبعة الخامسة عشرة، دار المعارف بمصر.

- **عبد الجليل عبد الرحيم:**

101– لغة القرآن الكريم، الطبعة الأولى: **1401**هـ/ **1981**م، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان، الأردن.

- ***عطية محسن علي،***

102–الأساليب النحوية ، الطبعة الأولى**1428** هـ/**2007**م، دار المناهج:عمان.

عصار خير الله:

103– محاضرات وتطبيقات في علم النفس التربوي، الجزائر **1980**م، ديوان المطبوعات الجامعية،

- ***عمايرة خليل أحمد :***

104–.في التحليل اللّغوي ، مكتبة المنار، عمّان ، الأردن ، ط**1** ، **1407– 1987**م .

105–في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، عالم المعرفة ، جدّة ، العربية السعودية، ط**1**، **1404**هـ**1984**م

- **عون أبو القاسم :**

106–بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المدار الإسلامي، بنغازي ليبيا، الطبعة الأولى**2006**م.

(غ)

- **غريب علام، عبد العاطي :**

107– دراسات في البلاغة العربية، الطبعة الأولى– **1997**م، منشورات جامعة قار يونس، ليبيا

(ف)

- **ابن فارس أحمد،**

108– الصاحبي في فقه اللغة، الطبعة الأولى **1418**هـ–**1997**م، الناشر محمد علي بيضون.

- **فلاح حسن كاطع :**

109– التكوينات النحوية للمجاز المرسل في القرآن الكريم، الطبعة الأولى: **2008**م ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **فندريس جوزيف :**

110– اللغة، ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص،ص **189/1**، مكتبة الأنجلو المصرية **1950**م.

(ق)

- **قبش، أحمد :**

111– الكامل في النحو والصرف والإعراب، الطبعة الثانية: **1399**هـ/ **1979**م، دار الجيل، بيروت – لبنان،

(ك)

- **الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين :**

112– أسرار التكرار في القرآن، تحق عبد القادر أحمد عطا،تعليق أحمد عبد التواب عوض،دار الفضيلة

(ل)
(م)

- **محيي الدين عبد الحميد،**

113– دروس التصريف ، **1416**هـ/**1995**م المكتبة العصرية صيدا– بيروت،

- **المراغي، أحمد بن مصطفى :**

114– تفسير المراغي، ا الطبعة الأولى: **1365**هـ/**1946**م،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

- **محمود عبد الرحيم صافي :**

115– الجدول في إعراب القرآن،الطبعة الرابعة: **1418**هـ، دار الرشيد،دمشق–مؤسسة الإيمان، بيروت

- **محمود إسماعيل هناء ،**

116–النحو القرآني في ضوء لسانيات النّص، تقديم: كريم حسين ناصح الخالدي، ،الطبعة الأولى،دار الكتب العلمية– لبنان **2012** م.

- **مصطفى حميدة :**

117– نظام الارتباط، الطبعة الأولى**1997**م، مكتبة الشركة المصرية العالمية للنشر.

- **المطعني عبد العظيم إبراهيم :**

118– التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، الطبعة الأولى: **1420**هـ/ **1999**م، مكتبة وهبة ، القاهرة، مصر.

- **المطيري ، هند بنت عبد الرزاق هويل :**

119 – النفي في نقائض جرير والفرزدق،، الطبعة الأولى **1429**هـ/**2008**م، مركز حمد الجاسر الثقافي، الرياض،. نقلاً عن أساليب النفي في القرآن الكريم لمصطفى النحاس، مؤسسة علي جراح الصباح الكويت، **1979**م،

- **أبو المكارم علي :**

120– : الجملة الفعلية، ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع– القاهرة، الطبعة الأولى **1428**هـ– **2007**م.

(ن)

- **ناصح كريم حسين :**

121–نظرات في الجملة العربية،، دار صفاء، عمَّان الطبعة الأولى: **1425**هـ/ **2005**م

- **نحلة محمود احمد :**

122–صور تأليف الكلام عند ابن هشام، ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية **1999** م. [1]

123–مدخل إلى دراسة الجملة العربية،، دار النهضة العربية بيروت–**1981**م.

- **النكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري،**

124– دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الطبعة الأولى، 1421هـ – 2000م. دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، لبنان.

ثالثاً : المعاجم والقواميس

(أ)

- **أحمد مطلوب،**

125– معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، طبعة 2007، مكتبة لبنان ، ناشرون،–

- **الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد ،**

126– تهذيب اللّغة، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكاتب العربي: 1967م، القاهرة – مصر.

(ج)

- **جورج متري عبد المسيح وجورج هاني،**

127– معجم مصطلحات النحو العربي، الطبعة الأولى: 1410هـ/1990م، مكتبة لبنان– بيروت .

- **الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد ،**

128– (الصحاح) تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة 1407 هـ /1987م، دار العلم للملايين – بيروت، لبنان.

(ن)

- **العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله ،**

129– الفروق اللغوية، تح وتعليق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

(ف)

- **ابن فارس أحمد:**

130- معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، 1399هـ - 1979م، دار الفكر، بيروت، لبنان .

- **الفراهيدي، الخليل بن أحمد :**

131- كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان .

- **الفيروز آبادي:**

132- القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الثامنة- 1426هـ/ 2005م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

(ك)

- **الكفوي ، أيوب بن موسى الحسيني:**

133- الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

(م)

- **ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين :**

134- لسان العرب، دار صادر، بيروت. الطبعة الثالثة – 1414 هـ.

رابعا : الدوريات والمجلات والموسوعات العلمية

(ت)

• **التهانوي محمد علي:**

135– موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف: رفيق العجَم، تح: علي دحروج، نقل النّص إلى العربية: عبد الله الخالدي، ترجمة: جورج زيناتي، الطبعة الأولى: **1996**، مكتبة لبنان – ناشرون.

(ج)

• **الجرجاني الشريف :**

136– كتاب التعريفات، تحق جماعة من العلماء، الطبعة الأولى **1403**هـ– **1983**م، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان.

(م)

• **محمد قطب عبد العال:**

137– الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند الهند، ذو الحجة، **1430**هـ– ديسمبر **2009** م، العدد **12** ، السنة: **33**.

138– الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت: **11**/ **97**، عدد الأجزاء: – **45** جزءا، الطبعة: (من **1404** – **1427** ه)..الأجزاء : (**1** – **23**): الطبعة الثانية، دار السلاسل – الكويت ..الأجزاء **24** – **38**: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر..الأجزاء **39** – **45**: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.

• **آل يونس،هاني صبري:**

139– الأنماط التحويلية لجملة النهي، مجلة التربية والعلم، المجلد (**15**)، العدد (**04**) لسنة **2008**، كلية التربية/ جامعة الموصل ، العراق.

خامسا: الأطروحات العلمية

140– توفيق جعمات،

النفي في النحو العربي –منحى وظيفي وتعليمي، رسالة ماجستير، دفعة **2006** ، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الإهداء **ج**

مقدمة **د**

مدخل **01**

الفصل الأول

النفي حقيقته وأقسامه وأدواته: 24

1- معنى النفي ، حقيقته والألفاظ المتعلّقة به: 25
(الجحد- السلب – العدم- النهي).

2- الفرق بين النفي والجحد 30

3- الفرق بين النفي والنهي. 31

4- الاستفهام الإنكاري وعلاقته بالنفي. 33

5- معنى الإثبات 34

- العلاقة بين النفي والإثبات 36

6- معاني الاستدراك والإضراب والاستثناء. 36

7- أقسام النفي : -أ- النفي الصريح. **ب**- النفي الضمني. 39

8- أدوات النفي ووظائفها: أ- الأدوات الدالة أصالة على النفي. 43

ب- الأدوات المتضمِّنة للنفي. 54

الفصل الثاني

تعبيرية النفي في القرآن الكريم: 64

1- تعبيرية النفي بالاستفهام في القرآن الكريم. 65

2- تعبيرية النفي بالاستثناء في القرآن الكريم: 76

2-1: التعبيرية بالقصر. 78

2-2: التعبيرية بالحصر. 88
3- ظاهرة تكرار النفي في القرآن الكريم 93

الفصل الثالث

1- دور النفي في الأبنية التركيبية: 106
الجملة القرآنية: 107
نفي الجملة الفعلية في القرآن الكريم: 110
أ- الجملة التي فعلها مضارع 111
ب- الجملة التي فعلها ماضٍ 123
نفي الجملة الاسمية في القرآن الكريم 126
2- النفي في سياق الشرط في القرآن الكريم. 144
3- النفي في سياق القسم في القرآن الكريم. 157
الخاتمة 170
فهرس الشواهد القرآنية 175
فهرس الشواهد الشعرية 198
المصادر والمراجع 200
فهرس الموضوعات 218

ملخص

تستخدم العربية عدة أساليب ومنها خطاب النفي، فهو أسلوب له تأثير عظيم ومهمٌّ في توجيه المعنى، سواء على مستوى الخطاب أو على مستوى التلقي، فإذا كان صريحا يلزمه الأداة الفاعلة في تحقيق الغاية وتحويل حال الحدث من زمن إلى آخر، فبسبب تلك الأداة ينتفي المثبت، ويصير في حكم المعدم، أو المنكر، أو المسلوب، هذا إذا قرّبنا بين هذه الألفاظ وجعلناها تؤدي المعنى نفسه.أما النفي الضمني فله قرائنه وأدواته الّتي تُكسب التركيب رونقا جذاباً وجميلاً حيث تجعل للمعنى وجهة غير التي هي عليها في الظاهر أو كما يسميه أهل البلاغة (خلاف مقتضى الظاهر). فللنفي دور أساس في التركيب، وتعبيريته في القرآن الكريم تعمل في عدّة سياقات كالاستفهام والاستثناء والشرط والقسم، كما نجد النفي يتكرّر أحيانا وذلك لغايات وأسرار.

الكلمات المفتاحية:

النفي؛ الأسلوب؛ التركيب؛ السياق؛ التعبيرية؛ الاستفهام؛ التلقي؛ الخطاب؛ العدم؛ الشرط.

نوقشت يوم 23 جوان 2015